تأملاتٌ مَهدَويّةٌ

بُحوثٌ:

«قُرْآنِيَّةٌ، عقَائِدِيَّةٌ، فِقْهِيَّةٌ، تَأْرِيخِيَّةٌ»

تَأْلِيفُ

سَمَاحَةِ السَّيِّدِ يُوسُفَ حَلُو خضر النَاجي

إِمَامُ وَخَطِيبُ حُسَيْنِيَّةِ الإِمَامِ الحُسَيْنِ عليه السلام

هوية الكتاب
أسم الكتاب: تأملات مهدوية.
تأليف: سماحة السيد يوسف حلو الموسوي.
الطبعة: الأولى ١٤٤١ هـ، ٢٠٢٠م.
اخراج: يوسف حلو الناجي.
المطبعة: مؤسسة البلاغ، بيروت - لبنان.

طبع بثواب المرحومة
مهى رعد جليب

الاهداء..........

الى من عشقته العدالة الإنسانية

الى من ينتظر العالم قدومه وهو يردد

بصوت واحد «مَتى نَرِدُ مَناهِلَكَ الرَّوِيَةَ فَنَرْوى

مَتى نَنْتَقِعُ مِنْ عَذْبِ مائِكَ فَقَدْ طالَ الصَّدى»

سيدي يا أبا صالح أغثنا فقد طال الانتظار

واحترق الصبر..................................

سيدي يا أبا صالح اهدي اليك هذه الوريقات

المُقدَّمَة

بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ والصلاة والسلام على محمد واله... وبعد قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء/١٠٥].

وعد الله سبحانه عباده الصالحين، بوراثة الأرض وتحقيق العدالة البشرية، وهذا النص من نصوص الوعد الإلهي، وهو مرتبط بالقضية المهدوية، والمنجي والمخلص العالمي، المسمى بأبي صالح، وهو قائد المؤمنين وتباعا البشرية، لتحقيق العدالة في ربوع المعمورة.

وبعد اشتياقي لهذا المنجي العالمي، ومشاهدة الأرض تمتلئ ظلما وجورا، وبرغبة ملحة من ولدي السيد مصطفى لكتابة كتاب يتعلق بالقضية المهدوية.

جاش الفكر والقلم، لأدون مجموعة محاضرات وتأولات، من اجل التشرف بالمعرفة المهدوية، والتقرب أكثر لقائدها الموعود بملئ الأرض واطرافها بالعدالة الإلهية، وهو هدف الأنبياء عليهم السلام قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[الحديد/٢٥].

وبعد تصفحي للمكتبة المرئية والسمعية، والورقية والالكترونية، المختصة بالمنجي العالمي، ظهرت ثمرة هذه المطالعة لنور الوجود باسم «**تأملات مهدوية**»، راجيا بذلك رضا الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وآله واله عليهم السلام.

وفي الختام أتقدم بالشكر والامتنان لزوجتي العزيزة، رفيقة دربي، في معترك الحياة المتعرجة، لتهيأة الأجواء المناسبة لإتمام مشروعي التبليغي ومنه كتاباتي، وذلك رغم مرضها ومعاناتها، متوسلا الى الله سبحانه، ان يمن عليها بالصحة والعافية، وحسن العاقبة.

وختام الختام مسك: أتقدم بهذه البضاعة المزجاة، بين يدي امام الزمان المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف، ليتقبلنا بأحسن قبوله، ولسان حالي، متمثلا بقوله تعالى على لسان اخوة النبي يوسف عليه السلام ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف/٨٨] سيدي وانت من اهل الجود والكرم قال تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ [النساء/٨٦].

تنبيه:

١. مصادر الكتاب اعتمدنا على ما اقتبسناه من الأبحاث والكتب والمقالات ولم ندقق فيها وكذا لم نرتبها فنيا حسب الطريقة الإسلامية.

٢. الكتاب هو حصيلة لأبحاث مقتبسة من عشرات الكتب والمقالات وبعضها أشر نالمؤلفيها والبعض الاخر لم نشر.

٣. أبحاث الكتاب رتبناها فنيا حسب طريقتنا المعتادة في التأليف.

يوسف الناجي

العاشر من جمادى الأولى

أربعمائة وإحدى واربعون بعد الالف من الهجرة

الموضوع الأول: ولادة الامام المهدي عجل الله فرجه ونشأته

تأريخ الولادة

ولد عليه السلام في دار أبيه الحسن العسكري عليه السلام في مدينة سامراء أواخر ليلة الجمعة الخامس عشر من شعبان وهي من الليالي المباركة التي يُستحب إحياؤها بالعبادة وصوم نهارها طبقاً لروايات شريفة مروية في الصحاح مثل سنن ابن ماجة وسنن الترمذي وغيرهما من كتب أهل السنة «١» إضـــافة الى ما روي عن ائمة أهل البيت عليهم السلام.

وكانت سنة ولادته «٢٥٥ هـ» على أشهر الروايات، وثمة روايات أُخرى تذكر أن سنة الولادة هي «٢٥٦ هـ» أو «٢٥٤ هـ» مع الاتفاق على يومها وروي غير ذلك، إلا أن الأرجح هو التأريخ الأول لعدة شواهد، منها وروده في أقدم المصادر التي سجلت خبر الولادة وهو كتاب الغيبة للشيخ الثقة الفضل بن شاذان الذي عاصر ولادة المهدي عليه السلام وتوفي قبل وفاة أبيه الحسن العسكري

«١» راجع مثلاً مسند أحمد بن حنبل: ٢/ ١٧٦، سنن ابن ماجة: ١/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥، فيض القدير: ٤/ ٤٥٩، سنن الترمذي: ٣/ ١١٦، كنز العمال: ٣/ ٤٦٦ وغيرها كثير.

عليهما السلام بفترة وجيزة«١» ، ومنها أن معظم الروايات الأخرى تذكر أن يوم الولادة كان يوم جمعة منتصف شهر شعبان وإن اختلفت في تحديد سنة الولادة، ومن خلال مراجعتنا للتقويم التطبيقي«٢» وجدنا أن النصف من شعبان صادف يوم جمعة في سنة «٢٥٥ هـ» وحدها دون السنين الأُخرى المذكورة في تلك الروايات. ومثل هذا الاختلاف أمر طبيعي جار مع تواريخ ولادات ووفيات آبائه وحتى مع جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، دون أن يؤثر ذلك على ثبوت ولادتهم عليهم السلام ، كما أنه طبيعي للغاية بملاحظة سرّيّة الولادة عند وقوعها حفظاً للوليد المبارك كما سنلاحظ ذلك لاحقاً.

تواتر خبر ولادته عليه السلام

روى قصة الولادة أو خبرها الكثير من العلماء بأسانيد صحيحة أمثال أبي جعفر الطبري والفضل بن شاذان والحسين بن حمدان وعلي بن الحسين المسعودي

«١» ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ١٠١، مصباح المتهجد للشيخ الطوسي: ٧٦٢، إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ٧١٨.

«٢» وقد راجعنا في البحث التقويم التطبيقي الذي أصدرته جامعة طهران والذي يبدأ بالتطبيق من اليوم الأوّل من السنة الأُولى لهجرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الى نهاية القرن الهجري الخامس عشر. نقصد بالتقويم التطبيقي التقويم الذي يطبق بين أيام تقويم السنة الشمسية مع ما يصادفها من أيام تقويم السنة القمرية، وقد أعدت عدة تقاويم من هذا النوع على شكل كتب أو برامج كومبيوترية حددت ما يصادف كل يوم من أيام السنة الهجرية القمرية مع تقويم السنة الهجرية الشمسية والسنة الميلادية الشمسية.

والشيخ الصدوق والشيخ الطوسي والشيخ المفيد وغيرهم، ونقلها بصورة كاملة أو مختصرة أو نقل خبرها عدد من علماء أهل السنة من مختلف المذاهب الإسلامية أمثال نور الدين عبد الرحمن الجامي الحنفي في شواهد النبوة والعلاّمة محمد مبين المولوي الهندي في وسيلة النجاة والعلامة محمد خواجه بارسا البخاري في فصل الخطاب والحافظ سليمان القندوزي الحنفي في ينابيع المودة، كما نقل خبر الولادة ما يناهز المائة وثلاثين من علماء مختلف الفرق الإسلامية بينهم عشرات المؤرخين ستة منهم عاصروا فترة الغيبة الصغرى أو ولادة الإمام المهدي عليه السلام ، والبقية من مختلف القرون الى يومنا هذا في سلسلة متصلة وهذا الاحصاء يشمل جانباً من المصادر الإسلامية وليس كلها. وبين هؤلاء عدد كبير من العلماء والمؤرخين المشهورين أمثال ابن خلكان وابن الأثير وأبي الفداء والذهبي وابن طولون الدمشقي وسبط ابن الجوزي ومحي الدين بن عربي والخوارزمي والبيهقي والصفدي واليافعي والقرماني وابن حجر الهيثمي وغيرهم كثير. ومثل هذا الإثبات مما لم يتوفر لولادات الكثير من أعلام التأريخ الإسلامي«١» .

كيفية ظروف الولادة

يُستفاد من الروايات الواردة بشأن كيفية ولادته عليه السلام ، أن والده الإمام الحسن العسكري عليه السلام أحاط الولادة بالكثير من السرية والخفاء، فهي تذكر أن الإمام

«١» راجع هذه الروايات في كتاب النجم الثاقب للميرزا النوري: ٢/ ١٤٦ وما بعدها من الترجمة العربية، وراجع الكافي: ١/ ٣٢٩، كمال الدين: ٤٣٠.

الحسن العسكري عليه السلام قد طلب من عمته السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد أن تبقى في داره ليلة الخامس عشر من شهر شعبان واخبرها بأنه سيُولد فيها إبنه وحجة الله في أرضه، فسألته عن أمه فأخبرها أنها نرجس فذهبت إليها وفحصتها فلم تجد فيها أثراً للحمل، فعادت للإمام واخبرته بذلك، فابتسم عليه السلام وبيّن لها أن مثلها مثل أم موسى عليه السلام التي لم يظهر حملها ولم يعلم به أحد الى وقت ولادتها لأن فرعون كان يتعقب أولاد بني إسرائيل خشية من ظهور موسى المبشر به فيذبح ابناءهم ويستحي نساءهم، وهذا الأمر جرى مع الإمام المهدي عليه السلام أيضاً لأن السلطات العباسية كانت ترصد ولادته إذ قد تنبأت بذلك طائفة من الأحاديث الشريفة كما سنشير لاحقاً.

ويُستفاد من نصوص الروايات أن وقت الولادة كان قبيل الفجر وواضح أنّ لهذا التوقيت أهمية خاصة في إخفاء الولادة؛ لأن عيون السلطة عادةً تغط في نوم عميق. كما يُستفاد من الروايات أنه لم يحضر الولادة سوى حكيمة التي لم تكن تعرف بتوقيتها بشكل دقيق أيضاً «١» .

«١» راجع تفصيلات أقوالهم في الاحصائية التي أوردها السيد ثامر العميدي في كتابه دفاع عن الكافي: ١/ ٥٣٥ ـ ٥٩٢.

وتوجد رواية واحدة يرويها الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة تصرح باستقدام عجوز قابلة من جيران الإمام لمساعدة حكيمة في التوليد مع تشديد الوصية عليها بكتمان الأمر وتحذيرها من إفشائه «١» .

الإخبار المسبق عن خفاء الولادة

أخبرت الكثير من الأحاديث الشريفة بأن ولادة المهدي من الحسن العسكري ستُحاط بالخفاء والسرية، ونسبت الإخفاء الى الله تبارك وتعالى وشبهت بعضها إخفاء ولادته بإخفاء ولادة موسى وبعضها بولادة ابراهيم عليهما السلام ، وبيّنت علّة ذلك الإخفاء بحفظه عليه السلام حتى يؤدي رسالته، نستعرض هنا نماذج قليلة منها.

فمثلاً روى الشيخ الصدوق في إكمال الدين والخزاز في كفاية الأثر مسنداً عن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام ضمن حديث قال فيه: «أما علمتم أنه ما منّا إلا وتقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه، إلا القائم الذي يصلّي عيسى بن مريم خلفه؟! وإن الله عزّ وجلّ يُخفي ولادته ويغيّب شخصه لئلاّ يكون لأحد في عنقه بيعة إذا خرج، ذلك التاسع من ولد أخي الحسين ابن سيدة النساء يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته...»«٢».

«١» راجع الروايات التي جمعها السيد البحراني بشأن قصة الولادة من المصادر المعتبرة في كتابه تبصرة الولي: ٦ وما بعدها، وكذلك التلخيص الذي أجراه الميرزا النوري في النجم الثاقب: ٢/ ١٥٣ وما بعدها، وراجع غيبة الشيخ الطوسي الفصل الخاص بأثبات ولادة صاحب الزمان عليه السلام : ٧٤ وما بعدها.

«٢» غيبة الشيخ الطوسي: ١٤٤.

وفي حديث رواه الصدوق بطريقين عن الإمام علي عليه السلام قال: «... إن القائم منا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة، فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه» «١» .

وروى عن الإمام السجاد عليه السلام أنه قال: «في القائم منا سنن من الأنبياء... وأما من ابراهيم فخفاء الولادة واعتزال الناس....» «٢» .

- وروي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «في التاسع من ولدي سنّة من يوسف وسنّة من موسى بن عمران وهو قائمنا أهل البيت يصلح الله أمره في ليلة واحدة»«٣» .
- وروى الكليني في الكافي بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال في حديث: «انظروا من خفي «عمي» على الناس ولادته فذاك صاحبكم، إنه ليس منا أحد يُشار إليه بالأصابع ويمضغ بالألسن إلا مات غيضاً أو رغم أنفه»«٤».

والأحاديث بهذا المعنى كثيرة والكثير منها مروي بأسانيد صحيحة تخبر صراحة ـ وقبل وقوع ولادة الإمام المهدي عليه السلام بخفائها-، وفي ذلك دلالة وجدانية صريحة على صحتها حتى لو كان في أسانيد بعضها ضعف أو مجهولية لأنها

«١» كمال الدين: ٣١٥، كفاية الأثر: ٣١٧.

«٢» كمال الدين: ٣٠٣.

«٣» المصدر: ٣٢١ـ ٣٢٢.

«٤» المصدر: ٣١٦.

أخبرت عن شيء قبل وقوعه ثم جاء الواقع مصدقاً لما أخبرت عنه، وهذا ما لا يمكن صدوره إلا من جهة علام الغيوب تبارك وتعالى الأمر الذي يثبت صدورها عن ينابيع الوحي وبإخبار من الرسول الأكرم ﷺ .

خفاء الولادة علامة المهدي الموعود عليه السلام

ويُلاحظ أن هذه الأحاديث الشريفة تصرح بأنّ خفاء الولادة من العلائم البارزة المشخصة لهوية المهدي الموعود والقائم من ولد فاطمة الذي بشرت به الأحاديث النبوية، وهذا أحد الأهداف المهمة للتصريح بذلك وهو تعريف المسلمين بإحدى العلائم التي يكشفون بها زيف مزاعم مدّعي المهدوية كما شهد التأريخ الإسلامي الكثير منهم ولم تنطبق على أي منهم هذه العلامة، فلم تُحطْ ولادة أي منهم بالخفاء كما هو ثابت تأريخيا «١» .

وتشير الأحاديث الشريفة المتقدمة الى علة إخفاء ولادته عليه السلام وهي العلة نفسها التي أوجبت إخفاء ولادة نبي الله موسى عليه السلام، أي حفظ الوليد من سطوة الجبارين ومساعيهم لقتله إتماماً لحجة الله تبارك وتعالى على عبادة ورعاية له لكي يقوم بدوره الإلهي المرتقب في إنقاذ بني اسرائيل والصدع بالديانة التوحيدية ومواجهة الجبروت الفرعوني بالنسبة لموسى الكليم عليه السلام، وهكذا إنقاذ البشرية جمعاء وإنهاء الظلم والجور وإقامة القسط والعدل وإظهار الإسلام على الدين كله بيد المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف. وهذا ما كان يعرفه ائمة الجور من خلال النصوص

«١» الكافي: ١/ ٢٧٦.

الواردة بهذا الشأن، ففرعون مصر كان على علم بالبشارات الواردة بظهور منقذ بني اسرائيل، وهو موسى عليه السلام من أنفسهم ولذلك سعى في تقتيل أبنائهم بهدف منع ظهوره، وكذلك حال بني العباس إذ كانوا على علم بأن المهدي الموعود هو من ولد فاطمة عليها السلام ، وأنه الإمام الثاني عشر من ائمة أهل البيت عليهم السلام وقد انتشرت الأحاديث النبوية المصرحة بذلك بين المسلمين ودوّنها علماء الحديث قبل ولادة المهدي بعقود عديدة، كما كانوا يعلمون بأن الإمام الحسن العسكري هو الإمام الحادي عشر من ائمة العترة النبوية عليهم السلام، لذا فمن الطبيعي أن يسعوا لقطع هواجس ظهور المهدي الموعود بالاجتهاد من أجل قطع نسل والده العسكري عليهما السلام .

ومن الواضح أنّ مجرد احتمال صحة هذه الأحاديث كان كافياً لدفعهم نحو إبادته، فكيف الحال وهم على علم راجح بذلك خاصةً وأن ليس بين المسلمين سلسلة تنطبق عليهم مواصفات تلك الأحاديث الشريفة مثلما تنطبق على هؤلاء الائمة الإثني عشر عليهم السلام كما لاحظنا مفصلاً في البحوث السابقة؟!

وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن أن نفهم سر ظاهرة قصر الأعمار التي ميزت تأريخ الائمة الثلاثة الذين سبقوا الإمام المهدي عليهم السلام من آبائه، فقد اُستشهد ابوه العسكري وهو ابن ثمان وعشرين«١» واستشهد جده الإمام الهادي وهو ابن

«١» ذكر تراجمهم الدكتور محمد مهدي خان مؤسس صحيفة الحكمة في القاهرة في كتابه «باب الأبواب» الذي خصص جانباً منه لدراسة حركات أدعياء المهدوية.

أربعين سنة«١» واستشهد الإمام الجواد وهو ابن خمس وعشرين سنة«٢» ، وهذه ظاهرة جديرة بالدراسة، وتكفي وحدها للكشف عن المساعي العباسية الحثيثة لإبادة هذا النسل للحيلولة دون ظهور المهدي الموعود«٣» حتى لو لم يسجل التأريخ محاولات العباسيين لاغتيال وقتل هؤلاء الائمة، فكيف الحال وقد سجل عدداً من هذه المحاولات تجاههم عليهم السلام، حتى ذكر المؤرخون مثلاً أنهم قد سجنوا الإمام العسكري وسعوا لاغتياله عدة مرات، كما فعلوا مع آبائه عليهم السلام ؟! «٤».

يقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام معللاً هذه الحرب المحمومة ضدهم عليهم السلام فيما رواه عنه معاصره الشيخ الثقة الفضل بن شاذان:

قال: حدثنا عبدالله بن الحسين بن سعد الكاتب قال: قال ابو محمّد الإمام العسكري عليه السلام : «قد وضع بنو اُمية وبنو العباس سيوفهم علينا لعلتين: احداهما

«١» مروج الذهب للمسعودي: ٤/ ١٦٩.

«٢» الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ٢٧٦.

«٣» لقد امتدّت هذه المحاولات الى داخل بيت الإمام عليه السلام فزرعت العيون من النساء لمراقبة ما يحدث داخل بيت الإمام عليه السلام ، للقضاء على الإمام المهدي عليه السلام إن وَلد، بل قد امتدت هذه الجهود للحيلولة دون ولادة الإمام عليه السلام ومن هنا لم يتزوّج الإمام الحسن العسكري «عليه السلام بشكل رسمي كما هو المتعارف والمتداول حينذاك.

«٤» راجع الفصل الخاص بذلك في كتاب حياة الإمام العسكري عليه السلام للشيخ الطبسي: ٤٢١ ـ ٤٢٤.

انهم كانوا يعلمون انه ليس لهم في الخلافة حق فيخافون من ادعائنا إيّاها وتستقر في مركزها، وثانيتهما انهم قد وقفوا من الأخبار المتواترة على ان زوال ملك الجبابرة والظلمة على يد القائم منا، وكانوا لا يشكون انهم من الجبابرة والظلمة، فسعوا في قتل أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وإبادة نسله طمعاً منهم في الوصول الى منع تولد القائم عليه السلام أو قتله، فأبى الله أن يكشف أمره لواحد منهم «إلاّ أن يتم نوره ولو كره الكافرون» «١» .

مراحل حياة الإمام المهدي عليه السلام

تنقسم حياة كل إمام معصوم بشكل عام الى قسمين رئيسين:

القسم الأوّل: حياته قبل تسلّمه مهام الإمامة والزعامة.

القسم الثاني: حياته بعد تسلّمه لمهام الإمامة والزعامة.

وبالإمكان تقسيم كل منهما الى مراحل.

وبناءً على هذا تنقسم حياة الإمام المهدي عليه السلام الى أربع مراحل متمايزة، وهي:

المرحلة الأولى: حياته في ظل أبيه أي من الولادة سنة «٢٥٥ هـ» حتى يوم استشهاد أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام سنة «٢٦٠ هـ». وهي خمس سنوات تقريباً.

«١» إثبات الهداة للحر العاملي: ٣/ ٥٧٠، منتخب الأثر للشيخ لطف الله الصافي: ٣٥٩ ب ٣٤ ح ٤ عن كشف الحق للخاتون آبادي وبذيله ما يدل عليه من سائر الأخبار غير القليلة.

المرحلة الثانية: حياته منذ وفاة ابيه عليه السلام «سنة ٢٦٠ هـ» حتى انتهاء الغيبة الصغرى سنة «٣٢٩ هـ». وهي تناهز السبعين عاماً.

المرحلة الثالثة: حياته في الغيبة الكبرى والتي بدأت بعد وفاة سفيره الرابع عام «٣٢٩ هـ» وهي مستمرة حتى يوم ظهوره على مسرح الأحداث السياسية والاجتماعية من جديد.

المرحلة الرابعة: حياته في مرحلة الظهور التي تبدأ بعد انتهاء الغيبة الكبرى، وهو عهد الدولة المهدوية العالمية المرتقبة والتي أخبرت عنها نصوص الكتاب والسنة «١» .

«١» البحث مقتبس من كتاب أعلام الهداية، الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف / بتصرف يسير.

دور الإمام العسكري عليه السلام في إعلان الولادة

في ظل تلك الأوضاع الإرهابية الصعبة كانت تواجه الإمام العسكري عليه السلام مهمة على درجة كبيرة من الخطورة والحساسية، فكان عليه أن يخف أمر الولادة عن اعين السلطات العباسية بالكامل والحيلولة دون اهتدائهم الى وجوده وولادته ومكانه حتى لو عرفوا إجمالاً بوقوعها، وذلك حفظاً للوليد من مساعي الإبادة العباسية المتربصة به ولذلك لاحظنا في خبر الولادة حرص الإمام على خفائها، كما نلاحظ أوامره المشددة لكل مَن أطلعه على خبر الولادة من أرحامه وخواص شيعته بكتمان الخبر بالكامل فهو يقول مثلاً لأحمد بن إسحاق: «ولد لنا مولود فليكن عندك مستوراً ومن جميع الناس مكتوماً» «١»

ومن جهة ثانية كان عليه الى جانب ذلك وفي ظل تلك الأوضاع الارهابية وحملات التفتيش العباسية المتواصلة، أن يثبت خبر ولادته عليه السلام بما لا يقبل الشك إثباتاً لوجوده ثم إمامته، فكان لابد من شهود على ذلك يطلعهم على الأمر لكي ينقلوا شهاداتهم فيما بعد ويسجلها التأريخ للأجيال اللاحقة، ولذلك قام

«١» أحاديث المهدي عجل الله فرجه من مسند احمد بن حنبل، اعداد السيد محمد جواد الجلالي: ٦٨ ـ ٧٦.

عليه السلام بأخبار عدد من خواص شيعته بالأمر «١» وعرض الوليد عليهم، بعد مضي ثلاثة أيام من ولادته «٢»، كما عرضه على أربعين من وجوه وخلّص أصحابه بعد مضي بضع سنين والإمام يومئذ غلام صغير وأخبرهم بأنه الإمام من بعده «٣» كما كان يعرضه على بعض أصحابه فرادى بين الحين والآخر ويظهر لهم منه من الكرامات بحيث يجعلهم على يقين من وجوده الشريف، وقام عليه السلام باجراءات أُخرى للهدف نفسه مع الالتزام بحفظ حياة الوليد من الإبادة العباسية بما أثبت تأريخياً ولادة خليفته الإمام المهدي عليه السلام بأقوى ما تثبت به ولادة انسان كما يصرح بذلك الشيخ المفيد «٤»

ومن جهة ثالثة كانت تواجه الإمام العسكري عليه السلام مهمّة التمهيد لغيبة ولده المهدي وتعويد المؤمنين على التعامل غير المباشر مع الإمام الغائب، وقد قام عليه السلام بهذه المهمة عبر سلسلة من الاجراءات كإخبارهم بغيبته وأمرهم بالرجوع الى

«١» صحيح البخاري: ٤/ ٢٥٢.

«٢» تاريخ البخاري: ٤/ ١٢ حديث ١٧٩٧، صحيح مسلم:٣/ ١٥٢٣، حديث ١٩٢٠، وسنن أبي داود: ٤/ ٩٧، حديث ٤٢٠٢ وابن ماجة: ١/ ٥ باب ١ حديث ١٠، والترمذي: ٤/ ٥٠٤ حديث ٢٢٢٩ واحمد بن حنبل في مسنده: ٢/ ٣٢١.

«٣» صحيح البخاري: ٩/ ١٦٧، وصحيح مسلم: ٣/ ١٥٢٤ حديث ١٠٣٧، ومسند أحمد: ٤/ ١٠١، وابن ماجة: ١/ ٥ باب ١ حديث ٧.

«٤» صحيح مسلم: ١٥٢٤ حديث ١٩٢٢، مسند أحمد: ٥/ ٩٢، ٩٤، ومستدرك الحاكم: ٤/ ٤٤٩.

سفيره العام عثمان بن سعيد، فهو يقول لطائفة من أصحابه بعد أن عرض عليهم الإمام المهدي عليه السلام وهو غلام: «هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم، ألا وأنكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتى يتم له عمر، فاقبلوا من عثمان ما يقوله وانتهوا الى أمره واقبلوا قوله فهو خليفة إمامكم والأمر إليه» «١»

ومن إجراءاته عليه السلام في هذا المجال ـ تأكيده على استخدام اسلوب الاحتجاب والتعامل مع المؤمنين بصورة غير مباشرة تعويداً لهم على مرحلة الغيبة فكان: يكلم شيعته الخواص وغيرهم من وراء الستر إلا في الأوقات التي يركب فيها إلى دار السلطان وانما كان منه ومن أبيه قبله مقدمة لغيبة صاحب الزمان لتألف الشيعة ذلك ولا تنكر الغيبة وتجري العادة بالاحتجاب والإستتار«٢» ومن هذه الاجراءات تثبيت نظام الوكلاء عن إلامام، وتأييد الكتب الحديثية التي جمع فيها أصحاب الأئمة مروياتهم عنهم وعن رسول الله صلى الله عليه وآله«٣» ليرجع إليها المؤمنون في عصر الغيبة «٤».

«١» صحيح مسلم: ٣/ ١٥٢٤، ١٥٢٥ باب ٥٣، حديث ١٩٢٤.

«٢» مسند أحمد: ٤/ ٤٣٤، سنن أبي داود: ٣/ ٤، حديث ٢٤٨٤، ومستدرك الحاكم: ٢/ ٧١.

«٣» تاريخ البخاري: ٥/ ٤٥١ حديث ١٤٦٨، مسند أحمد: ٤/ ٤٢٩.

«٤» معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف: ١/ ٥١ ـ ٦٨، وقد ذكر لكل حديث الكثير من المصادر من المجاميع الروائية المعتبرة عند أهل السنة وقد اخترنا بعضها من المتن والبعض الآخر من الهوامش.

ممن رأى المهدي عليه السلام في بيت الإمام العسكري عليه السلام

إنّ هناك لفيفاً من أصحاب الإمام العسكري عليه السلام رأوا الإمام المهدي في أيام صباه، ووالده بعد حي. وها نحن نذكر من الكثير شيئاً قليلاً حتى لا يرتاب المنصف في ولادته:

١. روى يعقوب بن منقوش قال: دخلت على أبي محمّد الحسن بن علي عليهما السلام وهو جالس على دكّان في الدار، وعن يمينه بيت عليه ستر مسبل، فقلت له: من صاحب هذا الأمر؟ فقال: ارفع الستر. فرفعته فخرج إلينا غلام خماسي له عشرة أو ثمان أو نحو ذلك، واضح الجبين أبيض الوجه، درّي المقلتين، شثن الكفّين، معطوف الركبتين، في خدّه الأيمن خال، وفي رأسه ذؤابة، فجلس على فخذ ابي محمد ثمّ قال لي: هذا صاحبكم.

٢. روى إبراهيم بن محمد بن فارس النيسابوري قال: لما همّ الوالي عمر بن عوف بقتلي غلب عليَّ خوف عظيم، فودعت أهلي وتوجهت إلى دار أبي محمّد لأودّعه، وكنت أردت الهرب، فلمّا دخلت عليه رأيت غلاماً جالساً في جنبه وكان وجهه مضيئاً كالقمر ليلة البدر، فتحيرت من نوره وضيائه وكاد ينسيني ما كنت فيه، فقال: يا إبراهيم لا تهرب فإنّ الله سيكفيك شره، فازداد تحيّري، فقلت لأبي محمّد: يا سيدي يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله من هذا وقد أخبرني بما كان في ضميري؟ فقال: هو ابني وخليفتي من بعدي.

٣. روى أحمد بن إسحاق قال: قلت لابي محمد الحسن العسكري عليه السلام : يا ابن رسول الله فمن الإمام والخليفة بعدك؟ فنهض عليه السلام مسرعاً فدخل

البيت ثمّ خرج وعلى عاتقه غلام كأنّ وجهه القمر ليلة البدر، من أبناء ثلاث سنين، فقال: يا أحمد بن إسحاق، لولا كرامتك على الله عزّ وجلّ وعلى حججه ما عرضت عليك ابني هذا، إنّه سميّ رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيّه، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

٤. روى أبو الحسين الحسن بن وجناء قال: حدثني أبي عن جده أنّه كان في دار الحسن بن علي عليهما السلام فكبستنا الخيل وفيها جعفر بن علي الكذّاب واشتغلوا بالنهب والغارة وكانت همّتي في مولاي القائم عليه السلام، قال: فإذا أنا به عليه السلام قد أقبل وخرج عليهم من الباب وأنا أنظر إليه وهو عليه السلام ابن ست سنين فلم يره أحد حتى غاب.

٥. روت حكيمة بنت الإمام محمد الجواد قالت: بعث إليَّ أبو محمّد الحسن بن علي عليهما السلام فقال: يا عمة اجعلي إفطارك هذه الليلة عندنا، فإنّها ليلة النصف من شعبان، فإنّ الله تبارك وتعالى سيظهر في هذه الليلة الحجة، وهو حجّته في أرضه. ثمّ إنّ حكيمة عمة الإمام العسكري تتحدث عن ولادة الإمام المهدي وتقول: فضممته إليِّ فإذا أنا به نظيف متنظف، فصاح بي ابو محمد عليه السلام : هلمّ إليّ ابني يا عمة، فجئت إليه...

٦. روى كامل بن إبراهيم فقال: دخلت على سيدي أبي محمد عليه السلام إذ نظرت إليه على ثياب بيض ناعمة فقلت في نفسي: وليّ الله وحجّته يلبس الناعم من الثياب، ويأمرنا بمواساة اخواننا وينهانا عن لبس مثله، فقال الإمام: يا كامل وحسر عن ذراعيه، فإذا مسح أسود خشن، فقال: هذا لله وهذا

لكم، فجاءت الريح، فكشف طرفه، فإذا أنا بفتى كأنّه فلقة قمر من أبناء أربع سنين او مثلها، فقال لي: يا كامل بن إبراهيم. فاقشعررت من ذلك، وأُلهمت أن قلت: لبيك يا سيدي. فقال: جئت إلى وليّ الله وحجّته تريد أن تسأل: لا يدخل الجنة إلاّ من عرف معرفتك، وعرف مقالتك... إلى أن قال: فنظر إليَّ أبو محمّد وتبسّم وقال: يا كامل بن ابراهيم، ما جلوسك وقد أبانك المهدي والحجّة من بعدي بما كان في نفسك وجئت تسألني عنه. قال: فنهضت وقد أخذت الجواب الذي أسررته في نفسي من الإمام المهدي ولم ألقه بعد ذلك.

تعقيب السلطة العباسية لخبر الإمام عليه السلام

يظهر من روايات مرحلة الغيبة الصغرى أنّ السلطة العباسية أخذت تتعقب خبر الإمام المهدي عليه السلام ، وكأنها كانت على اطمئنان بوجوده استناداً الى ما تواتر نقله عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من أخبار الأئمة الإثني عشر من عترته، وكانت تعلم أن الحسن العسكري عليه السلام هو الحادي عشر منهم فلابد من ولادة الثاني عشر أيضاً وهو خاتمهم الموعود بإنهاء الظلم والجور على يديه حسبما ورد في البشارات النبوية المتواترة.

وقد لاحظنا في رواية الكليني ـ ضمن حديثنا عن رعاية الإمام لوكلائه ـ أن هدف السلطة من التجسس على الوكلاء هو الوصول الى الإمام عليه السلام ، ولذلك كانت التأكيدات المشددة من قبل الأئمة السابقين عليهم السلام ومن الإمام المهدي عليه السلام نفسه تركّز على النهي عن ذكر اسم الإمام في الغيبة الصغرى لأنه اذا عُرف الاسم اشتد الطلب «١» ويُستفاد من رواية نقلها الشيخ الطوسي قدس سره في كتاب الغيبة: أن السلطات العباسية حصلت بالفعل على معلومات عن وجود الإمام عليه السلام وسعت لاغتياله، فتحدّاها الإمام عليه السلام ليثبت أنه محفوظ بالرعاية الإلهية.

«١» كمال الدين: ٤٤١.

تقول الرواية: وحدّث عن رشيق ... قال: بعث الينا المعتضد ونحن ثلاثة نفر فأمرنا أن يركب كل واحد منّا فرساً ونجنب آخر ونخرج مخفين لا يكون معنا قليل ولا كثير إلا على السرج مصلى وقال لنا: الحقوا بسامرة، ووصف لنا محلة وداراً وقال: اذا أتيتموها تجدون على الباب خادماً اسود فاكبسوا الدار ومن رأيتم فيها فأتوني برأسه. فوافينا سامرة فوجدنا الأمر كما وصفه، وفي الدهليز خادم أسود وفي يده تكة ينسجها فسألناه عن الدار ومن فيها فقال: صاحبها، فوالله ما التفت الينا وأقل اكتراثه بنا، فكبسنا الدار كما أمرنا فوجدنا داراً سرية ومقابل الدار ستر ما نظرت قط الى أنبل منه كأنّ الأيدي رفعت عنه في ذلك الوقت.

ولم يكن في الدار أحد فرفعنا الستر فاذا بيت كبير كأن بحراً فيه ماء وفي أقصى البيت حصير قد علمنا انه على الماء، وفوقه رجل من أحسن الناس هيئة قائم يصلي. فلم يلتفت إلينا ولا الى شيء من أسبابنا، فسبق أحمد بن عبد الله ليتخطى البيت فغرق في الماء ومازال يضطرب حتى مددت يدي إليه فخلصته وأخرجته وغشي عليه وبقي ساعة، وعاد صاحبي الثاني الى فعل ذلك الفعل فناله مثل ذلك، وبقيت مبهوتاً فقلت لصاحب البيت: المعذرة الى الله واليك فوالله ما علمت كيف الخبر ولا الى من أجيء وأنا تائب الى الله، فما التفت الى شيء مما قلنا وما انفتل عما كان فيه، فهالنا ذلك وانصرفنا عنه.

وقد كان المعتضد ينتظرنا، وقد تقدم الى الحجّاب إذا وافيناه أن ندخل عليه في أي وقت كان، فوافيناه في بعض الليل فأدخلنا عليه فسألنا عن الخبر فحكينا له ما رأينا، فقال: ويحكم! لقيكم أحد قبلي؟ وجرى منكم الى أحد سبب أو قول؟ قلنا:

لا، فقال: أنا نفيّ من جدي ـ وحلف بأشد ايمان له ـ أنه رجل إن بلغه هذا الخبر يضربن اعناقنا. فما جسرنا أن نحدّث به إلا بعد موته«١»

«١» غيبة الطوسي: ١٦٤.

كيف اكتمل إعداد القائد المنتظر عجل الله فرجه ؟

كيف اكتمل إعداد القائد المنتظر مع أنّه لم يعاصر أباه الإمام العسكريّ إلاّ خمس سنوات تقريباً؟ وهي فترة الطفولة التي لا تكفي لإنضاج شخصية القائد، فما هي الظروف التي تكامل من خلالها؟

الجواب: إنّ المهديّ عليه السلام خلف أباه في إمامة المسلمين، وهذا يعني أنّه كان إماماً بكلّ ما في الإمامة من محتوىً فكريّ وروحيّ في وقت مبكر جداً من حياته الشريفة. والإمامة المبكّرة ظاهرة سبقهُ إليها عددٌ من آبائه عليهم السلام ، فالإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام تولّى الإمامة وهو في الثامنة من عمره«١» ، والإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام تولّى الإمامة وهو في التاسعة من عمره«٢»، والإمام أبو محمد

«١» راجع: الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكيّ المكّيّ ت، ٨٥٥ هـ . وراجع: الإرشاد، الشيخ المفيد: ص٣١٦ وما بعدها.

«٢» راجع: التتمّة في تواريخ الأئمّة، السيد تاج الدين العاملي من أعلام القرن الحادي عشر الهجري، نشر مؤسّسة البعثة قم، وراجع: الصواعق المحرقة لابن حجر: ص١٢٣ ١٢٤، إذ ذكر طرفاً من سيرة الإمام وكراماته.

الحسن العسكريّ عليه السلام «١» والد القائد المنتظر تولّى الإمامة وهو في الثانية والعشرين من عمره. ويلاحظ أنّ ظاهرة الإمامة المبكّرة بلغت ذروتها في الإمام المهديّ والإمام الجواد، ونحن نسمّيها ظاهرة لأنها كانت بالنسبة إلى عدد من آباء المهديّ عليه السلام تشكّل مدلولاً حسيّاً عملياً عاشه المسلمون، ووعوه في تجربتهم مع الإمام بشكل وآخر، ولا يمكن أن نُطالب بإثبات لظاهرة من الظواهر أوضح وأقوى من تجربة أُمّة«٢». ونوضح ذلك ضمن النقاط التالية:

١. لم تكن إمامة الإمام من أهل البيت مركزاً من مراكز السلطان والنفوذ التي تنتقل بالوراثة من الأب إلى الابن، ويدعمها النظام الحاكم كإمامة الخلفاء الفاطميّين، وخلافة الخلفاء العباسيّين، وإنما كانت تكتسب ولاء قواعدها الشعبية الواسعة عن طريق التغلغل الروحيّ، والإقناع الفكريّ لتلك القواعد بجدارة هذه الإمامة لزعامة الإسلام، وقيادته على أُسس روحية وفكرية.

«١» راجع: التتمّة في تواريخ الأئمّة، السيد تاج الدين العاملي من أعلام القرن الحادي عشر الهجري، نشر مؤسّسة البعثة قم. وراجع: الصواعق المحرقة لابن حجر: ص١٢٣ ١٢٤، إذ ذكر طرفاً من سيرة الإمام وكراماته.

«٢» راجع: الإرشاد، الشيخ المفيد: ص٣١٩ وما بعدها. والصواعق المحرقة: ص١٢٣ ١٢٤، فقد أوردا قصة المحاورة التي دارت بين الإمام الجواد عليه السلام ويحيى بن أكثم زمن المأمون، وكيف استطاع الإمام عليه السلام أن يثبت أعلميّته وقدرته على إفحام الخصم وهو في تلك السن المبكّرة.

٢. إنّ هذه القواعد الشعبية بنيت منذ صدر الإسلام، وازدهرت واتّسعت على عهد الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، وأصبحت المدرسة التي رعاها هذان الإمامان في داخل هذه القواعد تشكّل تيّاراً فكرياً واسعاً في العالم الإسلاميّ، يضمّ المئات من الفقهاء والمتكلّمين والمفسّرين والعلماء في مختلف ضروب المعرفة الإسلامية والبشرية المعروفة وقتئذ، حتّى قال الحسن بن عليّ الوشّا: إنّي دخلت مسجد الكوفة فرأيت فيه تسعمائة شيخ«١»، كلّهم يقولون حدّثنا جعفر بن محمد.

٣. إنّ الشروط التي كانت هذه المدرسة وما تُمثّله من قواعد شعبيّة في المجتمع الإسلاميّ، تؤمن بها وتتقيّد بموجبها في تعيين الإمام والتعرّف إلى كفاءته للإمامة، شروط شديدة لأنها تؤمن بأنّ الإمام لا يكون إماماً إلاّ إذا كان أعلم علماء عصره«٢»

«١» راجع: المجالس السنيّة، السيد الأمين العاملي، ج٥، ص٢٠٩، وهذه قضية مشهورة تناقلها الخاص والعام. وراجع: صحاح الأخبار، محمد سراج الدين الرفاعي، ص٤٤، نقلاً عن الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، أسد حيدر، ج١، ص٥٦. وقال ابن حجر في الصواعق المحرقة ص١٢٠: "جعفر الصادق، نقل النّاس عنه من العلوم ما سارت به الركبان، وانتشر صيته في جميع البلدان، وروى عنه الأئمّة الأكابر كيحيى بن سعيد وابن جريج ومالك والسفيانين وأبي حنيفة وشعبة وأيوب السختياني".

«٢» كون الإمام أعلم أهل زمانه أمرٌ متسالم عليه عند الإمامية، راجع: الباب الحادي عشر، العلاّمة الحلّيّ، هذا وقد عُرّضوا لأكثر من اختبار عليهم السلام لإثبات هذا المدّعى، ونجحوا فيه. راجع:

٤. إنّ المدرسة وقواعدها الشعبية كانت تقدّم تضحيات كبيرة في سبيل الصمود على عقيدتها في الإمامة، لأنّها كانت في نظر الخلافة المعاصرة لها تشكّل خطّاً عدائياً، ولو من الناحية الفكرية على الأقلّ، الأمر الذي أدّى إلى قيام السلطات وقتئذ وباستمرار تقريباً بحملات من التصفية والتعذيب، فقُتل من قُتل، وسُجن من سُجن، ومات في ظلمات المعتقلات المئات.

وهذا يعني أنّ الاعتقاد بإمامة أئمّة أهل البيت كان يكلّفهم غالياً«١»، ولم يكن له من الإغراءات سوى ما يحسّ به المعتقد أو يفترضه من التقرّب إلى الله تعالى والزلفى عنده.

٥. إنّ الأئمّة الذين دانت هذه القواعد لهم بالإمامة لم يكونوا معزولين عنها، ولا متقوقعين في بروج عالية شأن السلاطين مع شعوبهم، ولم يكونوا يحتجبون عنهم إلاّ أن تحجبهم السلطة الحاكمة بسجن أو نفي، وهذا ما نعرفه من خلال العدد الكبير من الرواة والمحدّثين عن كلّ واحد من الأئمّة الأحد عشر، ومن خلال ما نقل من المكاتبات التي كانت تحصل بين الإمام ومعاصريه، وما كان الإمام يقوم به من أسفار من ناحية، وما

الصواعق المحرقة لابن حجر، ص١٢٣، فقد نقل تفصيلاً في هذه المسألة عن مسائل يحيى بن أكثم للإمام الجواد عليه السلام .

«١» إنّ الاعتقاد بإمامة الأئمّة كلّف أتباعهم غالياً، وهذا ثابت تاريخياً، وليس إلى إنكاره من سبيل، والشاهد يدلّ على الغائب أيضاً. راجع: مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج الأصفهاني.

كان يبثّه من وكلاء في مختلف أنحاء العالم الإسلاميّ من ناحية أخرى، وما كان قد اعتاده الشّيعة من تفقّد أئمّتهم وزيارتهم في المدينة المنوّرة عندما يؤمّون الديار المقدّسة من كلّ مكان لأداء فريضة الحجّ«١»، كلّ ذلك يفرض تفاعلاً مستمراً بدرجة واضحة بين الإمام وقواعده الممتدّة في أرجاء العالم الإسلاميّ بمختلف طبقاتها من العلماء وغيرهم.

٦. إنّ الخلافة المعاصرة للأئمّة عليهم السلام كانت تنظر إليهم وإلى زعامتهم الروحية والإمامية بوصفها مصدر خطر كبير على كيانها ومقدّراتها، وعلى هذا الأساس بذلت كلّ جهودها في سبيل تفتيت هذه الزعامة، وتحمّلت في سبيل ذلك كثيراً من السلبيّات، وظهرت أحياناً بمظاهر القسوة والطغيان حينما اضطرّها تأمين مواقعها إلى ذلك، وكانت حملات الاعتقال والمطاردة مستمرّة للأئمّة«٢» أنفسهم على الرغم ممّا يخلّفه ذلك من شعور بالألم أو الاشمئزاز عند المسلمين وللناس الموالين على اختلاف درجاتهم.

«١» وقد أوصى الأئمّة بذلك أتباعهم كما هو لسان الروايات الكثيرة. راجع: أصول الكافي، ج١، ص٣٢٢، كتاب الحجّة، باب٢: "إنّ الواجب على النّاس بعدما يقضون مناسكهم أن يأتوا الإمام فيسألونه عن معالم دينهم، ويعلمونه ولايتهم ومودّتهم له ".

«٢» راجع في تاريخ الأئمة عليهم السلام ، وتعرّضهم للاضطهاد والمطاردة والسجن والقتل أحياناً:

أ الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي.

ب مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج الأصفهاني.

ج الإرشاد للشيخ المفيد.

إذا أخذنا هذه النقاط الستّ بعين الاعتبار، وهي حقائق تاريخية لا تقبل الشكّ، أمكن أن نخرج بنتيجة، وهي: أنّ ظاهرة الإمامة المبكّرة كانت ظاهرة واقعية ولم تكن وهماً من الأوهام لأنّ الإمام الذي يبرز على المسرح وهو صغير فيعلن عن نفسه إماماً روحيّاً وفكريّاً للمسلمين، ويدين له بالولاء والإمامة كلّ ذلك التيّار الواسع، لا بدّ أن يكون على قدر واضح وملحوظ، بل وكبير من العلم والمعرفة وسعة الأفق والتمكّن من الفقه والتفسير والعقائد، لأنّه لو لم يكن كذلك لما أمكن أن تقتنع تلك القواعد الشعبية بإمامته، مع ما تقدّم من أنّ الأئمّة كانوا في مواقع تتيح لقواعدهم التفاعل معهم، وللأضواء المختلفة أن تُسلّط على حياتهم وموازين شخصيّتهم. فهل ترى أنّ صبيّاً يدعو إلى إمامة نفسه وينصّب منها علماً للإسلام وهو على مرأىً ومسمع من جماهير قواعده الشعبية، فتؤمن به وتبذل في سبيل ذلك الغالي من أمنها وحياتها بدون أن تكلّف نفسها اكتشاف حاله، وبدون أن تهزّها ظاهرة هذه الإمامة المبكّرة لاستطلاع حقيقة الموقف وتقويم هذا الصبيّ الإمام؟ «١» وهب أنّ النّاس لم يتحرّكوا لاستطلاع المواقف، فهل يمكن أن تمرّ المسألة أيّاماً وشهوراً، بل أعواماً دون أن تتكشّف الحقيقة، على الرغم من التفاعل الطبيعيّ المستمرّ بين الصبيّ الإمام وسائر النّاس؟ وهل من المعقول أن يكون صبيّاً في فكره وعلمه حقّاً، ثمّ لا يبدو ذلك من خلال هذا التفاعل الطويل؟

«١» إشارة إلى الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، ومن قبل إلى الإمام الجواد مثلاً.

وإذا افترضنا أنّ القواعد الشعبية لإمامة أهل البيت لم يُتح لها أن تكتشف واقع الأمر، فلماذا سكتت الخلافة القائمة ولم تعمل لكشف الحقيقة إذا كانت في صالحها؟ وما كان أيسر ذلك على السلطة القائمة لو كان الإمام الصبيّ صبيّاً في فكره وثقافته كما هو المعهود في الصبيان، وما كان أنجحه من أسلوب أن تقدّم هذا الصبيّ إلى شيعته وغير شيعته على حقيقته، وتبرهن على عدم كفاءته للإمامة والزعامة الروحيّة والفكرية. فلئن كان من الصعب الإقناع بعدم كفاءة شخص في الأربعين أو الخمسين قد أحاط بقدر كبير من ثقافة عصره لتسلّم الإمامة، فليس هناك صعوبة في الإقناع بعدم كفاءة صبيّ اعتياديّ مهما كان ذكيّاً وفطناً للإمامة بمعناها الذي يعرفه الشّيعة الإماميون«١»، وكان هذا أسهل وأيسر من الطرق المعقّدة وأساليب القمع، والمجازفة التي انتهجتها السلطات وقتئذ.

إنّ التفسير الوحيد لسكوت الخلافة المعاصرة عن اللعب بهذه الورقة«٢»، هو أنّها أدركت أنّ الإمامة المبكّرة ظاهرة حقيقيّة وليست شيئاً مصطنعاً.

«١» أي على أنه يجب أن يكون أفضل النّاس، وأعلم النّاس كما هو معتقد الإماميّة الاثني عشريّة. راجع: حقّ اليقين في معرفة أُصول الدين للسيد عبد الله شُبّر ت، ١٢٤٢ هـ ج١، ص١٤١، المقصد الثالث.

«٢» يقصد تقديم الإمام الصبيّ للاختبار أمام الملأ لإظهار حقيقة الأمر.

والحقيقة أنّها أدركت ذلك بالفعل بعد أن حاولت أن تلعب بتلك الورقة فلم تستطع. والتأريخ يحدّثنا عن محاولات من هذا القبيل وفشلها«١»، بينما لم يحدّثنا إطلاقاً عن موقف تزعزعت فيه ظاهرة الإمامة المبكّرة أو واجه فيه الصبيّ الإمام إحراجاً يفوق قدرته أو يزعزع ثقة النّاس فيه.

وهذا معنى ما قلناه من أنّ الإمامة المبكّرة ظاهرة واقعية في حياة أهل البيت وليست مجرّد افتراض، كما أنّ هذه الظاهرة الواقعية لها جذورها وحالاتها المماثلة في تراث السماء الذي امتدّ عبر الرسالات والزعامات الربّانيّة ويكفي مثالاً لظاهرة الإمامة المبكّرة في التراث الربّاني لأهل البيت عليهم السلام يحيى عليه السلام إذ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ [مريـــــم: ١٢]

«١» قد فعل المأمون ذلك، وانكشف لدى الخاص من العلماء مدى ما يمتلكه الإمام الجواد عليه السلام من الفقه والعلم. راجع: الصواعق المحرقة لابن حجر، ص١٢٣.

ومتى ثبت أنّ الإمامة المبكّرة ظاهرة واقعية وموجودة فعلاً في حياة أهل البيت عليهم السلام لم يعد هناك اعتراض فيما يخصّ إمامة المهديّ عليه السلام وخلافته لأبيه وهو صغير«١»"«٢»

«١» وقد شاهد خاصّة الشّيعة الإمام المهديّ واتّصلوا به، وأخذوا عنه، كما حصل عن طريق السفراء الأربعة. راجع: تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهديّ، البحراني. والإرشاد، الشيخ المفيد: ص٣٤٥، وراجع تفصيلاً وافياً في دفاع عن الكافي، السيد ثامر العميدي، ج١، ص٥٣٥ وما بعدها.

«٢» السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره بحث حول الإمام المهديّ عجل الله فرجه، ص٥١ ٦٠.

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في فكر الإمام الصادق عليه السلام

منهج الإمام الصادق عليه السلام في طرح موضوع الغيبة قد اتسم بالعمق والشمول والسعة بحيث استوعب الإجابة على ما يحيط بقضية الإمام المهدي عليه السلام من تساؤلات...

وها نحن نذكر مكوّنات الوحدة الموضوعية لغيبة إمام العصر والزمان في فكر الإمام الصادق عليه السلام، وبحسب العناوين الآتية:

أولاً: تثبيت أصل القضية

وفي هذا الصدد توجد أحاديث كثيرة عن الإمام الصادق عليه السلام في تثبيت أصل القضية المهدوية، وهو ما اتفقت عليه كلمة المسلمين من ظهور رجل في آخر الزمان من ذرية النبي صلى الله عليه وآله يلقب بالمهدي، ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأنه يقتل الدجال، وينزل عيسى بن مريم عليه السلام لنصرته، ويأتم بصلاته. ويدل عليْه ومن تلك الأحاديث:

١. عن معمر بن راشد، عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله جاء فيه... ومن ذرّيتي المهدي، إذا خرج نزل عيسى بن مريم لنصرته، فقدّمه وصلّى خلفه.

٢. وعن أبان بن عثمان، عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث قاله لعلي عليه السلام ...كان جبريل عليه السلام عندي آنفاً، وأخبرني أن القائم الذي يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً، من ذريتك، من وُلد الحسين عليه السلام.

٣. وعن معاوية بن عمّار، عن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث آخر... إن جبريل عليه السلام أتاني فأقرأني من ربي السلام، وقال يامحمد...، ومنكم القائم يصلي عيسى بن مريم خلفه، إذا أهبطه الله إلى الأرض، من ذرية علي وفاطمة عليهما السلام، من وُلد الحسين عليه السلام.

ثانياً: بيان حكم من أنكر هذا الأصل هنا نذكر عدة أحاديث لبيان هذا الأصل

١. عن صفوان بن مهران الجمّال، عن الإمام الصادق عليه السلام قال من أقرّ بجميع الأئمة وجحد المهدي كان كمن أقرّ بجميع الأنبياء وجحد محمداً صلى الله عليه وآله نبوته....

وقد مرّ عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث الثقلين ما يوضّح المراد بالأئمة، وسيأتي ذلك أيضاً.

٢. وعن غياث بن إبراهيم، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن آبائه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني.

جدير بالذكر أنّ لفظ «القائم» ينصرف عند الإطلاق ـ في عرف المحدّثين ـ إلى الإمام المهدي عليه السلام كما هو صريح جميع الروايات.

٣. وعن غياث أيضاً، عن الإمام الصادق عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال من أنكر القائم من ولدي في زمان غيبته مات ميتة جاهلية.

ويلحظ هنا ذِكر الغيبة في تثبيت أصل القضية وفي حكم من أنكرها معاً، ومنه يكتشف عمق مفهوم الغيبة المواكب لأصل القضية، وسوف يأتي ما يدل عليه في العناوين اللاحقة أيضاً.

ثالثاً: تأكيد وقوع الغيبة

١. عن زرارة، عن الإمام الصادق عليه السلام إن للقائم غيبة قبل أن يقوم، قلت ولِمَ؟ قال إنه يخاف، وأومأ بيده إلى بطنه، يعني القتل.

٢. وعن المفضل بن عمر، عن الإمام الصادق عليه السلام قال أما والله ليغيبنّ إمامكم سنين من دهركم، ولتمحصن حتى يقال مات أو هلك بأي واد سلك، ولتدمعنَّ عليه عيون المؤمنين ولتكفأنّ كما تكفأ السفن في أمواج البحر، ولا ينجو إلاّ من أخذ ميثاقه وكتب في قلبه الإيمان وأيده بروح منه، ولترفعن إثنتا عشرة راية مشتبهة لا يُدرى أيٌّ من أيٍّ، قال فبكيت، فقال لي ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ فقلت وكيف لا أبكي وأنت تقول إثنتا عشرة راية مشتبهة لا يُدرى أيٌّ من أيٍّ!! فكيف نصنع؟ قال فنظر إلى شمس داخلة في الصفّة، فقال يا أبا عبد الله ترى هذه الشمس؟ قلت نعم، قال والله لأمرنا أبين من هذه الشمس.

٣. وعن سدير الصيرفي، والمفضل بن عمر، وأبي بصير، وأبان بن تغلب، كلهم عن الإمام الصادق عليه السلام في حديث طويل جاء فيه قوله عليه السلام ...

سيدي غيبتك نفت رقادي، وضيّقت عليّ مهادي، وابتزت مني راحة فؤادي، سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد...، وحين سألوه عليه السلام عن سرّ توجعه، قال عليه السلام «نظرت في كتاب الجَفْر صبيحة هذا اليوم... وتأولت فيه مولد قائمنا، وغيبته، وإبطاءه، وطول عمره، وبلوى المؤمنين في ذلك الزمـــان، وتولد الشـــكوك في قلوبهم من طول غيبته...» «١» .

«١» مقال من مقالات الأستاذ ثامر العميدي.

كيف نؤمن بأنّ المهديّ قد وُجد؟

هل تكفي بضع روايات تنقل في بطون الكتب عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله للاقتناع الكامل بالإمام الثاني عشر، على الرغم ممّا في هذا الافتراض من غرابة وخروج عن المألوف؟

بل كيف يمكن أن نثبت أنّ للمهدي عليه السلام وجوداً تاريخياً حقّاً وليس مجرد افتراض توفّرت ظروف نفسية لتثبيته في نفوس عدد كبير من الناس؟

الجواب: إنّ فكرة المهديّ بوصفه القائد المنتظر لتغيير العالم إلى الأفضل قد جاءت في أحاديث الرسول الأعظم عموماً، وفي روايات أئمّة أهل البيت عليهم السلام خصوصاً، وأكّدت في نصوص كثيرة بدرجة لا يمكن أن يرقى إليها الشكّ. وقد أحصي أربعمائة حديث عن النبيّ صلى الله عليه وآله من طرق إخواننا أهل السنّة، كما أُحصي مجموع الأخبار الواردة في الإمام المهديّ من طرق الشيعة والسنّة فكان أكثر من ستة آلاف رواية، وهذا رقم إحصائي كبير لا يتوفّر نظيره في كثير من قضايا الإسلام البديهية التي لا يشكّ فيها مسلم عادة. وأما تجسيد هذه الفكرة في الإمام الثاني عشر عليه السلام فهذا ما توجد مبرّرات كافية وواضحة للاقتناع به.

ويمكن تلخيص هذه المبرّرات في دليلين:

أحدهما إسلامي.

والآخر علمي.

فبالدليل الإسلامي نثبت وجود القائد المنتظر.

وبالدليل العلمي نبرهن على أنّ المهديّ ليس مجرّد أُسطورة وافتراض، بل هو حقيقة ثبت وجودها بالتجربة التاريخية.

أما الدليل الإسلامي: فيتمثّل في مئات الروايات الواردة عن رسول الله والأئمّة من أهل البيت «١» ، والتي تدلُّ على تعيـــين المهديّ عليه السلام وكونه من أهل البيـــــت عليهم السلام :«٢»

أخرج أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجة ونعيم بن حمّاد في الفتن عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : "المهديّ منّا أهل البيت يصلحه الله في ليلة".

«١» هذه التساؤلات يطرحها السيد الشهيد رحمه الله بصفتها من الإشكالات التي أثيرت وتُثار عادةً حول المهديّ عجل الله فرجه الشريف ، وهي أقصى ما يُثار في هذا الصدد، حتى أنّ بعض الكتّاب المعاصرين قد أثاروها أخيراً مدفوعين بدوافع غير علمية، مصحوبة تلك الإثارة بضجيج مكثّف، ومحاولات بائسة من الوهابية لترويجها وتبنّيها، ولا تخفى الدوافع بعد ذلك على أحد. وقد أجاب الإمام الشهيد بجواب علمي لمن يريد الحقيقة. راجع ما كتبناه في المقدمة أيضاً. يلاحظ كتاب المهديّ للسيد "العم" الصدر قدس سره . الشهيد الصدر. راجع: ما أثبته الشيخ العبّاد في مجلد الجامعة الإسلامية ، العدد ٣ سنة ١٩٦٩. وراجـــــع: المهديّ الموعود المنتظر ، الشيخ نجم الدين العسكري.

«٢» راجع: معجم أحاديث الإمام المهديّ ، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة ، الجزء الأول ، أحاديث النبيّ صلى الله عليه وآله .

راجع: الحاوي للفتاوي / السيوطي ٢: ٢١٣ و٢١٥ وفيه، أيضاً: أخرج أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود، عن عليّ، عن النبيّ ﷺ قال: "لو لم يبقَ من الدهر إلاّ يومٌ لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً"، وراجع: صحيح سنن المصطفى ٢: ٢٠٧، وسنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٧ / ٢٤٠٨٥.

ومن ولد فاطمة عليها السلام :الحاوي للفتاوي / السيوطي جلال الدين ٢: ٢١٤، قال: وأخرج أبو داود وابن ماجة والطبراني والحاكم عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "المهديّ من عترتي من ولد فاطمة". راجع صحيح سنن المصطفى لأبي داود ٢: ٢٠٨.

ومن ذرية الحسين عليه السلام منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر / لطف الله الصافي الكلبكاني ص ٢٠٣ دلايل الامامة ،... قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تذهب حتى يقوم بأمر أمتي رجل من ولد الحسين يملأ الدنيا عدلاً كما ملئت ظلماً " – بتصرف الناقل-«١»

وأنه التاسع من ولد الحسين عليه السلام :

منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر / لطف الله الصافي الكلبكاني ص ٢٠٩/ ٢- كفاية الأثر:... قال: قال رسول الله ﷺ : " لا تقوم الساعة حتى يقوم قائم الحق

«١» حديث المهديّ من ذرية الحسين عليه السلام كما في المصادر الآتية على ما نقل في معجم أحاديث المهديّ وهي: الأربعون حديثاً لأبي نعيم الأصفهاني كما في عقد الدرر للمقدسي الشافعي، وأخرجه الطبراني في الأوسط على ما في المنار المنيف لابن القيّم، وفي السيرة الحلبية ١: ١٩٣، وفي القول المختصر لابن حجر.

منا ، و ذلك حين يأذن الله عز و جل فمن تبعه نجى، و من تخلف عنه هلك، فالله الله عباد الله ايتوه على الثلج !! فانه خليفة الله قلنا يا رسول الله متى يقوم قائمكم؟ قال: اذا صارت الدنيا هرجاً و مرجاً و هو التاسع من صلب الحسين " – بتصرف الناقل –«١»

وأن الخلفاء اثنا عشر:

حديث "الخلفاء بعدي اثنا عشر كلهم من قريش" أو "لا يزال هذا الدين قائماً ما وليه اثنا عشر، كلهم من قريش".

هذا الحديث متواتر، روته الصحاح والمسانيد بطرق متعدّدة وإن اختلف في متنه قليلاً.

فإنّ هذه الروايات تحدّد تلك الفكرة العامة وتشخيصها في الإمام الثاني عشر من أئمّة أهل البيت، وهي روايات بلغت درجة كبيرة من الكثرة والانتشار، على الرغم من تحفّظ الأئمّة واحتياطهم في طرح ذلك على المستوى العام، وقايةً للخلف الصالح من الاغتيال أو الإجهاز السريع على حياته«٢». و ليست الكثرة

«١» راجع الرواية التي تنص على أنّه التاسع من ولد الحسين عليه السلام في: ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي: ص ٤٩٢، وفي مقتل الإمام الحسين للخوارزمي ١: ١٩٦، وفي فرائد السمطين للجويني الشافعي ٢: ٣١٠ ـ ٣١٥ الأحاديث من ٥٦١ ـ

«٢»راجع الغيبة الكبرى / السيد محمد الصدر: ص ٢٧٢ وما بعدها. اختلفوا في تأويله واضطربوا. راجع: صحيح البخاري ٩: ١٠١ كتاب الأحكام ـ باب الاستخلاف، وصحيح مسلم ٢: ١١٩ كتاب الإمارة. مسند أحمد ٥: ٩٠، ٩٣، ٩٧.

العددية للروايات هي الأساس الوحيد لقبولها، بل هناك إضافة إلى ذلك مزايا و قرائن تبرهن على صحّتها، فالحديث النبوي الشريف عن الأئمّة أو الخلفاء أو الأمراء بعده وأنهم اثنا عشر إماماً أو خليفةً أو أميراً – على اختلاف متن الحديث في طرقه المختلفة – قد أحصى بعض المؤلفين رواياته فبلغت أكثر من مئتين وسبعين رواية«١» مأخوذة من أشهر كتب الحديث عند الشيعة والسنّة، بما في ذلك البخاري«٢» ومسلم«٣» والترمذي«٤» وأبي داود «٥»ومسند أحمد«٦» ومستدرك الحاكم على الصحيحين«٧»، ويلاحظ هنا أنّ البخاري الذي نقل هذا الحديث كان معاصراً للإمام الجواد والإمامين الهادي والعسكريّ، وفي ذلك مغزىً كبير، لأنه يبرهن على أنّ هذا الحديث قد سُجّل عن النبيّ قبل أن يتحقق مضمونه وتكتمل فكرة الأئمّة الاثني عشر فعلاً، وهذا يعني أنه لا يوجد أي

«١» راجع الغيبة الكبرى / السيد محمد الصدر: ص ٢٧٢ وما بعدها.

«٢» صحيح البخاري / المجلد الثالث / ٩: ١٠١، كتاب الأحكام ـ باب الاستخلاف. طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

«٣» راجع: التاج الجامع للأصول ٣: ٤٠، قال تعقيباً على الحديث: رواه الشيخان والترمذي، وفي الهامش قال: رواه أبو داود في كتاب المهدي بلفظ: "لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة..."، وراجع سنن أبي داود ٢: ٢٠٧.

«٤» المصدر السابق .

«٥» المصدر السابق .

«٦» مسند الإمام أحمد ٥: ٩٣، ١٠٠.

«٧» المستدرك على الصحيحين ٣: ٦١٨.

مجال للشك في أن يكون نقل الحديث متأثراً بالواقع الإمامي الاثني عشري وانعكاساً له، لأنّ الأحاديث المزيفة التي تنسب إلى النبيّ ـ وهي انعكاسات أو تبريرات لواقع متأخر زمنياً ـ لا تسبق في ظهورها وتسجيلها في كتب الحديث ذلك الواقع الذي تشكّل انعكاساً له، فما دمنا قد ملكنا الدليل المادي على أنّ الحديث المذكور سبق التسلسل التاريخي للأئمّة الاثني عشر، وضبط في كتب الحديث قبل تكامل الواقع الإمامي الاثني عشري، أمكننا أن نتأكد من أنّ هذا الحديث ليس انعكاساً لواقع وإنما هو تعبير عن حقيقة ربانية نطق بها من لا ينطق عن هوى «١»، فقال: "إنّ الخلفاء بعدى اثنا عشر"«٢». وجاء الواقع الإمامي الاثني عشري ابتداءً من الإمام عليّ وانتهاءً بالمهديّ ليكون التطبيق الوحيد المعقول«٣» لذلك الحديث النبوي الشريف.

«١» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٣-٤].

«٢» تقدّم تخريج الحديث .

«٣» اضطرب العلماء في تأويله بعد إطباقهم على صحته، وما أوردوه من مصاديق لا يمكن قبولها، بل أنّ بعضها غير معقول تماماً كإدخالهم يزيد بن معاوية المجاهر بالفسق، المحكوم بالمروق والكفر أو من هو على شاكلته. راجع ما نقله السيد ثامر العميدي من أقوالهم، وقد ناقش هذه القضية مناقشة وافية وعلمية، وأبطل تأويلاتهم بما لا مزيد عليه في دفاع عن الكافي ١ : ٥٤٠ وما بعدها.

وأما الدليل العلميّ: فهو يتكوّن من تجربة عاشتها أمّة من الناس فترة امتدّت سبعين سنة تقريباً وهي فترة الغيبة الصغرى. ولتوضيح ذلك نمهد بإعطاء فكرة موجزة عن الغيبة الصغرى«١»

إنّ الغيبة الصغرى تعبّر عن المرحلة الأولى من إمامة القائد المنتظر عليه الصلاة والسلام، فقد قدّر لهذا الإمام منذ تسلّمه للإمامة أن يستتر عن المسرح العام ويظلُّ بعيداً باسمه عن الأحداث، وإن كان قريباً منها بقلبه وعقله، وقد لوحظ أنّ هذه الغيبة إذا جاءت مفاجئة حقّقت صدمة كبيرة للقواعد الشعبية للإمامة في الأمة الإسلامية، لأنّ هذه القواعد كانت معتادة على الاتّصال بالإمام في كلّ عصر، والتفاعل معه والرجوع إليه في حلّ المشاكل المتنوّعة، فإذا غاب الإمام عن شيعته فجأة وشعروا بالانقطاع عن قيادتهم الروحية والفكرية، سبّبت هذه الغيبة«٢» المفاجئة الإحساس بفراغ دفعي هائل قد يعصف بالكيان كلّه ويشتّت شمله، فكان لابدّ من تمهيد لهذه الغيبة، لكي تألفها هذه القواعد بالتدريج، وتكيّف نفسها شيئاً فشيئاً على أساسها، وكان هذا التمهيد هو الغيبة الصغرى التي اختفى فيها الإمام المهديّ عن المسرح العام، غير أنه كان دائم الصلة بقواعده وشيعته عن طرق وكلائه ونوّابه، والثقات من أصحابه الذين يشكّلون همزة

«١» راجع: الغيبة الصغرى، السيد محمد الصدر، فقد توسّع في بحثها.

«٢» إشارة إلى الغيبة الكبرى.

الوصل بينه وبين الناس المؤمنين بخطه الإمامي«١» وقد شغل مركز النيابة عن الإمام في هذه الفترة أربعة ممّن أجمعت تلك القواعد على تقواهم وورعهم ونزاهتهم التي عاشوا ضمنها.

وهم كما يلي:

١. عثمان بن سعيد العمريّ.

٢. محمد بن عثمان بن سعيد العمريّ.

٣. أبو القاسم الحسين بن روح.

٤. أبو الحسن عليّ بن محمد السمريّ.

وقد مارس هؤلاء الأربعة «٢» مهامّ النيابة بالترتيب المذكور، وكلما مات أحدهم خلفه الآخر الذي يليه بتعيين من الإمام المهديّ عليه السلام. وكان النائب يتصل بالشيعة ويحمل أسئلتهم إلى الإمام، ويعرض مشاكلهم عليه، ويحمل إليهم أجوبته شفهية أحياناً وتحريريّة«٣» في كثير من الأحيان، وقد وجدت الجماهير التي فقدت رؤية إمامها العزاء والسلوة في هذه المراسلات والاتّصالات غير

«١» راجع: تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهديّ / السيد هاشم البحراني. ودفاع عن الكافي / السيد ثامر العميدي ١: ٥٦٨ وما بعدها.

«٢» راجع ترجمة هؤلاء الأربعة في كتاب الغيبة الصغرى للسيد محمد الصدر، الفصل الثالث: ص ٣٩٥ وما بعدها، نشر دارالتعارف للمطبوعات / بيروت ١٩٨٠.

«٣» وهذه تُعرف بالتوقيعات، وهي الأجوبة التحريريّة والشفويّة التي نقلت عن الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف. راجع: الاحتجاج / الطبرسي ٢: ٥٢٣ وما بعدها.

المباشرة. ولا حظت أنّ كلّ التوقعيات والرسائل كانت ترد من الإمام المهديّ عليه السلام بخطّ واحد وسليقة واحدة«١» طيلة نيابة النواب الأربعة التي استمرت حوالي سبعين عاماً، وكان السمّريّ هو آخر النواب، فقد أعلن عن انتهاء مرحلة الغيبة الصغرى التي تتميز بنوّاب معيّنين، وابتداء الغيبة الكبرى التي لا يوجد فيها أشخاص معيّنون بالذات للوساطة بين الإمام القائد والشيعة، وقد عبّر التحوّل من الغيبة الصغرى إلى الغيبة الكبرى عن تحقيق الغيبة الصغرى لأهدافها وانتهاء مهمته، لأنها حصّنت الشيعة بهذه العملية التدريجية عن الصدمة والشعور بالفراغ الهائل بسبب غيبة الإمام، واستطاعت أن تكيّف وضع الشيعة على أساس الغيبة، وتعدّهم بالتدريج لتقبّل فكرة النيابة العامة عن الإمام، وبهذا تحولت النيابة من أفراد منصوصين«٢» إلى خطّ عام«٣»، وهو خط المجتهد العادل البصير بأمور الدنيا والدين تبعاً لتحوّل الغيبة الصغرى إلى غيبة كبرى.

«١» مما استقر في الأوساط الأدبية وعند نقّاد الأدب قديماً وحديثاً أنّ الأسلوب هو الرجل، وهذه المقولة صحيحة. ومن هنا رأينا وسمعنا أنّ كثيراً من الأدباء وقارئي الأدب يميّزون بمجرّد قراءة النصّ شعريّاً كان أم نثريّاً أنه لفلان، وما ذلك إلاّ لأنّ الأسلوب هو الرجل، وأنّ لكلّ كاتب سمةً وطابعاً خاصّاً في كتابته يمكن تمييزه من غيره، هذا فضلاً على تميّز خطّه الشريف من غيره من الخطوط .

«٢» إشارة إلى النوّاب الأربعة المذكورين.

«٣» وهو ما اصطلح عليه بالمرجعيّة الدينيّة ، ويلاحظ هنا الصفات التي يرى الإمام الشهيد لزوم توفّرها في المرجعيّة.

والآن بإمكانك أن تقدّر الموقف في ضوء ما تقدم، لكي تدرك بوضوح أنّ المهديّ حقيقة عاشتها أمة من الناس، وعبّر عنها السفراء والنواب طيلة سبعين عاماً من خلال تعاملهم من الآخرين، ولم يلحظ عليهم أحدٌ كلّ هذه المدة تلاعباً في الكلام، أو تحايلاً في التصرف، أو تهافتاً في النقل. فهل تتصور - بربّك - أنّ بإمكان أكذوبة أن تعيش سبعين عاماً، ويمارسها أربعة على سبيل الترتيب كلهم يتّفقون عليها، ويظلّون يتعاملون على أساسها وكأنها قضية يعيشونها بأنفسهم ويرونها بأعينهم دون أن يبدر منهم أي شيء يثير الشكّ، ودون أن يكون بين الأربعة علاقة خاصة متميزة تتيح لهم نحواً من التواطؤ، ويكسبون من خلال ما يتّصف به سلوكهم من واقعية ثقة الجميع، وإيمانهم بواقعية القضية التي يدّعون أنهم يحسّونها و يعيشون معها؟!

لقد قيل قديماً: إنّ حبل الكذب قصير، ومنطق الحياة يثبت أيضاً أنّ من المستحيل عمليّاً بحساب الاحتمالات أن تعيش أكذوبة بهذا الشكل، وكلّ هذه المدّة، وضمن كلّ تلك العلاقات والأخذ والعطاء، ثمّ تكسب ثقة جميع من حولها.

وهكذا نعرف أنّ ظاهرة الغيبة الصغرى يمكن أن تعتبر بمثابة تجربة علمية لإثبات ما لها من واقع موضوعيّ، والتسليم بالإمام القائد بولادته«١» وحياته

«١» إنّ اتّصال الإمام القائد المهديّ بقواعده الشيعيّة عن طريق نوابه ووكلائه، أو بأساليب أخرى متنوّعة واقع تاريخي موضوعي ليس من سبيل إلى إنكاره، كما في السفارة، فضلاً عن الدلائل الأخرى الكثيرة المستندة إلى إخبار من يجب تصديقه، ثم هو مقتضى الأحاديث المتواترة، كحديث: "من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهلية"، وغير ذلك. إنّ كلّ ذلك مجموعاً

الموضوع الأول: ولادة الامام المهدي ﷻ ونشأته..........................٤٩

وغيبته، وإعلانه العام عن الغيبة الكبرى التي استتر بموجبها عن المسرح ولم يكشف نفسه لأحد«١»

ـ وهو محل اتّفاق أكثر طوائف الملّة الإسلامية ـ يدحض وبشكل قاطع ما يثيره المتشكّكون حول وجود الإمام واستمرار حياته المباركة الشريفة، راجع: الغيبة الصغرى / السيد محمد الصدر: ص ٥٦٦. وراجع ما أثبتناه في المقدمة: ص ١٥ وما بعدها.

«١» ورد التوقيع الشريف عن الإمام القائد المهديّ ﷻ بعدم إمكان رؤيته بشكل صريح بعد وقوع الغيبة الكبرى، وهذا محل اتّفاق علماء الإمامية. وراجع مناقشة المسألة في: الغيبة الصغرى / السيد محمد الصدر: ص ٦٣٩ وما بعدها.

البشارات السماوية لا تنطبق على غير المهدي عجل الله فرجه

إن من الواضح لمن يمعن النظر في نصوص تلك البشارات السماوية أنها تقدم مواصفات للمصلح العالمي لا تنطبق على غير المهدي المنتظر الإمامي طبقاً لعقيدة مدرسة أهل البيت عليهم السلام لذلك فإن مَن لم يتعرف على هذه العقيدة لا يستطيع التوصل الى المصداق الذي تتحدث عنه كما نلاحظ ذلك مثلاً في أقوال مفسري الإنجيل بشأن الآيات «من سفر الرؤيا الفصل الثاني عشر «مكاشفات يوحنا اللاهوتي» فهم يصرحون بأن «الشخص الذي تتحدث عنه البشارة الواردة في هذه الآيات لم يُولد بعد، لذا فإن تفسيرها الواضح ومعناها البيّن موكول للمستقبل والزمان المجهول الذي سيظهر فيه» «١»، في حين أن هذه الآيات تتحدث بوضوح عن الحكومة الإلهية التي يقيمها هذا الشخص في كل العالم ويقطع دابر الأشرار والشياطين وهي المهمة التي حددتها البشارات الاخرى بأنها محور حركة المصلح العالمي. لكن مفسري الإنجيل لم يستطيعوا تطبيقها على المصداق الذي اختاروه لهذا المصلح وهو السيد المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام لأن البشارة واردة عن يوحنا اللاهوتي عن السيد المسيح فهو المبشر

«١» سفر الرؤيا ١٢: ١٣.

بمجيء هذا المنقذ، كما أنهم لم يتعرفوا على عقيدة أهل البيت عليهم السلام في المهدي المنتظر عليه السلام، لذلك لم يستطيعوا الاهتداء الى مصداق تلك الآيات.

البشارات وغيبة الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف

وهناك باحث من أهل السنّة استطاع الاهتداء الى المصداق الذي تتحدث الآيات المشار اليها عندما تعرّف على عقيدة أهل البيت في المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف وهو الاستاذ سعيد أيوب حيث يقول في كتابه «المسيح الدجال» عن هذه الآيات نفسها: «ويقول كعب: مكتوب في أسفار الأنبياء: المهدي ما في عمله عيب» ثم علق على هذا النص بالقول: «وأشهد اني وجدته كذلك في كتب اهل الكتاب، لقد تتبع اهل الكتاب أخبار المهدي كما تتبعوا أخبار جده صلى الله عليه وآله ، فدلت أخبار سفر الرؤيا الى امرأة، يخرج من صلبها اثنا عشر رجلاً، ثم أشار الى امرأة أُخرى: أي التي تلد الرجل الأخير الذي هو من صلب جدته، وقال السفر: إن هذه المرأة ستحيط بها المخاطر، ورمز للمخاطر باسم «التنين» وقال: والتنين وقف أمام المرأة العتيدة حتى تلد، يبتلع ولدها متى ولدت» «١»

أي إن السلطة كانت تريد قتل هذا الغلام، ولكن بعد ولادة الطفل. يقول باركلي في تفسيره: «عندما هجمت عليها المخاطر اختطف الله ولدها وحفظه». والنص: واختطف الله ولده، أي: إن الله غيّبَ هذا الطفل كما في قول باركلي.

«١» المسيح الدجال، سعيد أيوب: ٣٧٩ ـ ٣٨٠ / نقلاً عن المهدي المنتظر في الفكر الاسلامي، اصدار مركز الرسالة: ١٣ ـ ١٤.

وذكر السفر أن غيبة الغلام ستكون ألفا ومائتين وستين يوم «١»، وهي مدة لها رموزها عند أهل الكتاب، ثم قال: باركلي عن نسل المرأة «الأُولى» عموماً: «إن التنين سيعمل حرباً شرسة مع نسل المرأة كما قال: في السفر: فغضب التنين على المرأة، وذهب ليضع حرباً مع باقي نسلها الذي يحفظون وصايا الله» «٢»

وعقب الاستاذ سعيد أيوب على ما تقدم بالقول: هذه هي أوصاف المهدي، وهي نفس أوصافه عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ودعم قوله بتعليقات أوردها في الهامش بشأن انطباق الأوصاف على مهدي آل البيت عليهم السلام «٣».

«١» أهل البيت في الكتاب المقدس، احمد الواسطي: ١٠٥ ـ ١٠٧.

«٢» راجع الفصل الأول من كتاب منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر لآية الله الشيخ لطف الله الصافي، فقد نقل فيه «٢٧١» حديثاً من المصادر الحديثية المعتبرة عند مختلف طوائف المسلمين تشتمل على إخبار النبي صلى الله عليه وآله باتصال الإمامة في هؤلاء الأئمة الاثني عشر من أهل بيته عليهم السلام الى يوم القيامة وفيها أحاديث تنص صراحة على اسمائهم أو تحدد أن أوّلهم الإمام علي عليه السلام وآخرهم الإمام المهدي عليه السلام، وللشيخ الصافي في هذا الفصل تعليقة استقرائية تأريخية تثبت عدم صدق هذه الأحاديث على غير الائمة الاثني عشر من عترة آل الرسول صلى الله عليه وآله.

«٣» اختص هذا اللقب بأئمة العترة الطاهرة، واذا اُطلق كان المراد منه الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عليه السلام ، راجع كتاب النجم الثاقب لآية الله الميرزا حسين النوري ١: ٢١١، من الطبعة المترجمة الى العربية، وقد ذكر الميرزا النوري أن هذا اللقب مذكور في الزبور الثالث عشر وغيره، نقل ذلك عن كتاب ذخيرة الألباب للشيخ محمد الاسترابادي.

البشارات وخصوصيات المهدي عليه السلام

ويُلاحظ في هذه البشارات الإنجيلية تناولها لخصوصيات في المصلح العالمي لا تنطبق إلا على أبرز ما يميز عقيدة مدرسة أهل البيت عليهم السلام والواقع التاريخي الذي مرت به.

إن تناول هذه الخصوصيات الظاهرة بالذات يشير الى حكمة ربانية في هداية الآخرين الى المصداق الحقيقي للمصلح العالمي بأبلغ حجة من خلال الإشارة الى أبرز خصوصياته الظاهرة والمعروفة لكي يكون الاهتداء اليها أيسر، فمثلاً نلاحظ فيها الإشارة الى تعرض مدرسة أهل البيت عليهم السلام لمخاطر التصفية والإبادة التي تؤدي بالتالي الى غيبة الإمام الثاني عشر منهم، ثم التأكيد على أن هذا الإمام محفوظ بالرعاية الإلهية في غيبته حتى يحين موعد ظهوره المبارك.

ومعلوم أن القول بغيبة الإمام الثاني عشر هو أهم ما يميز عقيدة الامامية في المهدي المنتظر ولذلك وردت الإشارة اليها بالذات تسهيلاً للاهتداء الى المصداق الحقيقي للمنقذ العالمي.

كما وردت اشارات الى مميزات معروفة اخرى تختص بها عقيدة أئمة أهل البيت عليهم السلام ، مثل القول بأنّ الإمام المهدي هو الإمام الثاني عشر من سلسلة مباركة متصلة كما تشير لذلك الآيات المتقدمة وبشارات اخرى واردة في الكتب المقدسة، نظير ما ورد في «سفر التكوين من الأصل العبري» «١»، من الوعد على

«١» أهل البيت في الكتاب المقدس: ١٢٣ ـ ١٢٧.

لسان الرب تعالى خطاباً لإبراهيم الخليل عليه السلام ، بالمباركة والتكثير في صلب اسماعيل بمحمد صلى الله عليه وآله والأئمة الاثني عشر من عترته عليهم السلام «١» . ومعلوم أن مصداق الأئمة الاثني عشر من صلب اسماعيل لم يتحقق بالصورة المتسلسلة المشار اليها في البشارات إلا في الائمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام كما يثبت ذلك الواقع التاريخي فضلاً عن الأحاديث النبوية المتفق على صحتها بين المسلمين «٢»، فهي خاصة بهم حتى اصبحت ظاهرة واضحة في التاريخ الاسلامي اُطلقت على المذهب المنتمي لأهل البيت فسمي مذهب الإمامية الاثني عشرية.

وعليه يتضح أن تلك البشارات تهدي الى حقيقة هي: أن المهدي هو خاتم هؤلاء الأئمة الاثني عشر.

البشارات وأوصاف المهدي عليه السلام

وردت في البشارات أيضاً اشارات الى ألقاب اختص بها المهدي الإمامي عليه السلام مثل وصف «القائم» «٣» فمثلاً نلاحظ البشارة التالية من سفر أشعيا النبي التي تحدث القاضي جواد الساباطي عن دلالتها على المهدي وفق عقيدة الإمامية

«١» النجم الثاقب: ٢ / ١٩٨.

«٢» بشارات العهدين: ٢٧٧.

«٣» الكتاب المقدس تحت المجهر: ١٥٥، نقلاً عن كتاب دفاع عن الكافي للسيد ثامر العميدي: ١، وراجع بشأن هذه البشارة، أهل البيت في الكتاب المقدس: ١ / ١٨٥ ـ ١٨٦.

الاثني عشرية «١» ـ ويحلُ عليه روح الرب، وروح الحكمة والفهم، وروح المشورة، والقوة، وروح المعرفة ومخافة الرب «٢» ـ ولذته في مخافة الرب، ولا يقضي بحسب مرأى عينيه ولا بحسب مسمع أُذنيه، ـ ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه ويميت المنافق بنفخة شفتيه.... ـ ويسكن الذئب والخروف، ويربض النمر مع الجدي، والعجل والشبل معاً وصبي صغير يسوقها... لا يسيئون ولا يفسدون في كل جبل قدسي لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب كما تغطي المياه البحر. وفي ذلك اليوم سيرفع «القائم» راية الشعوب والأُمم التي تطلبه وتنتظره ويكون محله مجداً».

ومثل وصف «صاحب الدار» المعدود من ألقاب الإمام المهدي عليه السلام ، فقد وردت ضمن بشارات عن انتظار المنقذ العالمي الذي لا يختص به المسيحيون اشارة الى عدم هذا الاختصاص وتحدثت عن ظهوره المفاجئ وهي في «إنجيل مرقس، ١٣: ٣٥».

ومثل وصف «المنتقم لدم الحسين عليه السلام المستشهد عند نهر الفرات» كما ورد في بشارة في «سفر أرميا، ٤٦ / ٢ ـ ١١».

«١» راجع مثلاً ما نقله الشيخ الصادقي ـ في كتابه بشارات العهدين ـ من كتب الأديان الأُخرى.

«٢» بل أثبتت دراسات عدد من علماء أهل السنّة تواتر هذه الأحاديث الشريفة، مثل كتاب التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح للإمام الشوكاني، وكتاب الاشاعة في أشراط الساعة للبرزنجي، وكتاب التصريح للكشميري وغيرها.

وقد صرّح بذلك الاستاذ الأردني عودة مهاوش في دراسته «الكتاب المقدس تحت المجهر» وذكر أنها تتعلق بالمهدي المنتقم لدم الحسين عليه السلام . وهناك نظائر كثيرة لا يتسع المقام لذكرها.

الاهتداء الى هوية المنقذ على ضوء البشارات

اذن معرفة هذه الخصوصيات تقودنا الى اثبات أن المصلح العالمي الذي بشرت به جميع الديانات هو المهدي ابن الحسن العسكري عليهما السلام كما تقوله عقيدة أهل البيت عليهم السلام لأن البشارات السماوية لا تنطبق على العقائد الأُخرى، فتكون النتيجة هو أن الديانات السابقة لم تبشر بظهور المنقذ العالمي في آخر الزمان بعنوانه العام وحسب بل شخّصت أيضاً هويته الحقيقية من خلال تحديد صفات وتفصيلات لا تنطبق على غيره عليه السلام ، وهكذا تكون هذه البشارات دليلاً اضافياً على صحة عقيدة أهل البيت عليهم السلام بهذا الشأن.

ونكتفي هنا بالإشارة الى بعض البشارات الواردة في العهدين القديم والجديد «أسفار التوراة والأناجيل» بهذا الصدد، بحكم كونها معتبرةً عند أكبر وأهم الديانات السابقة على الاسلام أي اليهودية والنصرانية، ولأن هذين العهدين الموجودين حالياً قد مرّا بالكثير من التحقيق والتوثيق عند علماء اليهود والنصارى وأُجريت بشأنهما الكثير من الدراسات ودونت الكثير من الشروح لهما، ونسخهما كثيرة ومتداولة بترجمات كثيرة لمختلف اللغات، غير أنّ الاعتماد على الأُصول العبرية أدق لوقوع أخطاء ولبس في الترجمات.

فالاقتصار عليهما لا يعني انحصار البشارات التي لا يمكن تفسيرها بغير المهدي المنتظر عليه السلام طبق عقيدة مذهب أهل البيت عليهم السلام ، بل على العكس فإنّ امثالها موجودة في مختلف كتب الأديان الأُخرى وبتصريحات ودلالات أوضح ذكرتها الدراسات المتخصصة في هذا الباب. ولكنها غير مشهورة عند الجميع ونسخها غير متداولة وأغلبها لم تترجم عن لغاتها الأُم إلا قليلاً. على أنّ الاقتصار على النماذج المتقدمة من العهدين القديم والجديد فيه الكفاية في الاستدلال على المطلوب، والتفصيلات موكولة للمراجع المتخصصة.

الاستناد الى بشارات الكتب السابقة ومشكلة التحريف

وتبقى هنا قضيتان من الضروري التطرّق لهما قبل تثبيت النتائج المتحصّلة من البحث.

القضية الأولى: هي مناقشة السؤال التالي: كيف يمكن الاستناد الى كتب الديانات الأُخرى في اثبات قضية مهمة مثل قضية تشخيص هوية المصلح العالمي المنتظر واثبات أنه المهدي ابن الحسن العسكري عليهما السلام ، واثبات صحة هذه العقيدة وانتمائها الإلهي مع اتفاق المسلمين على وقوع التحريف في هذه الكتب؟

نعتقد أن الاجابة على هذا التساؤل ممكنة بقليل من التدبر في حيثيات الموضوع، ويمكن تلخيصها بما يلي:

١ ـ إن اثبات عقيدة منهج أهل البيت عليهم السلام في المهدي المنتظر عليه السلام يستند الى الكثير من البراهين العقلية والآيات القرآنية وما اتفق عليه المسلمون من صحاح

الأحاديث النبوية والواقع التاريخي لسيرة ائمة أهل البيت عليهم السلام ، كما هو مشهود في الكتب العقائدية التي تناولت هذا الموضوع.

أما الاستناد الى البشارات الواردة في كتب الأديان المقدسة فهو من باب الدليل الاضافي أو الشواهد المؤيدة فلا تسقط النتيجة المتحصلة منه بسقوط أو بطلان الأساس لأن هذه العقيدة قائمة على أُسس أُخرى أيضاً، اذن لا مجال للاعتراض على صحة هذه العقيدة حتى مع افتراض بطلان بعض أُسسها باعتبار القول بتحريف تلك الكتب.

٢ ـ ثمة ثمار مهمة لدراسة وتوثيق هذا الدليل، وهي هداية اتباع الديانات الأُخرى الى الحق والى المصلح الإلهي الحقيقي بالاستناد الى كتبهم نفسها وفي ذلك حجة كاملة عليهم، هذا أولاً، وثانياً فإنّ مثل هذه الدراسة تؤكد الجانب العالمي في القضية المهدوية، وتوفر محوراً جديداً للوفاق بين الأديان المختلفة بشأن المصلح العالمي الذي ينتظرونه جميعاً.

٣ ـ وليس ثمة مَن يقول بأن جميع ما في كتب الأديان السابقة محرف، بل إن المتفق عليه بين المسلمين وقوع التحريف في بعضها وليس في كلها. لذلك فإنّ ما صدّقته النصوص الشرعية الاسلامية ـ قرآناً وسنّة ـ مما في الكتب السابقة محكوم بالصحة وعدم تطرق التحريف اليه، وهذا واضحٌ.

الاستناد الى ما صدّقه الاسلام من البشارات

١ ـ من الثابت اسلامياً أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله قد بشّر بالمهدي الموعود من أهل بيته ومن ولد فاطمة عليها السلام ، لذلك فإن البشارات الواردة في كتب الأديان السابقة

من هذا النمط الذي لم تطاله أيدي التحريف ما دامت منسجمة مع ما صرح في النصوص الشرعية الاسلامية. اذن لا مانع من الاستناد اليه والاحتجاج به.

٢ ـ يُضاف الى ذلك أن القرآن الكريم نفسه قد بشّر بالدولة الإلهية العالمية واقامتها في آخر الزمان كما صرحت بذلك آياته الكريمة التي دلّ عددٌ منها على المهدي الموعود وحتمية وجوده وغيبته، كما سنوضح ذلك في بحث لاحق ان شاء الله تعالى. وهذا يعني تصديق ما ورد في بشارات الأديان السابقة الواردة بالمضمون نفسه، الأمر الذي يعني صدورها من نفس المصدر الذي صدر منه القرآن الكريم، وبالتالي الحكم بصحتها وعدم تطرق التحريف اليها، فلا مانع حينئذ من الاستناد اليها والاحتجاج بها في إطار المضامين التي صدّقها القرآن الكريم.

٣ ـ إن بعض هذه البشارات ترتبط بواقع خارجي معاش أو ثابت تاريخياً، بمعنى أن الواقع الخارجي الثابت جاء مصدِّقاً لها. فمثلاً البشارات التي تشير الى ان المصلح العالمي هو الإمام الثاني عشر من ذرية اسماعيل وأنه من ولد خيرة الإماء وأن ولادته تقع في ظل اوضاع سياسية خانقة ومهددة لوجوده فيحفظه الله ويغيّبه عن أعين الظالمين الى حين موعد ظهوره وأمثالها، كلها تنبأت بحوادث ثابتة تاريخياً، وهذا يضيف دليلاً آخر على صحتها، مادام أن من الثابت علمياً أنها مدونة قبل وقوع الحوادث التي أخبرت عنها، فهي في هذه الحالة تثبت أنها من أنباء الغيب التي لا يمكن أن تصدر إلا ممّن له ارتباط بعلاّم الغيوب تبارك

وتعالى. وبذلك يمكن الحكم بصحّتها وعدم تطرق التحريف اليها، وبالتالي يمكن الاستناد اليها والاحتجاج به.

تأثير البشارات في صياغة العقيدة المهدوية

أما القضية الثانية: فهي ترتبط بالاعتراض القائل بأن الاستناد الى هذه البشارات في اثبات عقيدة أهل البيت عليهم السلام في المهدي المنتظر عليه السلام يفتح باب التشكيك والادّعاء بأن هذه العقيدة تسللت الى الفكر الاسلامي من الاسرائيليات ومحرفات الأديان السابقة.

والجواب على هذا الاعتراض يتّضح من الإجابة السابقة، فهو يصح إذا كانت العقيدة الإمامية المهدوية تستند الى تلك البشارات وحدها في حين أن الأمر ليس كذلك.

ولو قلنا بأن كل فكرة اسلامية لها نظير في الأديان السابقة هي من الأفكار الدخيلة في الإسلام لأدى الأمر الى اخراج الكثير من الحقائق والبديهيّات الاسلامية التي أقرّها القرآن الكريم وصحاح الأحاديث الشريفة وهي موجودة في الأديان السابقة، وهذا واضح البطلان ولا يخفى بطلانه على ذي لب. فالمعيار في تشخيص الأفكار الدخيلة على الاسلام هو عرضها على القرآن والسنّة والأخذ بما وافقهما ونبذ ما خالفهما، وليس عرضها على ما في كتب الديانات السابقة ونبذ كل ما وافقها مع العلم بأن فيها ما لم تتطرق له يد التحريف وفيه ما ثبت صدوره عن المصدر الذي صدر عنه القرآن الكريم.

يُضاف الى ذلك أن عقيدة الإمامية في المهدي المنتظر عليه السلام تستند الى واقع تأريخي ثابت، فكون الإمام المهدي هو الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام ثابت تاريخياً وحتى ولادته الخفية من الحسن العسكري عليه السلام قد سجلها المؤرخون من مختلف المذاهب الاسلامية وأقرها علماء مختلف المذاهب حتى الذين لم يذعنوا أنّه هو المهدي الموعود وإن كان عدد الذين صرحوا بأنه هو المهدي من علماء أهل السنّة غير قليل أيضا.

نتائج البحث: نصل الى القسم الأخير من البحث، وهو تسجيل النتائج الحاصلة منه في النقاط التالية:

١. ان اصل فكرة الايمان بالمصلح العالمي في آخر الزمان وإقامة الدولة العادلة التي تحقق السعادة الحقّة للبشرية جمعاء تستند الى جذور فطرية في الانسان تنبع من فطرة تطلّعه الى الكمال، ولذلك لاحظنا اجماع مختلف التيارات الفكرية الانسانية حتى المادية منها على حتمية تحقق هذا اليوم الموعود. أما الفكر الديني فهو مجمع عليها لتواتر البشارات السماوية في كتب الأديان المختلفة بذلك. فلا يمكن قبول ما زعمه بعض المستشرقين بأن هذه الفكرة المجمع عليها تستند الى الخرافات والأساطير.

٢. إن القول بوجود المهدي الموعود بالفعل وغيبته ـ وهو الذي يؤمن به مذهب أهل البيت عليهم السلام ويتميز عن عقيدة أهل السنّة في المهدي الموعود ـ غير مستبعد لا في الفكر الإنساني الذي يرى أن من الضروري أن يكون عمر المصلح العالمي طويلاً، ولا من الفكر الديني الذي اقترن إيمانه

بالمصلح العالمي بالإيمان بأنه يعود بعد غيبة. بل إن وقوع الغيبات في تأريخ الأنبياء عليهم السلام يدعم هذا القول ويعززه.

٣. إن إجماع الأديان السماوية على الايمان بالمصلح العالمي وغيبته قبل الظهور اقترن بالاختلاف الشديد في تحديد هويته، وهو اختلاف ناشئ من جملة من العوامل، منها: ان البشارات الواردة في الكتب المقدسة بشأنه تتحدث عن قضية غيبية، والانسان بطبعه ميّال لتجسيد الحقائق الغيبية في مصاديق محسوسة يعرفها. ومنها: أن التعصب المذهبي والرغبة في الفوز بافتخار الانتماء لصاحب هذا الدور التاريخي المهم دفعت اتباع كل دين الى تأويل تلك البشارات أو خلطها بالبشارات الواردة بشأن نبي أو وصي معين غير المصلح العالمي أو تحريفها لتطبيقها على الأقرب من المواصفات التي تذكرها من زعمائهم ورموزهم الدينية. فالاختلاف ناشئ من سوء تفسير وتطبيق البشارات السماوية وليس من نصوص البشارات نفسها.

٤. إن سبيل حل الاختلاف هو تمييز البشارات الواردة بشأن المصلح العالمي عن غيرها المرتبطة بغيره من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، ثم تحديد الصورة التي ترسمها بنفسها للمصلح العالمي بعيداً عن التأثر بالمصاديق المفترضة سلفاً. ثم عرض المصاديق عليها لمعرفة هويته الحقيقية استناداً الى الواقع التاريخي القابل للإثبات وبعيداً عن حصر هذه المصاديق المفترضة برموز دين معين، بل عرض كل مصداق مرشح من قبل أي دين أو مذهب على الصورة التي ترسمها نصوص البشارات بصورة تجريدية.

٥. إن تلك البشارات السماوية تهدي ـ بناءً على هذا المنهج العلمي ـ الى معرفة حقيقية هي أن المصلح العالمي الذي بشرت به هو الإمام الثاني عشر من عترة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وهو صاحب الغيبة التي يضطر إليها بسبب تربّص الظلمة به لتصفيته، أي إنها تهدي الى المهدي الإمامي الذي يقول به مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وقد صرحت تلك البشارات بالهداية اليه من خلال ذكر صفات لا تنطبق على غيره، ومن خلال ذكر خصائص فيه امتاز بها واشتهرت عنه كما لا حظنا.

٦. ان الاستناد الى هذه البشارات في إثبات صحة عقيدة أهل البيت عليهم السلام في المهدي المنتظر عليه السلام يشكل دليلاً آخر في إثبات هذه العقيدة يضاف الى الأدلة العقلية والقرآنية وما صح لدى المسلمين من الأحاديث الشريفة، ولا مانع من الاستدلال بهذه البشارات بعدما ثبت أن التحريف في الديانات السابقة لم يشمل كل نصوصها الموحاة، فيمكن الاستناد الى ما صدقته النصوص الشرعية الاسلامية مما ورد في كتب الديانات السابقة، وكذلك ما صدقه الواقع التأريخي الكاشف عن صحة ما أخبرت عنه باعتباره من أنباء الغيب التي لا يعلمها سوى الله تعالى، ومنها أخبار المهدي عليه السلام .

٧. إن في الاستناد الى بشارات الأديان السابقة في اثبات صحة عقيدة أهل البيت عليهم السلام في المهدي الموعود واضافته الى الأدلة الشرعية والعقلية الأُخرى ثماراً عديدة، منها: الكشف عن أهمية هذه العقيدة وترسيخ

الايمان بها لدى اتباعها، ومنها: إعانة أتباع الديانات والمذاهب الأخرى على الاهتداء لمعرفة هوية المصلح العالمي الذي بشرت به نصوص كتبهم المقدسة ودعوتهم الى الاسلام من هذا الطريق، والاحتجاج عليهم بالنصوص المعتبرة عندهم وهو احتجاج أبلغ في الدلالة، ومنها: ايجاد محور توحيدي لدعاة الاصلاح الديني من اتباع مختلف الديانات يعزز جهودهم وينسقها، يقوم على أساس الايمان بهذا المصلح العالمي ووجوده فعلاً ورعايته لجهود المُمهّدين لظهوره طبقاً للعقيدة الاسلامية الأوسع شمولية وتفصيلاً في عرض هذه الفكرة العريقة في الفكر الديني والانساني.

يقول العلامة الشهيد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر قدس سره: وإذا كانت فكرة المهدي أقدم من الإسلام وأوسع منه، فإن معالمها التفصيلية التي حددها الإسلام جاءت أكثر اشباعاً لكل الطموحات التي انشدّت الى هذه الفكرة منذ فجر التأريخ الديني، وأغنى عطاءاً وأقوى إثارة لأحاسيس المظلومين والمعذّبين على مر التأريخ. وذلك لأن الإسلام حوّل الفكرة من غيب الى واقع، ومن مستقبل الى حاضر، ومن التطلع الى منقذ تتمخض عنه الدنيا في المستقبل البعيد المجهول الى الإيمان بوجود المنقذ فعلاً، وتطلعه مع المتطلعين الى اليوم الموعود الى اكتمال كلّ الظروف التي تسمح له بممارسة دوره العظيم.

فلم يعد المهدي عليه السلام فكرة ننتظر ولادتها، ونبوءة نتطلع الى مصداقها، بل واقعاً قائماً ننتظر فاعليته، وإنساناً معيّناً يعيش بيننا بلحمه ودمه، نراه ويرانا، ويعيش

آمالنا وآلامنا ويشاركنا أحزاننا وأفراحنا، ويشهد كل ما تزخر به الساحة على وجه الأرض من عذاب المعذّبين وبؤس البائسين وظلم الظالمين، ويكتوي بذلك من قريب أو بعيد، وينتظر بلهفة اللحظة التي يُتاح له فيها أن يمدّ يده الى كل مظلوم وكل محروم وكل بائس ويقطع دابر الظالمين.

وقد قُدّر لهذا القائد أن لا يُعلن عن نفسه ولا يكشف للآخرين هويّته ووجوده على الرغم من أنه يعيش معهم انتظاراً للحظة الموعودة.

ومن الواضح أن الفكرة بهذه المعالم الإسلامية تقرّب الهوّة الغيبية بين المظلومين كل المظلومين والمنقذ المنتظر، وتجعل الجسر بينهم وبينه في شعور هم النفسي قصيراً مهما طال الانتظار.

ونحن حينما يُراد منّا أن نؤمن بفكرة المهدي بوصفها تعبيراً عن إنسان حي محدد يعيش فعلاً كما نعيش، ويترقب كما نترقب، يُراد الإيحاء إلينا بأن فكرة الرفض المطلق لكل ظلم وجور، والتي يمثلها المهدي، تجسدت فعلاً في القائد الرافض المنتظر، الذي سيظهر وليس في عنقه بيعة لظالم كما في الحديث، وإنّ الإيمان به إيمان بهذا الرفض الحي القائم فعلاً ومواكبة له» «١»

«١» أعلام الهداية.

إمكانية العمر الطويل للمهدي عجل الله فرجه

إن منهج البحث حول موضوع وجود الإمام المنتظر عليه السلام، وحول محاولة الإجابة على السؤال التالي:

كيف يعيش الإمام المنتظر عليه السلام هذه المدة الطويلة من السنين؟!

في مقام الجواب لابد من اثبات إمكانية بقاء الإنسان حياً مدة طويلة من السنين تتجاوز الحدود الاعتيادية لعمر الإنسان ومن ثم اثبات العمر الطويل لإمام المنتظر عليه السلام حياً هذه المدة الطويلة من السنين:

١. حول الإمكان

أن مسألة إثبات إمكان بقاء الإنسان حياً عمراً طويلاً من السنين تقتضي الحديث على الصعيدين الفلسفي والعلمي تمشياً مع مناهج البحث حول المسألة قديماً وحديثاً:

أ–على الصعيد الفلسفي

من المعلوم أن الاستحالة ما لم ترجع إلى البداهة لا تعد استحالة.

وبتعبير فلسفي: إن الاستحالة إذا لم ترجع بالنهاية إلى اجتماع النقيضين لا تعد استحالة.

وهنا في مسألتنا: من البداهة بمكان أن بقاء إنسان ما حياً آلاف السنين يتمتع بعمر فوق الاعتيادي، وكون أناس آخرين لا يتمتعون بعمر فوق الاعتيادي لا يلزم منه اجتماع النقيضين، وذلك لاختلاف موضوع كل من القضيتين.

فمثلاً: اعتبار خالد في هذا الآن غير موجود، واعتبار محمد في الآن نفسه موجوداً، لا يلزم منه اجتماع الوجود وعدمه في إنسان واحد، وذلك لاختلاف ومغايرة موضوع القضية الأولى وهو خالد لموضوع القضية الثانية وهو محمد.

ومن المعلوم بالضرورة أن من أوليات شروط التناقض وحدة موضوع كل من القضيتين.

ب-على الصعيد العلمي

ومن المعلوم أيضاً أن العلم يستند-عادة-في إعطاء نتائجه حول قضية ما إلى التجربة.

والتجربة حينما تجري على موضوع معين في ظروف وملابسات معينة، لا يصح تعميم نتائجها إلى نفس الموضوع، حينما يكون في ظروف وملابسات أخرى غير تلكم الظروف والملابسات التي اكتنفته حين التجربة.

وهو-أعني عدم صحة التعميم في أمثال هذه القضايا-من الأصول المسلمة والشروط البديهية لدى العلماء.

فمثلاً: حينما تجري التجربة على «خالد» بصفته إنساناً وهو في ظروفه الاعتيادية لمعرفة مدى بقائه حياً، ومدى مقاومته لعوادي الطبيعة التي من شأنها القضاء عليه، فتنهينا التجربة إلى أنه ليس باستطاعة مثل هذا الإنسان أن يعيش أكثر من

«١٢٠» سنة، لا يصح أن تعمم نتيجة هذه التجربة لكل إنسان حتى من يكون في غير الظروف الاعتيادية التي أحاطته حالة التجربة، إذ من الجائز أن يبقى إنسان آخر، أو خالد نفسه، حياً أطول بكثير من المدة المذكورة، إذا كان في ظروف أخرى غير ظروفه الاعتيادية. كما سنرى ذلك واضحاً في نتائج تجارب الدكتور كارل فيما يأتي.

فالنتيجة–على ضوء ما تقدم–هي:

إن مسألة بقاء الإنسان حياً مدة طويلة من السنين ليست مستحيلة، لا فلسفياً ولا علمياً، وإنما هي من المسائل الممكنة.

٢–حول الوقوع

وبعد أن انتهينا إلى أن مسألة بقاء الإنسان حياً طويلاً من السنين أمر ممكن. لننتقل إلى الإجابة على السؤال المتقدم، عارضين أهم الأدلة الناهضة بإثبات ذلك وهي:

١. الدليل النقلي

وأعني به النصوص الواردة في الموضوع، وهي على طوائف، أهمها ما يأتي:

أ–ما يدور منها حول عدم خلو الأرض من حجة، أمثال: «لا تخلو الأرض من قائم بحجة الله، إما ظاهر مشهور، وإما خائف مغمور، لئلا تبطل حجج الله وبيناته».

ب–ما يدور منها حول حصر الإمامة في اثني عشر إماماً كلهم من قريش، أمثال: «إن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيه اثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

ج–ما يدور منها حول تعيين الإمام المنتظر باسمه وصفاته، أمثال:

«المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون له غيبة وحيرة، تضل فيه الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب، فيملأها عدلاً وقسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً».

د-ما يدور منها حول عدم قيام الساعة حتى ينهض الإمام المنتظر عليه السلام، أمثال: «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدواناً، ثم يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وعدواناً».

هـ-ما يدور منها حول وجود إمام في كل زمان، أمثال: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية».

ومتى حاولنا التوفيق بين الطوائف المشار إليها وأمثالها، ننتهي حتماً إلى أن الإمام المنتظر هو محمد بن الحسن عليه السلام.

وفي عقيدتي: أن التوفيق بينها حيث ينهي إلى النتيجة المذكورة في مجال من الوضوح يغنينا عن تفصيل البيان.

وهذه «الأخبار في أن المهدي هو ابن الحسن العسكري، وأنه حي موجود، يظهر في آخر الزمان، متواترة من طرق أصحابنا عن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام» «١»

على أن مسألة حياة الإمام المنتظر عليه السلام، بعد إثبات إمكانها، نستطيع أن ندرجها ضمن قائمة المسائل الغيبية في الشريعة الإسلامية، التي لا تقتضينا في مجال

«١» السيد الأمين، ص ٣٨٨.

الاعتقاد بها أكثر من إثبات إمكانها عن طريق العقل، وإثبات وقوعها عن طريق النقل، كمسألة «المعاد» ونظائرها.

ولا أخال أن هذه الوفرة من النفول الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله بمختلف طرقها وأسانيدها شيعية وسنية غير كافية. أو أن هناك من لا يراها كافية، وبخاصة حينما يثبت تواترها، كما أشرت إليه.

٢. الدليل التاريخي

ويتلخص في أن التاريخ يثبت وجود نظائر للإمام المنتظر عليه السلام في طول العمر، أمثال: النبي نوح عليه السلام الذي عاش ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعو قومه ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٤] ، كما يؤرخ القرآن الكريم لهذه الفترة من حياته «١».

٣. الدليل العقائدي

وخلاصته: إن إرادة الله تعالى وقدرته، التي أعدته ليومه الموعود، هي التي تعطيه البقاء وتمنحه العمر الطويل.

٤. الدليل التشريعي

من أوليات خصائص الدعوة الإسلامية أنها دعوة عالمية.

«١» للاستزادة، يقرأ: محمد أمين زين الدين، ص ٦٨ وما بعدها.

ومن أوليات التشريع الإسلامي وجوب حمل رسالة الإسلام إلى العالم كله على رئيس الدولة المعصوم عن طريق الجهاد أو غيره.

لأن الإسلام نظام اجتماعي ثوري، جاء لإذابة واستئصال جميع النظم الاجتماعية القائمة.

ومن الوضوح بمكان أن عملية الهدم والبناء في عالم الثورة، تتطلب فترة طويلة من الزمن، ينطلق فيها الثوار مندفعين بكل إمكانياتهم إلى اقتلاع رواسب النظم الاجتماعية المطاح بها، من نفسيات أبناء الجيل الذي عاشها متجاوباً معها، والى إنشاء جيل جديد، خال من رواسب الماضي، ومنصهر كل الانصهار بفكرة النظام الجديد.

ومن الوضوح بمكان: أن من أهم ما يشترط في القائمين على تطبيق النظام الجديد، خلوهم من أية راسبة تعاكس مفاهيم وأحكام النظام الجديد، وانصهارهم بالنظام الجديد انصهاراً من أقرب معطياته صياغة شخصياتهم في جميع خصائصها، ومختلف جوانبها وفق النظام الجديد.

ونحن نعلم أن النبي محمداً صلى الله عليه وآله لم تمتد به الأيام إلى إنهاء عملية الهدم والبناء فالتطبيق الكامل.

ونعلم-أيضاً-أن ليس في المسلمين من يتوفر فيه الشرط المذكور غير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام .

ولعل إلى هذا المعنى يشير المعنيون ببحوث الإمامة، حينما يستدلون على خلافة الإمام علي عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، بالآية الكريمة: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ

إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

ونعلم-أيضاً-أن الإمام علياً عليه السلام كذلك هو الآخر لم ينه العملية للملابسات والظروف السياسية التي سبقت خلافته أو رافقتها.

وإن أبناءه المعصومين هم الآخرون لم يستطيعوا القيام بمهمة إنهاء تلكم العملية للعوامل والظروف السياسية والاجتماعية التي واكبت أيامهم.

وإن النوبة قد انتهت إلى الإمام المنتظر عليه السلام ، فلابد من إنهائها على يديه، لأنه خاتمة المعصومين عليه السلام ، فيحقق ما أخبر به القرآن الكريم بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [الصف: ٩] [الآية ٣٣ من سورة التوبة. و٢٨ من سورة الفتح. و٩ من سورة الصف] وربما إليه كان يشير مفسرو الآية الكريمة بالإمام المنتظر عليه السلام وهو شيء يتطلب استمرار حياته لهذه الغاية النبيلة.

وربما على ضوئه نستطيع أن نستدل على لزوم وجوده معاصراً لأبيه الإمام العسكري عليه السلام، واستمراره بعده، منطلقين من البدء، وكأنا لم نفترض المفروغة من إثبات ولادته، بما حاصله:

وهو أننا إن لم نلتزم بمعاصرة الإمام المنتظر عليه السلام لأبيه العسكري عليه السلام ، وتلقيه ما تتطلبه مهمته كمشرّع ومطبّق، لابد أن نلتزم بأحد أمرين:

١. إما بتلقيه ذلك عن طريق الوحي.

٢. وإما بإدراكه الأحكام عن طريق الاجتهاد المعروف.

والالتزام بأي من الأمرين المذكورين يصادم عقيدتنا، وذلك لأن الالتزام منا بتلقي الإمام عليه السلام الأحكام عن طريق الوحي يصادم عقيدتنا باختتام الوحي بالنبي محمد صلى الله عليه وآله .

والالتزام بإدراكه عليه السلام الأحكام عن طريق الاجتهاد يصادم عقيدتنا في علم الإمام، وإدراكه الأحكام الواقعية جميعها وبواقعها، والاجتهاد قاصر -عادة- عن إدراك الكثير من الأحكام الواقعية كما هو معلوم.

وعند بطلان هذين لابد من القول بمعاصرة الإمام المنتظر عليه السلام لأبيه عليه السلام واستمرار حياته منتظراً تمخض الظروف عن ساعة خروجه وثورته المباركة.

٥. الدليل العلمي

وموجزه: إن جماعة من العلماء المحدثين أمثال: الدكتور الكسيس كارل، والدكتور جاك لوب، والدكتور ورن لويسي وزوجته، وغيرهم، قاموا بإجراء عدة تجارب في معهد «روكفلر» بنيويورك على أجزاء لأنواع مختلفة من النبات والحيوان والإنسان.

وكان من بين تلكم التجارب ما أجري على قطع من أعصاب الإنسان وعضلاته وقلبه وجلده وكليتيه. فرؤي أن هذه الأجزاء «تبقى حية نامية مادام الغذاء اللازم موفوراً لها» وما دامت لم يعرض لها عارض خارجي، وإن خلاياها تنمو وتتكاثر وفق ما يقدم لها من غذاء.

واليك نتائج تجارب الدكتور كارل التي شرع فيها بكانون الثاني سنة ١٩١٢ م:

١. إن هذه الأجزاء الخلوية تبقى حية ما لم يعرض لها عارض يميتها إما من قلة الغذاء، أو من دخول بعض المكروبات.

٢. إنها لا تكتفي بالبقاء حية بل تنمو خلاياها، وتتكاثر، كما لو كانت باقية في جسم الحيوان.

٣. إنه يمكن قياس نموها وتكاثرها، ومعرفة ارتباطهما بالغذاء الذي يقدم لها.

٤. انه لا تأثير للزمن أي أنها لا تشيخ ولا تضعف بمرور الزمن، بل لا يبدو عليها أقل أثر للشيخوخة، بل تنمو وتتكاثر هذه السنة، كما لو كانت تنمو وتتكاثر في السنة الماضية وما قبلها من السنين.

وتدل الظواهر كلها على أنها ستبقى حية نامية، مادام الباحثون صابرين على مراقبتها وتقديم الغذاء الكافي لها» «١».

ويقول الأستاذ ديمند وبرل من أساتذة جامعة جونس هبكنس، تعليقاً على نتائج الدكتور كارل: «إن كل الأجزاء الخلوية الرئيسية من جسم الإنسان، قد ثبت إما

«١» تقرأ: مجلة المقتطف هل يخلد الإنسان في الدنيا مج ٥٩ ،ج٣ ،ص ٢٣٨- ٢٤٠. والسيد صدر الدين الصدر، ص١٣٤.

أن خلودها بالقوة صار أمراً مثبتاً بالامتحان، أو مرجحاً ترجيحاً تاماً لطول ما عاشته حتى الآن» «١»

و«أكد تقرير نشرته الشركة الوطنية الجيوغرافية: أن الإنسان يستطيع أن يعيش «١٤٠٠» سنة، إذا ما خدر مثل بعض الحيوانات لينام طيلة فصل الشتاء.

ويقول التقرير الآنف الذكر: «إن التخدير أثناء فصل الشتاء يطيل حياة الحيوان الذي يتعرض للتخدير عشرين ضعفاً بالنسبة لحياة الحيوانات المماثلة التي تبقى ناشطة طيلة فصول السنة» «٢»

ولعل من الواضح: أن أمثال هذه التجارب العلمية، التي يحاول العلماء عن طريقها معرفة ما يمد في عمر الإنسان إلى أكثر من العمر الاعتيادي، تنهينا إلى النتيجة التالية.

وهي: ليس هناك تحديد يقرر-في نظر العلم-حداً طبيعياً لعمر الإنسان. وما التحديدات التقريبية التي يفيدها الإنسان من مشاهداته وملاحظاته إلا تحديدات للعمر الاعتيادي.

ولعل امتداد عمر الإنسان إلى ما فوق سني الأعمار الاعتيادية له-كالذي مررنا به في الدليل التاريخي من أمثال عمر النبي نوح عليه السلام -يدعم ما انتهي إليه من عدم وجود حد طبيعي لعمر الإنسان.

«١» المصدر.

«٢» جريدة الثورة البغدادية، العدد ٧٨٥.

وبخاصة وأن العلم-اليوم-قطع مراحل هامة في إعطائه نتائج كبرى حول المسألة. من أهمها: أن الأخذ بالتعاليم الصحية والالتزام بها يوفر للإنسان جواً ملائماً للمحافظة على حياته ولاستمرار عوامل بقائها.

وما قلة انتشار الأمراض السارية-الآن-وانخفاض نسبة الوفيات، في كثير من المجتمعات المتمدنة، والآخذة في طريقها إلى التحضر، إلا أوضح شاهد على ذلك.

ومتى أضفنا إلى هذه النتيجة، نتيجة أخرى هي: أن عامل الموت هو «الأجل»، وليس الأمراض أو الطوارئ الأخرى-كما هو رأي بعض علماء الشريعة-ترتبط مسألة امتداد العمر ارتباطاً وثيقاً، بتوفر الجو الصحي الملائم، وبتأخر الأجل.

وتوفر الجو الصحي الملائم يعود إلى الإنسان نفسه، ومن أرعى من الإمام عليه السلام لذلك، وهو يعلم أنه معد لمهمته الإلهية الكبرى.

وتأخر الأجل يعود إلى الله تعالى، ومتى اقتضت إرادته ذلك-كما تقدم في الدليل العقائدي-توفرت شرائط البقاء والعمر الطويل.

قبسات من تراث الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف

من كلامه في التوحيد ونبذ الغلّو

"إن الله تعالى هو الذي خلق الأجسام وقسّم الارزاق، لأنه ليس بجسم ولا حالّ في جسم، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، وأما الأئمة عليهم السلام فإنهم يسألون الله تعالى فيخلق ويسألونه فيرزق إيجاباً لمسألتهم وإعظاماً لحقهم"«١».

في علة الخلق وبعث الأنبياء وتعيين الأوصياء

يا هذا " مخاطبا أحد أصحابه" يرحمُك الله، إنَّ الله تعالى لم يخلُقِ الخلقَ عبثاً، ولا أهملَهم سُدىً، بل خلقهُمْ بقُدرتِهِ وجَعَلَ لَهم أسماعاً وأبصاراً وقُلُوباً وألباباً، ثمَّ بعثَ إليهمُ النّبيِّينَ عليهم السلام مُبشّرينَ ومُنذرينَ، يأمُرُونُهم بطاعتِهِ وينهونَهم عن معصيته، ويُعرِّفونَهُمْ ماجهلوهُ من أمرِ خالقهم ودينهم، وأنزلَ عليهم كتاباً وبَعَثَ إليهم ملائكةً، يأتينَ بينهُم وبينَ مَنْ بعثُهم إليهم بالفضلِ الّذي جعَلَهُ لَهُم عليهم، وما آتاهُم من الدَّلائلِ الظَّاهرةِ والبراهينِ الباهرةِ والآياتِ الغالبةِ، فمنهم مَنْ جعلَ النَّارَ عليهِ برداً وسلاماً، واتّخذهُ خليلاً، ومنهم مَنْ كلَّمهُ تكليماً، وجعل

«١» غيبة الطوسي: ١٧٨، احتجاج الطبرسي: ٢ / ٤٧١، إثبات الهداة: ٣/ ٧٥٧.

عصاهُ ثُعباناً مُبيناً، ومنهُم من أحيى الموتى بإذنِ الله، وأبْرأ الأكمه والأبرص بإذن اللهِ، ومنهم مَنْ علّمهُ منطق الطَّيرِ وأُوتي مِن كُلِّ شيء ثُمّ بعثَ مُحمّداً صلّى اللهُ عليهِ وآلِهِ رحمةً للعالَمِينَ، وتمَّمَ به نعمَتَهُ، وخَتَمَ به أنبياءَه، وأرسلَهُ إلى النَّاسِ كافَّةً، وأظهر مِن صدقِهِ ما أظهرَ، وبيَّنَ من آياته وعَلاماتِهِ ما بيَّنَ، ثُمَّ قبضهُ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ حميداً فقيداً سعيداً، وجَعَلَ الأمرَ بعدهُ إلى أخيه وابن عمِّه ووصيِّه ووارثه عليِّ بن أبي طالب عليه السلام، ثُمَّ إلى الأوصياء من وُلدِهِ واحداً واحداً، أحيى بهم دينه، وأتمَّ بهم نورهُ، وجعَلَ بينهم وبين إخوانهم وبني عمِّهم والأدنَينَ فالأدنينَ من ذَوِي أرحامهم فُرقاناً بيّناً يُعرفُ به الحُجَّةُ من المحجُوج، والإمامُ من المأمُوم، بأنْ عصَمَهُم من الذُّنُوبِ، وبرَّأَهُمْ من العُيُوبِ، وطهَّرهُم من الدَّنسِ، ونزَّهَهُمْ من اللّبسِ، وجعلهُم خزَّان علمهِ، ومُستودَعَ حكمته، وموضع سرِّه، وأيَّدهُم بالدَّلائل، ولولا ذلك لكانَ النَّاسُ على سواء، ولادَّعى أمْر الله عزَّ وجلَّ كُلُّ أحد، ولما عُرفَ الحقُّ من الباطل، ولا العالمُ من الجاهلِ«١»

في مقام الأئمة عليهم السلام

"الّذي يجبُ عليكُمْ ولكُمْ أن تقُولُوا إنَّا قُدوَةُ اللهِ وأئمَّةٌ، وخلَفاءُ اللهِ في أرضِهِ وأُمَناؤُهُ عَلَى خلقِه، وحُجَجُهُ في بلادِهِ، نَعرفُ الحلالَ والحرامَ ونعرفُ تأويلَ الكتابِ وفَصلَ الخطابِ"«٢»

«١» بحار الأنوار: ٥٣/ ١٩٤، معجم أحاديث الإمام المهدي: ٤/ ٣٨٢ .

«٢» تفسير العياشي: ١ / ١٦، معجم أحاديث الإمام المهدي: ٤/ ٤٦٧ .

في انتظام نظام الإمامة وعدم خلو الأرض من الحجة

ومن رسالة له الى سفيريه العمري وابنه: "وَفَّقَكُما الله لطاعتِهِ، وثبَّتكما على دينهِ، وأسعدَكُما بمرضاته، انتهى إلينا ما ذكرتُما أن الميثمي أخبركُما عن المُختارِ ومناظراته من لقي، واحتجاجه بأنَّه لا خلف غيرُ جعفر بن عليَّ وتصديقه إيّاه وفهمتُ جميع ما كتبتما به ممّا قال أصحابُكما عنهُ، وأنا أعُوذُ بالله من العمى بعد الجلاء، ومَن الضّلالَةِ بعد الهُدى، ومن مُوبقات الأعمال، ومُرديات الفتن، فإنَّهُ عزَّ وجلَّ يقـــولُ: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ ﴾ [العنكبوت: ١-٢] كيف يتساقُطون في الفتنة، ويتردّدُون في الحيرة، ويأخُذُونَ يميناً وشمالاً، فارقُوا دينهم، أم ارتابُوا، أم عاندوا الحقَّ، أم جهلُوا ما جاءت به الرّوايات الصّادقةُ والأخبارُ الصّحيحةُ، أو علمُوا ذلك فتناسوا، ما يعلمون أن الأرضَ لا تخلو من حُجّة إمّا ظاهراً وإمّا مغْموراً.

أولم يعلموا انتظام أئمتهم بعد نبيهم صلى الله عليه وآله واحداً بعد واحد إلى أنْ أفضى الأمر بأمرِ الله عز وجل إلى الماضي يعني الحسن بن علي عليهما السلام فقام مقام آبائه عليهم السلام يهدي إلى الحق وإلى طريق مُستقيم، كانُوا نوراً ساطعاً، وشهاباً لامعاً، وقمراً زاهراً، ثُمَّ اختارَ اللهُ عز وجل له ما عندهُ فمضى على منهاج آبائه عليهم السلام حَذْوَ النَّعل بالنَّعلِ على عهد عهدهُ، ووصيّة أوصى بها إلى وصيٍّ سترهُ الله عزّ وجلّ بأمره إلى غاية، وأخفى مكانهُ بمشيئة للقضاء السّابقِ والقدرِ النّافذ، وفينا موضعُهُ، ولنا فضلُهُ، ولو قدْ أذنَ اللهُ عزَّ وجلَّ فيما قدْ منعهُ عنهُ وأزال عنهُ ما قد جرى به من حُكمِهِ لأراهُم الحقَّ ظاهراً بأحسنِ حلية، وأبين دلالة، وأوضح علامة، ولأبانَ عن نفسهِ وقامَ بحُجّتهِ،

ولكنَّ أقدار الله عزَّ وجلَّ لا تُغالبُ وإرادتهُ لا تُردُّ وتوفيقهُ لا يُسبقُ، فليدعُوا عنهمُ اتّباعَ الهوى، وليُقيمُوا على أصلهمُ الّذي كانُوا عليهِ، ولا يبحثُوا عما سُتر عنهُم فيأثَموا، ولا يكشفُوا سترَ الله عزَّ وجلَّ فيندموا، وليعلموا أنَّ الحقَّ معنا وفينا، لا يقُولُ ذلكَ سوانَا إلاّ كذَّابٌ مُفتر، ولا يدَّعيه غيرُنا إلاّ ضالٌّ غويٌّ، فليقتصرُوا منّا على هذِهِ الجُملةِ دُونَ التَّفسيرِ، ويقنعُوا من ذلكَ بالتَّعريضِ دُونَ التَّصريحِ إن شاءَ الله«١».

تقوى الله والنجاة من الفتن

يقول عليه السلام في رسالته الثانية للشيخ المفيد وهي من الرسائل التي صدرت عنه في غيبته الكبرى: "... فلتكُنْ حرسَكَ اللهُ بعينهِ الّتي لا تنامُ أن تُقابل لذلكَ فتنةً تسبلُّ نُفُوسَ قوم حرثتْ باطلاً لاسترهاب المُبطلينَ ويبتهجُ لدمارها المُؤمنُونَ، ويحزنُ لذلكَ المُجرمُونَ، وآيةُ حركَتِنا من هذهِ اللَّوثَة حادِثَةٌ بالحَرَمِ المُعظَّم من رَجس مُنافق مُذمّم، مُستحلٍّ للدَّمِ المُحرَّمِ، يعمدُ بكيدهِ أهل الإيمان ولا يبلُغُ بذلك غرضهُ من الظُّلمِ لهم والعُدوانِ، لأننا مِنْ ورَاءِ حفظِهِمْ بالدُّعاءِ الَّذي لا يُحجبُ عن مَلِكِ الأرضِ والسَّماء، فلتطمئِنَّ بذلِكَ مِنْ أولِيائنا القُلُوبُ، ولْيَثِقُوا بِالكفايَةِ منهُ، وإنْ راعتهُمْ بهمُ الخُطُوبُ، والعاقبةُ بجميلِ صُنعِ الله سُبحانَهُ تكُون حميدةً لهُمْ ما اجتنبُوا المَنْهيَّ عنهُ مِنَ الذُّنُوبِ.

«١» كمال الدين: ٥١٠، بحار الأنوار: ٥٣/ ١٩٠، معجم أحاديث المهدي: ٤/ ٢٨٧ .

ونحنُ نعهدُ إليك أيُّها الوليُّ المخلصُ المجاهدُ فينا الظَّالمين أيَّدَكَ الله بنصرهِ الّذي أَيَّدَ به السَّلَفَ من أوليائِنا الصَّالحينَ، أ نَّهُ مَنِ اتَّقَى ربَّهُ من إخوانِكَ في الدِّين وأخرجَ ممّا عليهِ إلى مُستحقِّيهِ، كانَ آمناً مِنَ الفتنةِ المُبطلَةِ، ومِحَنِها المُظلمةِ المُضِلَّةِ ومَنْ بَخلَ مِنهُم بما أعارهُ اللهُ منْ نعمِتهِ علَى مَنْ أمرَهُ بصلَتِهِ، فإنَّه يكُونُ خاسراً بذلِكَ لأُولاَهُ وآخرَتِهِ، ولو أنَّ أشياعَنَا وَفَّقَهُمُ الله لِطاعَتهِ علَى اجتِماع منَ القُلُوبِ فِي الوَفاءِ بِالعهدِ علَيهمْ لَمَا تأخَّرَ عنْهُمُ الُيمْنُ بلقائنا... «١».

رعايته ﷺ للمسلمين

"... فإنا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنا شيء من أخباركم ومَعْرفَتِنا بالذُّلِّ الَّذي أصابَكُمْ مُذْ جَنَحَ كَثيرٌ منكُمْ إلى ما كانَ السَّلَفُ الصَّالحُ عنهُ شاسِعاً، ونَبذُوا العهدَ المأخُوذَ ورَاءَ ظُهُورِهِم كأنَّهُمْ لا يَعلمُونَ.

إنَّا غيرُ مُهمِلينَ لُمراعاتكُمْ، ولا ناسينَ لِذِكرِكُمْ، ولَولا ذلك لَنَزَلَ بكُمُ اللَّأوَاءُ واصطَلَمَكُمُ الأعدَاءُ فاتَّقُوا اللهَ جَلَّ جَلالُهُ وظاهرُونا عَلَى انتياشِكُمْ مِنْ فِتْنَة قد أنافَتْ عَلَيْكُمْ يَهلِكُ فِيها مَنْ حُمَّ أَجَلُهُ ويُحْمَى عَنْها مَنْ أدرَكَ أمَلَهُ، وهِيَ أَمارَةٌ لأُزُوفِ حَرَكَتِنا ومُباثَّتِكُمْ بِأمْرِنا وَنَهْيِنا، واللهُ مُتمُّ نُورِهِ ولوْ كَرِهَ المُشرِكُونَ «٢».

«١» احتجاج الطبرسي: ٢ / ٤٩٨.

«٢» المصدر: ٢ / ٤٩٥ .

الاستعداد الدائم للظهور

فَلْيَعْمَلْ كُلُّ امْرِىء مِنكُمْ بِمَا يَقرُبُ بهِ من مَحَبَّتِنا، ويَتَجَنَّبُ ما يُدْنيهِ مِنْ كَراهَتِنا وسَخَطِنا فَإِنَّ أَمْرَنا بَغتَةٌ فُجاءَةٌ حِينَ لا تنْفَعُهُ تَوْبَةٌ وَلا يُنجِيهِ مِنْ عقابِنا نَدَمٌ علَى حَوبة واللهُ يُلْهِمُكُمُ الرُّشْدَ، ويَلْطُفُ لَكُمْ في التَّوفِيقِ بِرَحْمَتِهِ«١».

نماذج من أجوبته القصيرة

ومن أجوبته عليه السلام على أسئلة اسحاق بن يعقوب: "أما ما سألت عنه أرشدك الله وثبتك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمّنا فأعلم أنه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة، ومَن أنكرني فليس منّي وسبيله سبيل ابن نوح، أما سبيل عمّي جعفر وولده فسبيل إخوة يوسف عليه السلام .... .

وأما أموالكم فما نقبلها إلاّ لتطهروا، فمن شاء فليصل ومَن شاء فليقطع... وأما ظهور الفرج فإنه الى الله تعالى ذكره وكذب الوقّاتون... وأما ما وصلتنا به فلا قبول عندنا إلاّ لما طاب وطهر... وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن في ذلك فرجكم..."«٢»

نماذج من أدعيته وزياراته

من دعائه للمؤمنين عامة: "إلهي بِحَقِّ مَنْ ناجاكَ، وَبِحقِّ مَنْ دَعاكَ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، تَفَضَّلْ عَلَى فُقَراءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بالْغناءِ وَالثَّرْوَةِ، وَعَلَى مَرْضَى الْمُؤْمِنينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِالشِّفاءِ وَالصِّحَّةِ، وَعَلَى أَحْياءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِاللُّطْفِ

«١» كمال الدين: ٤٨٣، غيبة الطوسي: ١٧٦.

«٢» مهج الدعوات للسيد ابن طاووس: ٢٩٥ الصحيفة المهدية للفيض الكاشاني: ١١٢.

وَالْكَرَامة، وَعَلَى أَمْوَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ، وَعَلَى غُرَباءِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ بِالرَّدِّ إِلَى أَوْطانِهِمْ سالِمِينَ غَانِمِينَ، بِمُحَمَّد وَآلِهِ أَجْمَعِينَ"«١»

من دعائه في قنوته: "... وأسئلُكَ باسمك الذي خلقتَ به خلقَكَ ورزقتَهم كيفَ شئتَ وكيفَ شاؤوا، يامَنْ لا يُغيّرُه الأيّام والليالي أدعُوكَ بِمَا دَعاكَ به نُوحٌ حينَ ناداكَ فأنْجَيتَهُ ومَن مَعهُ وأهلكتَ قومه، وأدعوك بِمَا دَعاكَ ابراهيمُ خَليلكَ حينَ ناداكَ فأنْجَيْتَهُ وَجعلتَ النّار عَليهِ بَرداً وَسَلاماً، وأدعوكَ بِمَا دَعاكَ بِه موسى كَليمُكَ حينَ ناداكَ فَفَلَقْتَ لَهُ البَحرَ فَأَنْجَيْتَهُ وَبَنِي إِسْرائِيلَ، وَأَغْرَقْتَ فِرْعَونَ وَقَوْمَهُ فِي الْيَمِّ، وَأَدْعوكَ بِما دَعاك بِهِ عِيسَى رُوحُكَ حِينَ نَاداكَ، فَنَجَّيْتَهُ مِنْ أَعْدائِهِ وَإِلَيْكَ رَفَعْتَهُ، وَأَدْعُوكَ بِما دَعاكَ به حَبِيبُكَ وصَفِيُّكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَاستَجَبْتَ لَهُ وَمِنَ الأَحْزَابِ نَجَّيْتَهُ، وَعَلَى أَعْدَائِكَ نَصَرْتَهُ، وَأَسْئَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ، يا مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ، يامَنْ أَحاطَ بِكُلِّ شَيْء عِلْماً، يا مَنْ أَحْصَى كُلَّ شَيْء عَدَداً، يا مَنْ لا تُغَيِّرُهُ الأَيَّامُ وَاللَّيالِيُّ، وَلا تَتَشابَهُ عَلَيْهِ الأَصْوَاتُ، وَلا تَخْفَى عَلَيْهِ اللُّغَاتُ، وَلا يُبْرِمُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ.

أَسْئَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد خَيْرَتِكَ مِنْ خَلْقِكَ، فَصَلِّ عَلَيْهِمْ بِأَفْضَلِ صَلَواتِكَ، وَصَلِّ عَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ الَّذِينَ بَلَّغوا عَنكَ الْهُدَى، وَعَقَدُوا لَكَ الْمَواثِيقَ بِالطَّاعَةِ، وَصَلِّ عَلَى عِبادِكَ الصَّالِحِينَ، يا مَنْ لا يُخْلِفُ الْمِيعادَ أَنْجِزْ لِي ما وَعَدْتَنِي، وَاجْمَعْ لِي أَصْحابِي، وَصَبِّرْهُمْ، وَانْصُرْنِي عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَعْداءِ

«١» المصدر: ٦٨.

رُسولِكَ، وَلا تُخَيِّبْ دَعْوَتِي، فَإِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أَمَتِكَ، أَسِيرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ، سَيِّدِي أَنْتَ الَّذِي مَنَنْتَ عَلَيَّ بِهٰذَا الْمَقامِ، وَتَفَضَّلْتَ بِهِ عَلَيَّ دُونَ كَثِيرٍ مِنْ خَلْقِكَ، أَسْئَلُكَ أَنْ تصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد، وَأَنْ تُنْجِزَ لِي ما وَعَدْتَني، إِنَّكَ أَنْتَ الصَّادِقُ، وَلا تُخْلِفُ الْمِيعادَ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"«١»

من صلواته على النبي ﷺ

"اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ، وَحُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الْمُنتجَبِ فِي الْمِيثاقِ، الْمُصطَفَى فِي الظِّلالِ، الْمُطَهَّرِ مِنْ كُلِّ آفَة، الْبَرِيءِ مِنْ كُلِّ عَيْب، الْمُؤَمَّلِ لِلنَّجاةِ، الْمُرْتَجى لِلشَّفاعَةِ، الْمُفَوَّضِ إليهِ فِي دَينِ اللهِ..."«٢»

نماذج من زياراته

"الله أكبر الله أكبر، لا الله إلاّ الله والله أكبر، ولله الحمد، الحمدُ لله الذي هدانا لهذا، وعرّفنا أولياءَهُ وأعداءَهُ، وَوفّقَنا لزيارةِ أئمتنا ولم يجعلنا من المعاندين الناصبين ولا من الغُلاةِ المفوّضين ولا من المرتابين الْمُقصِّرِينَ، السَّلامُ عَلَى وَلِيِّ اللهِ وَابْنِ أَوْلِيائِهِ، السَّلامُ عَلَى الْمُدَّخَرِ لِكَرَامَةِ "أَوْلِياءِ" اللهِ وَبَوَارِ أَعْدَائِهِ السَّلامُ عَلَى النُّورِ الَّذِي أَرادَ أَهْلُ الْكُفْرِ إِطْفاءَهُ، فَأَبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ بِكُرْهِهِمْ وَأَمَدَّهُ

«١» ضمن صلوات طويلة على النبي وأوصيائه عليهم السلام، غيبة الطوسي: ١٦٥، الصحيفة المهدية: ٥٣.

«٢» مصباح الزائر للسيد ابن طاووس: ٣٢٧، الصحيفة المهدية: ١٧٣، معجم أحاديث المهدي: ٤/ ٤٩١.

بِالْحَياةِ حَتَّى يُظْهِرَ عَلَى يَدِهِ الْحَقَّ بِرَغْمِهِمْ، أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ اصْطَفاكَ صَغيراً وَأَكْمَلَ لَكَ عُلُومَهُ كَبِيراً، وَأَنَّكَ حَيٌّ لا تَمُوتُ حَتّى تبْطِلَ الْجِبْتَ وَالطّاغُوت.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى خُدّامِهِ وَأَعْوانِهِ، عَلَى غَيْبَتِهِ وَنَأْيِهِ، وَاسْتُرْهُ ستْراً عَزِيزاً وَاجْعَلْ لَهُ مَعقِلاً حِرِيزاً وَاشْدُدِ اللَّهُمَّ وَطْأَتَكَ عَلَى مُعانِدِيهِ، وَاحْرُسْ مَوالِيهِ وَزائِرِيهِ. اللَّهُمَّ كَما جَعَلْتَ قَلْبِي بِذِكْرِهِ مَعْمُوراً، فَاجْعَلْ سِلاحِي بِنصْرَتِهِ مَشْهُوراً وَإِنْ حال بَيْنِي وَبَيْنَ لِقائِهِ الْمَوْتُ الَّذِي جَعَلْتَهُ عَلَى عِبادِكَ حَتْماً مَقْضِيّاً وَأَقْدَرْتَ بِهِ عَلَى خَلِيقَتِكَ رَغْماً، فَابْعَثْنِي عِنْدَ خُرُوجِهِ، ظَاهِراً مِنْ حفْرَتِي، مؤْتَزِراً كَفَنِي، حَتَّى أُجَاهِدَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فِي الصَّفِّ الَّذِي أَثْنَيْتَ عَلَى أَهِلهِ فِي كِتابِكَ، فَقُلْتَ "كَأَنَّهُمْ بنْيانٌ مَرْصُوصٌ".

اللَّهُمَّ طالَ الانْتِظارُ، وَشَمُتَ بِنا الْفجّارُ، وَصَعُبَ عَلَيْنا الانْتِصارُ، اللَّهُمَّ أَرِنا وَجْهَ وَلِيِّكَ الْمَيْمونَ، فِي حَياتِنا وَبَعْدَ الْمَنُونِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَدِينُ لَكَ بِالرَّجْعَةِ، بَيْنَ يَدَيْ صَاحِبِ هـذِهِ الْبُقْعَةِ، اَلْغَوْثَ اَلْغَوْثَ، اَلْغَوْثَ، يَا صَاحِبَ الزَّمانِ، قَطَعْتُ فِي وُصْلَتِكَ الْخُلاَّنَ، وَهَجَرْتُ لِزيارتِكَ الأَوْطانَ، وَأَخْفَيْتُ أَمْرِي عَنْ أَهْلِ الْبُلْدانِ لِتكُونَ شَفِيعاً عِنْدَ رَبِّكَ وَرَبِّي، وَإِلَى آبائِكَ مَوالِيَّ فِي حُسْنِ التَّوْفِيق، وَإِسْباغِ النِّعْمَةِ عَلَيَّ، وَسَوْقِ الإِحْسانِ إِلَيَّ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّد وَعَلَى آلِ مُحَمَّد، أَصْحابِ الْحَقِّ، وَقادَةِ الْخَلْقِ، وَاستَجِبْ مِنِّي ما دَعوْتُكَ، وَأَعْطِنِي مالَمْ أَنْطقْ بِهِ فِي دُعائِي، وَمِنْ صَلاحِ دِينِي وَدُنْيايَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّد وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

ثُمَّ ادْخُلِ الصَّفَّةَ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ عَبْدُكَ الزَّائرُ فِي فِناءِ وَلِيِّكَ الْـمَزُور، الَّذِي فَرَضْتَ طاعَتَهُ عَلَى الْعَبِيدِ وَالأَحْرَارِ، وَأَنْقَذْتَ بِهِ أَوْلِياءَكَ مِنْ عَذابِ النَّارِ، اللَّهُمَّ اجْعَلها زيارَةً مَقْبُولَةً ذاتَ دُعاء مسْتَجاب مِنْ مُصَدِّق بِوَلِيِّكَ غَيْرَ مُرْتاب، اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْهُ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ وَلا بِزِيارَتِهِ، وَلا تَقْطَعْ أَثَرِي مِنْ مَشْهَدِهِ، وَزِيارَةِ أَبِيهِ وَجَدِّهِ، اللَّهُمَّ اخْلُفْ عَلَيَّ نَفَقَتِي، وَانْفَعْنِي بِما رَزَقْتَني، فِي دُنْيايَ وَآخِرَتِي وَلإِخْوَانِيَ وَأَبَوَيَّ وَجَمِيعِ عِتْرَتِي، أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ أَيُّها الإمامُ الّذي يَفوزُ بِهِ المؤمنونَ وَيَهلِكُ على يديهِ الكافِرونَ المكذِّبونَ..."«١».

«١» مصباح الزائر للسيد ابن طاووس: ٣٢٧، الصحيفة المهدية: ١٧٣، معجم أحاديث المهدي: ٤/ ٤٩١.

الموضوع الثاني: الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وطول عمره

إنّ من الأسئلة المطروحة حول الإمام المهدي، طول عمره في فترة غيبته، فإنّه ولد عام ٢٥٥، فيكون عمره إلى الأعصار الحاضرة أكثر من ألف مائة وخمسين عاماً، فهل يمكن في منطق العلم أن يعيش إنسان هذا العمر الطويل؟

والجواب

من وجهين، نقضاً وحلاً.

أمّا النقض، فقد دلّ الذكر الحكيم على أن شيخ الأنبياء عاش قرابة ألف سنة، قال تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وقد تضمنت التوراة أسماء جماعة كثيرة من المعمرين، وذكرت أحوالهم في سفر التكوين «١».

«١» التوراة، سفر التكوين، الإصحاح الخامس، الجملة ٥، وذكر هناك أعمار آدم، وشيث ونوح، وغيرهم.

وقد قام المسلمون بتأليف كتب حول المعمرين، ككتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني، كما ذكر الصدوق أسماء عدّة منهم. وفي كتاب كمال الدين «١»، والعلامة الكراجكي في رسالته الخاصة، باسم "البرهان على صحة طول عمر الإمام صاحب الزمان" «٢»، والعلامة المجلسي في البحار «٣»، وغيرهم.

وأمّا الحلّ، فإنّ السؤال عن إمكان طول العمر، يعرب عن عدم التعرّف على سعة قدرة الله سبحانه: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الأنعام: ٩١]، فإنّه إذا كانت حياته وغيبته وسائر شؤونه، برعاية الله سبحانه، فأي مشكلة في أن يمدّ الله سبحانه في عمره ما شاء، ويدفع عنه عوادي المرض ويرزقه عيش الهناء.

وبعبارة أُخرى، إنّ الحياة الطويلة، إمّا ممكنة في حدّ ذاتها أو ممتنعة، والثاني لم يقل به أحد، فتعين الأول، فلا مانع من أن يقوم سبحانه بمدّ عمر وليّه، لتحقيق غرض من أغراض التشريع.

أضف إلى ذلك ما ثبت في علم الحياة، من إمكان طول عمر الإنسان إذا كان مراعياً لقواعد حفظ الصحة، وأنّ موت الإنسان في فترة متدنية، ليس لقصور الاقتضاء، بل لعوارض تمنع عن استمرار الحياة، ولو أمكن تحصين الإنسان منها بالأدوية والمعالجات الخاصة لطال عمره ما شاء.

«١» كمال الدين، ص ٥٥٥.

«٢» البرهان على طول عمر الإمام صاحب الزمان، للكراجكي، ملحق بـ «كنز الفوائد»، له أيضاً، الجزء الثاني. لاحظ في ذكر المعمرين ص١١٤ ـ ١٥٥، ط دار الأضواء، بيروت ـ ١٤٠٥.

«٣» بحار الأنوار، ج ٥١ الباب ١٤، ص ٢٢٥ ـ ٢٩٣.

وهناك كلمات ضافية من مهرة علم الطب في إمكان إطالة العمر، وتمديد حياة البشر، نشرت في الكتب والمجلات العلمية المختلفة «١»

وبالجملة، اتّفقت كلمة الأطباء على أنّ رعاية أُصول حفظ الصحة، توجب طول العمر، فكلما كثرت العناية برعاية تلك الأُصول، طال العمر، لأجل ذلك، نرى أنّ الوفيات في هذا الزمان، في بعض الممالك، أقلّ من السابق، والمعمّرين فيها أكثر من ذي قبل، وما هو إلا لرعاية أُصول الصحة، ومن هنا أسّست شركات تضمن حياة الإنسان إلى أمد معلوم تحت مقررات خاصة وحدود معينة، جارية على قوانين حفظ الصحة، فلو فرض في حياة شخص اجتماع موجبات الصحة من كل وجه، طال عمره إلى ما شاء الله.

وإذا قرأت ما تدوّنه أقلام الأطباء في هذا المجال، يتّضح لك معنى قوله سبحانه: ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝١٤٣ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٤٤ ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤].

فإذا كان عيش الإنسان في بطون الحيتان، في أعماق المحيطات، ممكناً إلى يوم البعث، فكيف لا يعيش إنسان، على اليابسة، في أجواء طبيعية، تحت رعاية الله وعنايته، إلى ما شاء؟!

«١» لاحظ مجلة المقتطف، الجزء الثالث من السنة التاسعة والخمسين.

إثبات طول عمره من حيث كونه حجّة

نسمعهم أحياناً يقولون: "لولا الإمام" أو "لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها". وفي ذلك أقول: إذا صحّ هذا الحديث فمعنى الحجّة فيه كتاب الله. فلو لم تكن بين النّاس مثل هذه الحجة الإلهية لانتهى وجود الخليفة لانتفاء الغاية من وجودها. فالغاية من وجود النّاس هي الهداية والتكامل، فإذا انقطع سبيل الهداية بانتفاء وجود كتاب الله الذي هو حجة الله على الخلق، لانتفى الغرض من الوجود واختفت الخليفة.

أما إذا كان المراد من الحجة في الحديث هو الإمام الغائب، فلا أدري ما هي الهداية المرجوة للناس مع اختفائه، حتى تسيخ الأرض بأهلها مع عدم وجوده وينهار الوجود؟

الجواب: هذا الإشكال مشترك كسابقه، بحيث يرتدّ بنفسه على الكاتب. فلو كان معنى الحديث أنّ "الحجة" تحفظ من يؤمن ويتمسك بها، فلن يكون ثمة فرق في أن تتجلى هذه "الحجة" بالإمام الغائب أو بالقرآن أو بأي كتاب سماوي.

وهنا نصل إلى ما ذكره الكاتب في رسالته، حيث قال: لو كانت "الحجة" ماثلة في الحدث بالإمام الغائب، لكان هذا الإمام حَرس أهل خراسان وقزوين من

الزلزلة المدمّرة التي أصابتهم وحفظهم من غائلتها خصوصاً وهو من مؤيديه والمؤمنين به!

في جوابه نقول تأسيساً على ما ذكرناه قبل لحظة: لو كان القرآن الكريم هو المقصود بالحجة في الحديث لوجب أن يحرس أهل الأرض، ويحفظ أهل خراسان وقزوين من بلاء الزلزلة، خصوصاً ونحن نعلم يقيناً أن في بيوت هؤلاء ساعة وقوع الزلزلة مئات بل آلاف من نسخ القرآن الكريم، ولكن مع ذلك انهارت المنازل وتهدمت على ساكنيها دون أن يحرسهم حجة الله -القرآن الكريم -وهم في بيوتهم!

وهكذا يتّضح أن "ساخت الأرض بأهلها" هو كناية عن انقراضٍ كامل لبني النوع البشري وفناء بساط الإنسانية. والطريف أن هذا التفسير هو الذي اعتمده الكاتب أولاً، بيد أنه غفل عنه فيما بعد «١».

من كتاب أمل الإنسان، سلسلة المسابقات الثقافية، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

«١» العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره ، مقالات تأسيسية، ص٢٦٨-٢٦٩.

العلم وعمر الإمام الحجّة ﻋﺠﻞ الله فرجه

يعالج العلامة الشهيد الشيخ مرتضى مطهريّ قدس سره مسألة طول عمر الإمام ﻋﺠﻞ الله فرجه من حيث علاقة طول العمر بالقوانين العلمية التي تجري على البشر فيقول قدس سره:

"عندما يطرح موضوع الإمام الحجّة المنتظر ﻋﺠﻞ الله فرجه، فإنّ كثيراً من النّاس يتساءلون: هل من الممكن أن يعمّر الإنسان ألفاً ومائتي سنة؟ أليس ذلك مخالفاً لقانون الطبيعة؟

إنَّ هؤلاء يتصوّرون أنّ كلّ الأمور التي تحدث في هذه الدنيا تنطبق مائة بالمائة مع قوانين الطبيعة الاعتياديّة أي مع تلك القوانين التي توصّل إليها علم البشر. في حين أنّ جميع التطوّرات الكبرى التي حدثت في تأريخ حياة جميع الموجودات الحيّة -من نبات وحيوان -لم تكن تطوّرات عاديّة. فهل أنّ انعقاد أوّل نطفة للحياة على وجه الأرض يتطابق مع أصول علم الحياة؟ كلّا، فلم يكن ذلك متطابقاً مع أي قانون طبيعيّ في الأرض.

واستناداً إلى النظريات العلمية المعتبرة اليوم فإنّ عمر أرضنا هذه يقدر بحوالي أربعين مليار من السنين، حيث كانت الأرض في بداية أمرها كتلة منصهرة ملتهبة يستحيل على أيّ كائن حيّ أن يعيش فيها. ثمّ مرّت ملياردات عديدة من السنين حتّى بردت هذه الكتلة وظهر على سطحها أول موجود حيّ.

والعلم اليوم يقرّر بأنّ أيّ كائن حيّ لا بدّ أن يتولّد أو ينشأ من كائن حيّ آخر، ولا يمكن أن يوجد كائن حيّ من كائن غير حيّ أبداً، إلّا أنّه لم يستطع إلى الآن أن يفسّر كيف وجد أوّل كائن حيّ على وجه الأرض، وكيف انعقدت أوّل نطفة للحياة فيها.

وعندما يتجاوز العلم هذه النقطة، فإنّه يقع في الحيرة مرّة أخرى. ذلك أنّ العلم يقرّر بأنّ أوّل خلية حيّة وجدت على وجه الأرض أخذت تنقسم وتتكاثر وتنتقل من مرحلة إلى مرحلة في التكامل والتطوّر إلى أن جاء وقت تشعبت فيه إلى فرعين رئيسين، ونشأت من ذلك المملكة النباتية والمملكة الحيوانيّة. فكيف حصل هذا التطوّر الكبير الذي أدّى إلى أن تنقسم الخلايا البدائيّة الأولى إلى فرع نباتي وفرع حيواني يكمّل واحد منهما الآخر خصوصاً من ناحية امتصاص وإطلاق الغازات الموجودة في الجوّ؟

وهكذا يواصل العلم حيرته في المراحل الأخرى -وخصوصاً في المرحلة التي وجد فيها الإنسان، ذلك المخلوق العجيب الذي يتمتّع بالعقل والفكر والإرادة -ويبقى عاجزاً عن إعطاء تفسيرات مقنعة لكلّ هذه الأحداث.

ثمّ هل أنّ مسألة الوحي مثلاً أمر عاديّ لا يلفت النظر؟

هل أنّ مسألة وصول إنسان ما إلى درجة يكون مستعداً فيها لاستلام تعليمات آتية من عالم ما وراء الطبيعة، أقلّ شأناً من مسألة بقاء فرد من الأفراد حيّاً لمدة ألف ومائتي سنة أو أكثر من ذلك؟

كلّا، بل يمكننا القول بأنّ مسألة طول عمر الإنسان شيء طبيعيّ لا يخرج عن دائرة القوانين الطبيعيّة، بدليل أنّ العلم يسعى اليوم إلى ابتكار وسائل أو عقاقير تزيد في معدّل عمر الإنسان. فقانون الطبيعة لم يحدّد رقماً معيناً لحياة الإنسان على وجه الأرض. صحيح أنّ خلايا بدن الإنسان لها دورة حياتية محدودة، ولكن هذا لا يكون إلا في ظروف معيّنة، وإذا اكتشف العلم في المستقبل العلاقة العلمية بين الظروف المحيطة، ومدة دورة حياة خلايا الجسم الإنسانيّ، فلا يستبعد أن يتمكّن الإنسان أن يعيش خمسمائة سنة أو ألف سنة وربّما أكثر!

أضف إلى ذلك أنّ الله سبحانه وتعالى قد بيّن عبر الكثير من آياته الكونيّة بأنّ هناك أشياء تحدث في هذه الدنيا وفي بعض المراحل المعيّنة، ويكون ذلك أشبه شيء بيد تخرج من وراء الغيب فتحدث تطوّرات خارقة في الحياة لا تنطبق مع قانون الطبيعة أصلاً ولا يمكن التنبؤ بها مسبقاً.

فسواء درسنا المسألة من الناحية العلمية أم من الناحية الغيبيّة، فإنّ موضوع طول عمر صاحب الزَّمان عجل الله تعالى فرجه الشريف لا يحتاج إلى أيّ تشكيك أو ارتياب، خصوصاً بعد أن صرّحت الأحاديث والروايات الدينيّة بذلك. إنّ إحدى وظائف الدين هي أن يفتّح عقل الإنسان ويخرج تفكيره من الدائرة الضيّقة للأحداث العادية المألوفة التي يراها في حياته اليوميّة" «١».

«١» العلامة الشهيد الشيخ مرتضى مطهري، أصالة الروح، ص٢١٢-٢١٤.

المعجزة والعمر الطويل

وقد عرفنا حتى الآن أنّ العمر الطويل ممكن علمياً، ولكن لنفترض أنه غير ممكن علمياً، وأنّ قانون الشيخوخة والهرم قانون صارم لا يمكن للبشرية اليوم، ولا على خطّها الطويل أن تتغلب عليه، وتغيّر من ظروفه وشروطه، فماذا يعني ذلك؟ إنه يعني أنّ إطالة عمر الإنسان - كنوح أو كالمهديّ - قروناً متعدّدة، هي على خلاف القوانين الطبيعية التي أثبتها العلم بوسائل التجربة والاستقراء الحديثة، وبذلك تصبح هذه الحالة معجزة عطّلت قانوناً طبيعياً في حالة معيّنة للحفاظ على حياة الشخص الذي أنيط به الحفاظ على رسالة السماء، وليست هذه المعجزة فريدة من نوعها، أو غريبة على عقيدة المسلم المستمدّة من نصّ القرآن والسنّة، «١» فليس قانون الشيخوخة والهرم أشدّ صرامة من قانون انتقال الحرارة من الجسم الأكثر حرارة إلى الجسم الأقل حرارة حتى يتساويا، وقد عطّل هذا القانون لحماية حياة إبراهيم عليه السلام حين كان الأسلوب الوحيد للحفاظ

«١» أي أنّ الأمر يصبح من قبيل المعجز، وهو ما نطق به القرآن، وجاء في صحيح السنّة المطهّرة، والإعجاز حقيقة رافقت دعوة الأنبياء، وادّعاء سفارتهم عن الحضرة الإلهيّة، وهو ما لا يسع المسلم إنكاره أو الشك فيه، بل إنّ غير المسلم يشارك المسلم في الاعتقاد بالمعجزات.

عليه تعطيل ذلك القانون. فقيل للنار حين ألقي فيها إبراهيم ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [إبراهيم :٦٩]، فخرج منها كما دخل سليماً لم يصبه أذىً، إلى كثير من القوانين الطبيعية التي عطّلت لحماية أشخاص من الأنبياء وحجج الله على الأرض، فَفُلق البحر لموسى «١»، وشبّه للرومان أنهم قبضوا على عيسى«٢» ولم يكونوا قد قبضوا عليه، وخرج النبيّ محمد صلى الله عليه وآله من داره وهي محفوفة بحشود قريش التي ظلّت ساعات تتربّص به لتهجم عليه، فستره الله تعالى عن عيونهم وهو يمشي بينهم «٣». كلّ هذه الحالات تمثل قوانين طبيعية عطّلت لحماية شخص، كانت الحكمة الربانية تقتضي الحفاظ على حياته، فليكن قانون الشيخوخة والهرم من تلك القوانين.

وقد يمكن أن نخرج من ذلك بمفهوم عام وهو أنه كلّما توقّف الحفاظ على حياة حجة لله في الأرض على تعطيل قانون طبيعي، وكانت إدامة حياة ذلك الشخص ضرورية لإنجاز مهمّته التي أعدّ لها، تدخّلت العناية الربانية في تعطيل ذلك القانون لإنجاز مهمته التي أعدّ لها، وعلى العكس إذا كان الشخص قد انتهت

«١» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٣] .

«٢» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ ﴿١٥٧﴾ ﴾[النساء :١٥٧].

«٣» راجع: سيرة ابن هشام ٢: ١٢٧، فقد نقل هذه الحادثة وهي مجمعٌ عليها.

مهمته التي أعدّ لها ربانياً فإنه سيلقى حتفه ويموت أو يستشهد وفقاً لما تقرّره القوانين الطبيعية.

ونواجه عادة بمناسبته

المفهوم العام السؤال التالي: كيف يمكن أن يتعطّل القانون؟ «١» وكيف تنفصم العلاقة الضرورية التي تقوم بين الظواهر الطبيعية؟ وهل هذه إلاّ مناقضة للعلم الذي اكتشف ذلك القانون الطبيعي، وحدّد هذه العلاقة الضرورية على أسس تجريبية واستقرائية؟!

والجواب: أنّ العلم نفسه قد أجاب عن هذا السؤال بالتنازل عن فكرة الضرورة في القانون الطبيعي، وتوضيح ذلك: إنّ القوانين الطبيعية يكتشفها العلم على أساس التجربة والملاحظة المنتظمة، فحين يطّرد وقوع ظاهرة طبيعية عقيب ظاهرة أخرى يستدلّ بهذا الاطّراد على قانون طبيعي، وهو أنّه كلّما وجدت الظاهرة الأولى وجدت الظاهرة الثانية عقيبها، غير أنّ العلم لا يفترض في هذا القانون الطبيعي علاقة ضرورية بين الظاهرتين نابعة من صميم هذه الظاهرة وذاتها، وصميم تلك وذاته، لأنّ الضرورة حالة غيبية، لا يمكن للتجربة

«١» قد يقال: إنّ القانون بصفته قانوناً لابدّ يطّرد، ولا يتصور التعطيل والانخرام، وقد لا حظ بعضهم أنّ الانخرام إنّما هو بقانون آخر، كما هو الأمر بالنسبة إلى قانون الجاذبية، الذي يستلزم جذب الأشياء إلى المركز، ومع ذلك فإنّ الماء يصعد بعملية الامتصاص في النباتات من الجذر إلى الأعلى بواسطة الشعيرات، وهذا بحسب قانون آخر هو «الخاصيّة الشعريّة». راجع: القرآن محاولة لفهم عصري / الدكتور مصطفى محمود.

ووسائل البحث الاستقرائي والعلمي إثباتها، ولهذا فإنّ منطق العلم الحديث يؤكد أنّ القانون الطبيعي - كما يعرّفه العلم - لا يتحدّث عن علاقة ضرورية، بل عن اقتران مستمر بين ظاهرتين، فإذا جاءت المعجزة وفصلت إحدى الظاهرتين عن الأخرى في قانون طبيعي لم يكن ذلك فصماً لعلاقة ضرورية بين الظاهرتين.

والحقيقة أنّ المعجزة بمفهومها الدينيّ، قد أصبحت في ضوء المنطق العلمي الحديث مفهومة بدرجة أكبر مما كانت عليه في ظلّ وجهة النظر الكلاسيكية إلى علاقات السببيّة.

فقد كانت وجهة النظر القديمة تفترض أنّ كلّ ظاهرتين «١»اطّرد اقتران إحداهما بالأخرى فالعلاقة بينهما علاقة ضرورة، والضرورة تعني أنّ من المستحيل أن تنفصل إحدى الظاهرتين عن الأخرى، ولكن هذه العلاقة تحوّلت في منطق العلم الحديث إلى قانون الاقتران أو التتابع المطّرد «٢» بين الظاهرتين دون افتراض تلك الضرورة الغيبيّة.

وبهذا تصبح المعجزة حالة استثنائية لهذا الاطّراد في الاقتران أو التتابع دون أن تصطدم بضرورة أو تؤدّي إلى استحالة.

«١» وقد بسط الشهيد الصدر القول في هذه المسألة في كتابه فلسفتنا فراجــع، ص ٢٩٥، ٢٩٩.

«٢» راجع: فلسفتنا ص٢٨٢ وما بعدها.

وأما على ضوء الأسس المنطقية للاستقراء «١» فنحن نتّفق مع وجهة النظر العلمية الحديثة، في أنّ الاستقراء لا يبرهن على علاقة الضرورة بين الظاهرتين، ولكنّا نرى أنّه يدلّ على وجود تفسير مشترك لا طّراد التقارن أو التعاقب بين الظاهرتين باستمرار، و هذا التفسير المشترك كما يمكن صياغته على أساس افتراض الضرورة الذاتية، كذلك يمكن صياغته على أساس افتراض حكمة دعت منظّم الكون إلى ربط ظواهر معيّنة بظواهر أخرى باستمرار، وهذه الحكمة نفسها تدعو أحياناً إلى الاستثناء فتحدث المعجزة.

«١» راجع بسط وشرح النظرية في "الأسس المنطقية للاستقراء" حيث توصّل الإمام الشهيد الصدر ﵀ إلى اكتشاف مهمّ وخطير على صعيد نظرية المعرفة بشكل عام.

الموضوع الثالث: غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

الغيبة الصغرى

تسلّمه مهام الإمامة صغيراً

تسلّم المهدي عليه السلام مهام الإمامة وهو ابن خمس أو ست سنين فهو أصغر الائمة سناً عند توليه مهام الإمامة. وقد أخبرت عن ذلك الأحاديث الشريفة سابقا«١»

وليس في ذلك غرابة في تأريخ الأنبياء والرسل وائمة أهل البيت عليهم السلام فقد سبقه لذلك بعض انبياء الله تعالى حسب نصّ القرآن الكريم كعيسى ويحيى كما سبقه الإمامان علي الهادي عليه السلام الذي تسلم الإمامة وهو ابن ثمان سنين والإمام محمد الجواد عليه السلام الذي تسلم الإمامة وهو ابن سبع أو تسع سنين.

وقد خاض الإمام الجواد عليه السلام امتحانين عامين، الأول منهما كان بحضور مشائخ مذهب أهل البيت عليهم السلام وكبار علمائهم من أصحاب أبيه، وبعد تسلمه لمهام الإمامة مباشرة، وكان الثاني منهما في مجلس المأمون وبحضور كبار علماء المسلمين

«١» راجع مثلاً حديث الإمام الباقر عليه السلام: صاحب هذا الأمر أصغرنا سناً وأخملنا شخصاً... غيبة النعماني: ١٨٤.

يومذاك وكبار زعماء العباسيين الذين كانوا يسعون بكل وسيلة للحط من مكانة ائمة أهل البيت عليهم السلام. وخرج من كلا الامتحانين بنجاح باهر أذعن بسببه مشائخ أصحاب أبيه وكبار علماء المسلمين لإمامته العلمية وإحاطته بعلوم شريعة جده سيد الرسل محمد صلى الله عليه وآله «١».

وكانت أهم ثمار هذه التجربة تتجلى في إثبات إمامة الائمة الاثني عشر كموقع إلهي يؤتيه الله تبارك وتعالى لمن يشاء فلا يؤثر صغر السن في قابلية الإفاضة الإلهية على الشخص، ولذلك نلاحظ أنّ الذين ترجموا للإمام المهدي عليه السلام من علماء المذاهب الإسلامية قد اعتبروا تسلمه للإمامة، وهو ابن خمس سنين أمراً طبيعياً في سيرة ائمة هذا البيت عليهم السلام، حتى إنّ عالماً كبيراً مثل ابن حجر الهيثمي المكّي الشافعي يقول في ذيل ترجمته للإمام الحسن العسكري عليه السلام: ولم يخلف الإمام العسكري غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين لكن آتاه الله فيها الحكمة... «٢»، ويقول صاحب كتاب مرآة الأسرار الشيخ عبدالرحمن الجامي الحنفي في ترجمته: كان عمره عند وفاة ابيه خمس سنين وجلس على مسند الإمامة ومثله مثل يحيى بن زكريا حيث أعطاه الله في الطفولية الحكمة

«١» وراجع بهذا الشأن إيضاحات الشيخ المفيد قدس سره في كتابه الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٢٥٦، وفي كتاب بحث حول المهدي للسيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره حيث تحدث مفصلاً عن هذه الظاهرة في حياة الائمة بالتفصيل.

«٢» راجع تفصيلات هذه الامتحانات في موسوعة بحار الأنوار: ٥٠/ ٩٩ وغيرها.

والكرامة ومثل عيسى بن مريم حيث أعطاه النبوة في صغر سنّه كذلك المهدي جعله الله إماماً في صغر سنه، وما ظهر له من خوارق العادات كثير» «١».

ونلاحظ هنا استناد الشيخ الجامي الحنفي الى تجارب الأنبياء السابقين عليهم السلام التي تنفي استبعاد الإمامة عن الصغير مادام الإمام مسدداً من قبل الله تبارك وتعالى في صغره أو كبره. وقد ثبت أن المهدي عليه السلام قد حظي بهذا التسديد الإلهي من خلال حوادث عديدة نقلتها كتب الحديث والتاريخ وذكرت صدور كرامات عنه عليه السلام لا يمكن صدورها عن غير الإمام، وقد كان بعضها في حياة أبيه وبعضها الآخر في عهد إمامته «٢».

صلاته على أبيه وإعلان وجوده

كان من أُولى المهمات التي قام بها الإمام المهدي عليه السلام بُعَيْد تسلمه مهام الإمامة هي الصلاة على أبيه الحسن العسكري عليهما السلام في داره وقبل إخراج جسده الطاهر الى الصلاة «الرسمية» التي خططتها السلطات العباسية «٣» وكان قيامه بهذه الصلاة يعتبر أمراً مهماً في إثبات إمامته رغم المخاطر التي كانت تتوقع بعد نقل خبر هذه الصلاة.

«١» الصواعق المحرقة: ١٢٤.

«٢» مرآة الأسرار: ٣١.

«٣» يظهر أن الصلاة الأولى كانت بحضور وجوه أصحاب الإمام وأرحامه والصلاة الرسمية كانت بحضور ممثلي السلطة العباسية ووجوه المدينة وعامة الناس، راجع تفصيلات ذلك في كتاب بحار الأنوار: ٥٠/ ٣٢٨.

روى الشيخ الطوسي بسنده عن أحمد بن عبد الله الهاشمي ـ وهو من ولد العباس ـ قال: حضرتُ دار أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام بسر مَن رأى يوم توفي واُخرجت جنازته ووضعت، ونحن تسعة وثلاثون رجلاً قعود ننتظر، حتى خرج علينا غلام عشاري حاف، عليه رداء قد تقنع به فلما أن خرج قمنا هيبة له من غير أن نعرفه، فتقدم وقام الناس فاصطفوا خلفه، فصلى عليه ومشى، فدخل بيتاً غير الذي خرج منه «١».

وروى الشيخ الصدوق الحادثة نفسها بتفصيلات أدق عن أبي الأديان البصري أحد ثقاة الإمام العسكري عليه السلام ، حيث قال: كنت اخدم الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام واحمل كتبه الى الأمصار فدخلت عليه في علّته التي توفّي فيها عليه السلام فكتب معي كتباً وقال: امض بها الى المدائن فإنك ستغيب اربعة عشر يوماً وتدخل الى «سر من رأى» يوم الخامس عشر وتسمع الواعية في داري وتجدني على المغتسل. قال أبو الأديان: فقلت: يا سيدي فاذا كان ذلك فمن ؟ قال: «من طالبك بجوابات كتبي فهو القائم من بعدي»، فقلت: زدني فقال: «من اخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي» ثم منعتني هيبته ان اسأله عما في الهميان وخرجت بالكتب الى المداين واخذت جواباتها ودخلت «سر من رأى» يوم الخامس عشر كما قال لي

«١» مثل تكلّمه عند ولادته وهو في المهد، كمال الدين: ٤٣٣، ٤٤١ وغيرها، ومثل تحدثه بجوامع العلم والحكمة وهو صغير، غيبة الشيخ الطوسي: ١٤٨ وغيرها.

عليه السلام واذا أنا بالواعية في داره واذا به على المغتسل واذا انا بجعفر الكذاب ابن علي اخيه بباب الدار والشيعة من حوله يعزونه ويهنؤونه فقلت في نفسي ان يكن هذا الإمام بطلت الإمامة لأني كنت اعرفه يشرب النبيذ ويقامر في الجوسق ويلعب بالطنبور فتقدمت فعزيت وهنئت فلم يسألني عن شيء ثم خرج عقيد فقال: يا سيدي قد كفن اخوك فقم فصلِّ عليه.

فدخل جعفر بن علي والشيعة من حوله يقدمهم السمان والحسن بن علي قبيل المعتصم المعروف بسلمة فلما صرنا في الدار اذا نحن بالحسن بن علي عليه السلام على نعشه مكفناً، فتقدم جعفر بن علي ليصلّي على اخيه فلما هم بالتكبير خرج صبي بوجهه سمرة بشعره قطط باسنانه تفليج، فجذب برداء جعفر بن علي وقال: تأخر يا عم فأنا احق بالصلاة على أبي فتأخر جعفر وقد اربدّ وجهه واصفرّ وتقدم الصبي فصلى عليه ودفن الى جانب قبر ابيه عليهما السلام ثم قال: يا بصرى هات جوابات الكتب التي معك فدفعتها إليه فقلت في نفسي: هذه بيّنتان بقي الهميان ثم خرجت الى جعفر بن علي وهو يزفر فقال له حاجز الوشا: يا سيدي من الصبي لنقيم الحجة عليه ؟

فقال: والله ما رأيته ولا اعرفه فنحن جلوس اذ قدم نفر من قم فسألوا عن الحسن بن علي عليه السلام فتعرفوا موته فقالوا: فمن نعزي؟ فاشاروا الى جعفر ابن علي فسلموا عليه وعزوه وهنؤوه وقالوا: معنا كتب ومال فتقول ممن الكتب وكم المال؟ فقام ينفض اثوابه ويقول: تريدون منا أن نعلم الغيب؟! قال: فخرج

الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير منها مطلية فدفعوا إليه الكتب والمال وقالوا: الذي وجّه بك لأخذ ذلك هو الإمام. فدخل جعفر بن علي على المعتمد وكشف ذلك فوجّه المعتمد بخدمه فقبضوا على صقيل الجارية فطالبوها بالصبي فأنكرته، وادعت أن بها حبلاً لتغطي على حال الصبي، فسلّمت الى ابن أبي الشوارب القاضي، وبغتهم موت عبيد الله بن خاقان فجأة وخروج صاحب الزنج بالبصرة فشغلوا بذلك عن الجارية فخرجت من أيديهم والحمد لله رب العالمين... «١».

أهدافه عليه السلام من الصلاة على أبيه

حقق قيام الإمام بالصلاة على أبيه عليهما السلام أمرين مهمين، كان من الضروري إنجازهما بعد وفاة الإمام الحادي عشر حيث تتطلّع أنظار الناس لمعرفة هوية الإمام الثاني عشر، بعد أن عرفنا أنّ ولادة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف كانت قد أُحيطت بالكتمان الشديد بسبب الترصد العباسي للقضاء على الوليد المصلح المرتقب، لذلك فإن هذا الظرف الخاص هو الظرف الذي كانت تتطلع فيه الأعين لترى من الذي يصلي على الإمام المتوفى لتتخذ ذلك قرينة كاشفة عن خليفة الإمام السابق. وهكذا كان الظرف يمثل فرصة مناسبة للغاية لتعريف الحاضرين في الدار ـ وكثير منهم من عيون أصحاب الإمام العسكري عليه السلام ووكلائه ـ بوجود الإمام المهدي وأنه هو الوصي الحقيقي لأبيه، وأن الرعاية الإلهية قد حفظته من

«١» غيبة الشيخ الطوسي: ١٥٥.

مساعي الإبادة العباسية خاصة وأن الخليفة العباسي المعتمد قد بعث جلاوزته فور وصول خبر وفاة الإمام العسكري لتفتيش داره عليه السلام بجميع حجرها بحثاً عن ولده واصطحبوا معهم نساءاً يعرفن الحبل لفحص جواريه عليه السلام وكل ذلك كان قبل تهيئة الجسد الطاهر وتكفينه، «١» لذلك كانت صلاته على أبيه عليه السلام بمثابة إعلان لأولئك الحاضرين ـ وعددهم كان يناهز الأربعين كما في رواية الهاشمي المتقدمة ـ بسلامة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف من الهجوم العباسي السريع الذي باغت أهل دار العسكري المنشغلين بمصيبة فقده عليه السلام ، الأمر الذي قد يجعل البعض يتصور بأنهم لم يكونوا يتحسبون لهذا الهجوم المباغت.

ولتأكيد هذا الأمر نلاحظ أن ظهور الإمام المهدي عليه السلام للصلاة على أبيه اقترن بالإعلان عن هويته وأنه ابن الحسن العسكري وأنه أحق بالصلاة عليه كما تصرح بذلك رواية أبي الأديان حيث خاطب الإمام عمه جعفر بالقول: يا عم، أنا أحق بالصلاة على أبي.

<u>أما الإنجاز الثاني</u>، فهو منع عمه جعفر ـ الذي لُقب بالكذاب ـ من استغلال هذا الموقف المهم للحصول على ورقة مؤثرة في أذهان الناس تؤيد دعاويه التضليلية بأنه هو الإمام بعد أخيه العسكري عليه السلام ، وتتضح أهمية هذا الإنجاز وضرورته من ملاحظة الجهود المستميتة التي بذلها جعفر بتشجيع من السلطة العباسية لإقناع الناس بأنه خليفة أخيه العسكري عليه السلام والقائم مقامه في الإمامة، وقد

«١» كمال الدين: ٤٧٥ ـ ٤٧٦.

بلغت استماتته في ذلك حد الوشاية بابن أخيه المهدي عليه السلام ومسارعته لإخبار المعتمد العباسي بحضوره للصلاة بهدف القبض عليه كما رأينا في الرواية المتقدمة، واستنجاده بالبلاط العباسي لمناصرته في جهوده هذه.

وواضح أنّ لمثل هذا النشاط المحموم تأثيراً سلبياً كبيراً في إضلال الناس وإبعادهم عن الإمام الحق خاصة مع الخفاء الذي كان قد أحاط بولادة المهدي عليه السلام وكتمان أمره إلا عن خواص أصحابه، فكان لابد للإمام عليه السلام من مواجهته وعدم السماح له باستغلال ذلك الموقف الحساس لجهوده التضليلية تلك، وإعلان وجوده عليه السلام . إكمالاً للحجة على الرغم من المخاطر التي حفت بالقيام بهذه المهمة «١»

«١» أعلام الهداية.

الغيبة الكبرى للإمام المهدي عجل الله فرجه وأسبابها

والآن نلقي نظرة عامة على بعض ما أشارت إليه الأحاديث الشريفة بشأن علة الغيبة وأسرارها، إذ إن من الواضح أن التمهيد للظهور يكون بإزالة الأسباب التي أدت للغيبة، لذا فإن التعرف على أسباب الغيبة يلقي الأضواء على طبيعة تحرك الإمام المهدي عليه السلام خلالها.

علل الغيبة في الأحاديث الشريفة

لقد تناولت مجموعة من الأحاديث الشريفة علل وقوع الغيبة. نذكر أولاً نماذج منها استناداً الى العلل التي تذكرها: مشيرين الى أن لكل نموذج نظائر عديدة رواها المحدثون بأسانيد متعددة:

١. روى سدير عن أبيه عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ان للقائم منّا غيبة يطول أمدها فقلت له: يابن رسول الله ولم ذاك قال: لأن الله عز وجل أبى إلاّ أن يجعل فيه سنن الأنبياء عليهم السلام في غيباتهم، وانه لابدّ له يا سدير من استيفاء مدة غيباتهم، قال الله تعالى: ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [الإنشقاق: ١٩]، أي سنن مَن كان قبلكم «١».

«١» كمال الدين: ٤٤١.

٢. ومنها ما روي عن الحسن بن محبوب بن ابراهيم الكرخي قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام أو قال له رجل: أصلحك الله ألم يكن علي قوياً في دين الله؟ قال: بلى قال: فكيف ظهر عليه القوم وكيف لم يمنعهم وما منعه من ذلك؟ قال: آية في كتاب الله عز وجل منعته، قال: قلت؟ وأيّ آية هي؟ قال: قول الله عز وجل : «لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً اليماً». انه كان لله عز وجل ودائع مؤمنون في اصلاب قوم كافرين ومنافقين، فلم يكن عليّ ليقتل الآباء حتى تخرج الودائع، فلما خرجت الودائع ظهر على مَن ظهر فقاتله، وكذلك قائمنا أهل البيت لن يظهر أبداً حتى تظهر ودائع الله عز وجل فاذا ظهرت ظهر على مَن ظهر فقاتله» «١».

٣. ومنها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «والله لا يكون الذي تمدون إليه أعناقكم حتى تميّزوا وتمحّصوا، ثم يذهب من كل عشرة شيء ولا يبقى منكم إلاّ الأندر، ثم تلا هذه الآية: أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين» «٢».

٤. وروى عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «إن لصاحب هذا الأمر غيبة لابدّ منها، يرتاب فيها كل مبطل، فقلت له: ولم جُعلت فداك؟ قال: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم

«١» غيبة الطوسي: ٢١٥.

«٢» تأريخ الغيبة الصغرى: ٦٠٩ ـ ٦٢٨.

قلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟ قال: وجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدم من حجج الله تعالى ذكره، إنّ وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلاّ بعد ظهوره كما لم ينكشف وجه الحكمة فيما أتاه الخضر عليه السلام إلاّ بعد افتراقهما، يا بن الفضل ان هذا الأمر من أمر الله وسرّ من سرّ الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا ان الله عز وجل حكيم صدقنا بأن أفعاله كلها حكمة، وان كان وجهها غير منكشف» «١».

٥. ومنها ما رواه زرارة عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «إن للقائم غيبة قبل ظهوره، قلت: ولِمَ؟ قال: يخاف ـ وأومأ بيده إلى بطنه، قال زرارة يعني: القتل» «٢».

٦. ومنها ما روي عن عبد الله بن عطا، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قلت له إن شيعتك بالعراق كثيرة والله ما في أهل بيتك مثلك فكيف لا تخرج؟ قال: فقال: يا عبد الله بن عطاء! قد اخذت تفرش اذنيك للنوكى، إي والله ما أنا بصاحبكم، قال: قلت له: فمن صاحبنا؟ قال: انظروا من عمى على

«١» غيبة الطوسي: ١٦٤.

«٢» راجع روايات الالتقاء به في عصر الغيبة الصغرى الموجودة في كتب الغيبة والتي جمع الكثير منها السيد البحراني في كتاب تبصرة الولي.

الناس ولادته فذاك صاحبكم إنّه ليس منا أحد يشار إليه بالاصبع ويمضغ بالألسن إلاّ مات غيظاً أو رغم أنفه» «١».

٧. ومنها ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «دولتنا آخر الدول، ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلاّ ملكوا قبلنا، لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا، إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عز وجل : ﴿ وَٱلۡعَـٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ١٢٨ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]«٢».

٨. ومنها ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال ـ في جواب من سأله عن علة الغيبة: «لئلا يكون في عنقه بيعة اذا قام بالسيف» «٣».

وهذا المعنى مروي عن كثير من الأئمة بألفاظ متقاربة، منها ما روي عن المهدي عليه السلام نفسه أنه قال في توقيعه الى اسحق بن يعقوب في جواب أسئلته: «... وأما علة ما وقع من الغيبة، فإن الله عز وجل يقول: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ ﴾ [المائدة: ١٠١]. إنه لم يكن أحد من آبائي عليهم السلام إلاّ وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وإني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي» «٤».

«١» راجع في هذا الباب كتاب «منع تدوين الحديث ـ اسباب ونتائج» للسيد علي الشهرستاني: ٣٩٧ ـ ٤٦٥ الفصل الخاص بتأريخ تدوين السنة النبوية عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام .

«٢» غيبة الطوسي: ١٧٢ ـ ٢٥٧.

«٣» غيبة الطوسي: ١٩٨ ـ ١٩٩.

«٤» المصدر: ٢٤٠.

٩. ويقول عجل الله تعالى فرجه الشريف في رسالته الأولى للشيخ المفيد: «نحن، وإن كنا ثاوين بمكاننا النائي عن مساكن الظالمين حسب الذي أرانا الله تعالى لنا من الصلاح ولشيعتنا المؤمنين في ذلك، مادامت دولة الدنيا للفاسقين»«١».

١٠. ويقول عليه السلام في رسالته الثانية للشيخ المفيد: «ولو أن أشياعنا ـ وفقهم الله لطاعته ـ على اجتماع من القلوب في الوفاء بالحمد عليهم، لما تأخر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حق المعرفة وصدقها منهم بنا فما يحبسنا عنهم إلاّ ما يتصل بنا مما نكرهه ولا نؤثره منهم...» «٢».

هذه نماذج لأبرز الأحاديث الشريفة المروية بشأن علل الغيبة، والأسباب التي تذكرها فيها بعض التداخل، نشير إليها ضمن النقاط الثمانية التالية:

١. استجماع تجارب الأمم السابقة«٣»

إن الحكمة الإلهية في تدبير شؤون خلقه تبارك وتعالى اقتضت غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف للحكمةِ نفسها التي اقتضت غيبات الأنبياء في الأُمم السابقة، لأن ما جرى في هذه الأُمم مجتمعة يجري على الأُمة الاسلامية صاحبة الشريعة الخاتمة. فمثلما اقتضى تحقيق أهداف الرسالات السماوية غيبة بعض أنبيائها بدليل عدم استعداد

«١» الكافي: ١ / ٥٢٥.

«٢» الكافي: ١/ ٥٢٥.

«٣» هذه النقطة فيها تأمل من جهة ان الامام عجل الله تعالى فرجه الشريف واقف على ما يدور في العوالم الشهودية الغيبية بحسب ما نعتقده من مقامات الامامة/ من الكاتب.

الأُمم السابقة لتحقق هذه الأهداف، كذلك الحال مع الأمة الإسلامية فإن تحقق أهداف شريعتها الخاتمة اقتضى غيبة خاتم أوصيائها الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف حتى تتأهل بشكل كامل لتحقق هذه الأهداف، وواضح أن هذا السبب مجمل بل إنه يشكل الإطار العام لعلل الغيبة التي تذكرها الطوائف الأخرى من الأحاديث الشريفة.

والملاحظ في هذه الطائفة من الأحاديث أنّها تعتبر أمر الغيبة من الأسرار الإلهية التي لا تتضح إلاّ بعد انتهاء الغيبة وظهور الإمام والتي لم يُؤذن بكشفها قبل ذلك، الأمر الذي يشير الى أن ما تذكره الأحاديث الشريفة لا يمثل كل العلل الموجبة للغيبة بل بعضها وثمة علل أخرى ليس من الصالح كشفها قبل الظهور ـ للجميع على الأقل ـ، ولكن الإيمان بها فرع الإيمان بحكمة الله تبارك وتعالى وأنه الحكيم الذي لا يفعل إلاّ ما فيه صلاح عباده.

٢. العامل الأمني

مخافة القتل كما جرى مع غيبات أنبياء الله موسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، والأمر في غاية الوضوح مع الإمام المهدي عليه السلام الذي كانت السلطات العباسية تسعى سعياً حثيثاً لقتله كما رأينا سابقاً. وهذا السبب يصدق بشكل كامل على أصل وقوع الغيبة وفي الغيبة الصغرى على الأقل.

ومعلوم أن المقصود هو حفظ وجود الإمام لكونه حجة الله على خلقه ولكي لا تخلو الأرض من قائم لله بحجته وهاد بأمره إليه تبارك وتعالى.

أما ما هو سبب اختصاص الغيبة بالإمام الثاني عشر لحفظ وجوده مع أن أباءه الطاهرين عليهم السلام كانوا أيضاً حجج الله على خلقه وقد تعرّضوا أيضاً للمطاردة والاغتيال فلم يمت أي منهم إلاّ بالسيف أو السم؟ «١».

فالجواب واضح، فهو عجل الله تعالى فرجه الشريف آخر الأئمة المعصومين عليهم السلام وهو المكلف بإقامة الدولة الإسلامية العالمية وعلى يديه يحقق الله عزّ وجلّ وعده بإظهار الإسلام على الدين كله وتوريث الأرض للصالحين، فلابد من حفظ وجوده حتى ينجز هذه المهمة. يُضاف الى ذلك أن السلطات العباسية كانت عازمة على قتله وهو في المهد لعلمها بطبيعة مهمته الإصلاحية العامة.

أما في الغيبة الكبرى فهذه العلة تبقى مؤثرة مالم تتوفر جميع العوامل اللازمة لإنجاز مهمته مثل توفر الأنصار وغير ذلك، لأنه سيبقى غرضاً لسهام مساعي حكام الجور لإبادته قبل أن ينجز هذه المهمة الإصلاحية الكبرى كما جرى على آبائِهِ عليهم السلام. وهذا الأمر واضح للغاية ويفهم من توضيحات الإمام الباقر عليه السلام لعبد الله بن عطاء في الحديث الثاني من هذه الطائفة.

٣. السماح بوصول الحق للجميع لخروج ودائع الله

إنّ إخراج ودائع الله، المؤمنين من أصلاب قوم كافرين يشكّل عاملاً آخر، ولعل المقصود منه إعطاء الفرصة لوصول الدين الحق للجميع كي تتضح لهم أحقية الرسالة الإسلامية التي يحملها الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وبالتالي تبني أشخاص ينتمون

«١» راجع تأريخ الغيبة الصغرى: ٣٦٧، و٥٩٧ وما بعدهما.

الى المدارس الضالة والأخلاف المنحرفين، للأهداف المهدوية والانتقال بهم الى صفوف أنصار المهدي المنتظر ﷻ.

وواضح أن هذه العلة تفسر تأخير ظهوره ﵇، بصورة واضحة، مباشرة، وبالتالي تفسّر بصورة غير مباشرة ـغيبته الى حين توفر هذا العامل من العوامل اللازمة لظهوره ﷻ ، باعتبار أنّ ظهوره مقترن بالبدء الفوري في تنفيذ مهمته الإصلاحية الكبرى، التي تتضمن نزول العذاب الأليم على المنحرفين.

٤. التمحيص الاعدادي لجيل الظهور

إنّ التمييز والتمحيص الإعدادي للمؤمنين به ﵇ يتحقّق من خلال الأوضاع الصعبة الملازمة لغيبته ﵇، ومعلوم أن الإيمان به وبغيبته هو بحدِّ ذاته عامل مهمّ في تمحيص الإيمان وتقوية الثابتين عليه لأنه يمثل مرتبة سامية من مراتب التحرر من أسر التصديق بالمحسوسات المادية فقط. ولذلك كان الإيمان بالغيب أُولى صفات المتقين كما تذكره الآيات الأولى من سورة البقرة، وقد طبقت الأحاديث الشريفة هذه الصفة على الإيمان بالإمام المهدي ﷻ في غيبته باعتباره من أوضح مصاديقها لا سيما إذا لاحظنا طول أمده.

ولذلك نلاحظ في الأحاديث الشريفة مدحاً بالغاً لمؤمني عصر الغيبة الثابتين على الالتزام بالشريعة السمحاء والنهج المهدوي رغم التشكيكات العقائدية الناتجة عن عدم ظهوره المشهود.

واستناداً الى هذه العلة نفهم أن الغيبة عامل إعداد لأنصار المهدي ﻋﺠﻞ الله تعالى فرجه الشريف من خلال ترسيخ هذا الإيمان بالغيب الذي يتضمن التحرر من أسر الماديات والذي يؤهلهم لنصرة المهدي في إنجاز مهمته الإصلاحية الكبرى.

٥. اتضاح عجز المدارس الاخرى

إنّ إثبات عجز المدارس الأخرى عن تحقيق السعادة والكمال المنشود للمجتمع البشري، فيه تأهيل واضح للمجتمع البشري عموماً للتفاعل الإيجابي مع المهمة الإصلاحية الكبرى للإمام المهدي ﻋﺠﻞ الله تعالى فرجه الشريف ، فهو يزيل العقبات الصادّة عن هذا التفاعل المطلوب لتحقق الأهداف الإلهية خاصة فيما يرتبط بالانخداع بشعارات المدارس الأخرى المادية أو ذات الأصول السماوية والمنحرفة عنها بمرور الزمن.

٦. حفظ روح الرفض للظلم

إنّ الامام المهدي ﻋﺠﻞ الله تعالى فرجه الشريف هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فيزيل حكام الجور وحاكمية الفساد بالسيف بعد إتمام الحجة كاملة على المنحرفين خلال الغيبة الكبرى وما قبلها كما أشرنا الى ذلك في النقطة السابقة. فظهوره عليه السلام مقترن بالتحرك الجهادي الحاسم، فلا هدنة مع المنحرفين، ومن هنا يلزم توفر هذه الصفة في أتباعه أيضاً، ولعل هذا هو المقصود من تعبير الأحاديث الشريفة «لئلا يكون في عنقه بيعة لطاغية».

وواضح أن هذا الدور الحاسم يجعل تكالب الظالمين عليه أشد إذا كان وجوده ظاهراً قبل تحركه الإصلاحي الشامل وقبل توفر الظروف المناسبة لتحركه والعدد اللازم من الأنصار، فهو في هذه الحالة إما أن يهادن الظلمة ويجمّد أي

نشاط له ولو كان غير حاسم كما كان حال آبائه ﷺ ، وفي ذلك أخطار كثيرة مثل إضعاف روح الرفض للظلم لدى المؤمنين وهم يرون أن إمامهم المكلف بإزالة الظلم بصورة كاملة صامت تجاهه، فضلاً عن أن هذا الموقف السلبي لن يوقف كيد الظالمين ومساعيهم المستمرة لقتله تخلصاً من هاجس دوره المرتقب، وإما أن يتحرك لإنجاز مهمته قبل توفر العوامل اللازمة لنجاحها وهذا الأمر يعني مقتله قبل أن يحقق شيئاً من مهمته الكبرى.

لذا فلابد من تجنب الظهور قبل اكتمال الأوضاع اللازمة لتحركه الإصلاحي الأكبر والاستتار في اسلوب الغيبة بما يمكنه من الاستمرار في نشاطه على صعيد توفير العوامل اللازمة لنجاح مهمته الكبرى عند الظهور.

٧. صلاح أمره وأمر المؤمنين به

إن في الغيبة صلاح أمره ﷺ وأمر المؤمنين به، وهذه علة مجملة تحدد أحد أوجه الحكمة الإلهية في الأمر بالغيبة بأن في ذلك صلاح أمر الإمامة، ولعله بمعنى أن الغيبة هي أفضل اسلوب ممكن لقيام المهدي ﷻ بمهام الإمامة في ظل الأوضاع المضادة لأهداف الثورة المهدوية كما تقدم في الفقرة السادسة، وبأن فيها صلاح شيعته والمؤمنين به، ولعله بمعنى فتح آفاق التكامل والتمحيص في صفوفهم وأجيالهم المتلاحقة كما تقدم في الفقرة الرابعة حتى يُعد الجيل القادر ـ كماً وكيفاً ـ على الاستجابة لمقتضيات الثورة المهدوية الكبرى، أو أن يكون المقصود صلاحهم في حفظ وجودهم من الإبادة قبل تحقق المهمة الإصلاحية المطلوبة أو عجزهم عن نصرة الإمام بالصورة المطلوبة عند قيامه ـ دونما غيبة ـ كما جرى في

موقف المسلمين من ثورة الإمام الحسين عليه السلام وقبله من خلافة أخيه الإمام الحسن وأبيه أمير المؤمنين عليهما السلام .

٨. عدم توفّر العدد المطلوب من الأنصار

والعامل الأخير هو عدم توفر العدد اللازم كماً والمناسب كيفاً من الأنصار له عليه السلام في مهمته الإصلاحية الكبرى التي تحتاج الى عدد كاف من الأنصار وعلى مستويات عالية من الإخلاص للشريعة المحمدية وأهدافها والعلم بها وبمكائد أعدائها بحيث يمتلكون التجربة الجهادية اللازمة لخوض حركة الصراع الحاسمة مع الكفر والشرك والفسق والنفاق. وهذه العلة مكملة للعلة المذكورة في الفقرة الرابعة «١».

«١» أعلام الهداية.

الأحاديث الدالة على غيبته عليه السلام

سجلت المصادر الإسلامية الكثير من الأحاديث الشريفة المروية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وائمة أهل البيت عليهم السلام التي أخبرت عن حتمية وقوع غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف فمنها:

١. ما رواه الحافظ صدر الدين ابراهيم بن محمد الحمويني الشافعي «٦٤٤ ـ ٧٢٢ هـ» في كتابه فرائد السمطين، وغيره بأسانيدهم عن ابن عباس أن يهودياً اسمه نعثل ويكنى أبا عمارة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسأله عن أشياء ترتبط بالتوحيد والنبوة والإمامة فأجابه عليها فأسلم الرجل وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وانك رسول الله، وأشهد أنهم الأوصياء بعدك، ولقد وجدت هذا في الكتب المتقدمة، وفيها عهد الينا موسى عليه السلام : اذا كان آخر الزمان يخرج نبي يقال له «أحمد» خاتم الأنبياء لا نبي بعده، يخرج من صلبه ائمة ابرار عدد الأسباط.

فقال صلى الله عليه وآله «يا أبا عمارة اتعرف الأسباط»؟ قال: نعم يا رسول الله انهم كانوا اثني عشر.

قال: «فإن فيهم لاوي بن ارحيا». قال: أعرفه يا رسول الله، وهو الذي غاب عن بني اسرائيل سنين ثم عاد فأظهر شريعته بعد دراستها وقاتل مع فريطيا الملك حتى قتله.

وقال عليه السلام: «كائن في أُمتي ما كان من بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، وان الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى، ويأتي على أُمتي زمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه، فحينئذ يأذن الله له بالخروج فيظهر الإسلام ويجدد الدين». ثم قال عليه السلام: طوبى لمن أحبهم وطوبى لمن تمسك بهم، والويل لمبغضهم» «١».

٢. وروي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَن أنكر القائم من ولدي في غيبته مات ميتة جاهلية» «٢».

٣. وقال صلى الله عليه وآله: «والذي بعثني بالحق بشيراً ليغيبن القائم من ولدي بعهد معهود إليه مني حتى يقول الناس ما لله في آل محمد من حاجة، ويشك آخرون في ولادته، فمن أدرك زمانه فليتمسك بدينه ولا يجعل للشيطان إليه سبيلاً بشكه فيزيله عن ملتي ويخرجه من ديني...» «٣».

«١» كمال الدين: ٤١٣، كفاية الأثر: ٦٦، والأحاديث النبوية بهذا المعنى كثيرة راجعها في معجم أحاديث الإمام المهدي عليه السلام القسم الخاص بأحاديث النبي صلى الله عليه وآله: ١/ ٢٥٦ ـ ٢٦٧.

«٢» كمال الدين: ٥١، إثبات الهداة: ٣/ ٤٥٩.

«٣» كفاية الأثر: ١٠.

٤. وقال صلى الله عليه وآله : «... وجعل من صلب الحسين أئمة ليوصون بأمري ويحفظون وصيتي، التاسع منهم قائم أهل بيتي ومهدي أُمتي، أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله، ليظهر بعد غيبة طويلة وحيرة مضلّة، فيُعلن أمر الله ويظهر دين الحق...» «١».

٥. وقال صلى الله عليه وآله : «لا بد للغلام من غيبة» فقيل له: ولِمَ يا رسول الله ؟ قال: يخاف القتل» «٢».

٦. وقال صلى الله عليه وآله : «المهدي من ولدي تكون له غيبة وحيرة تضل فيها الأُمم، يأتي بذخيرة الأنبياء عليهم السلام فيملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً» «٣».

٧. وعن الإمام علي عليه السلام قال ضمن حديث: «... ولكني فكرتُ في مولود يكون من ظهري الحادي عشر من ولدي هو المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً تكون له غيبة وحيرة يضل فيها أقوام ويهتدي فيها آخرون...» «٤».

«١» علل الشرائع: ١/ ٢٤٣ وعنه في بحار الأنوار: ٥٢/ ٩٠.

«٢» فرائد السمطين: ٢/ ٣٣٥، وينابيع المودة للحافظ سليمان الحنفي: ٤٨٨.

«٣» الكافي للكليني: ١/ ٢٧٣.

«٤» ينابيع المودة للحافظ الحنفي: ٤٢٧.

٨. وقال عليه السلام «وإن للغائب منا غيبتين إحداهما أطول من الأخرى فلا يثبت على إمامته إلا مَن قوي يقينه وصحت معرفته» «١».

٩. وروي في ذلك ايضاً عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام ، وروي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: «لصاحب هذا الأمر» يعني المهدي «غيبتان إحداهما تطول حتى يقول بعضهم مات، وبعضهم: ذهب، ولا يطلع على موضعه أحد من ولي ولا غيره إلا المولى الذي يلي أمره» «٢».

١٠. وعن الإمام السجاد عليه السلام قال: «في القائم سنة من نوح وهو طول العمر» «٣»، وقال عليه السلام : «إن للقائم منا غيبتين احداهما أطول من الأخرى» «٤».

١١. وعن الإمام الباقر عليه السلام : «لقائم آل محمد غيبتان إحداهما أطول من الأُخرى» «٥».

١٢. وعن الإمام الصادق عليه السلام : «إن بلغكم عن صاحبكم غيبة فلا تنكروها» «٦»، «إن للقائم منّا غيبة يطول أمدها... لأن الله عز وجل أبى

«١» الاشاعة في اشراط الساعة: ١٣.

«٢» كمال الدين: ٣٢١.

«٣» كمال الدين: ٣٢٣.

«٤» غيبة النعماني: ١٧٢.

«٥» غيبة الشيخ الطوسي: ١٠٢.

«٦» كمال الدين: ٤٨٠.

إلا أن يجري فيه سنن الأنبياء عليهم السلام وأنه لابد يا سدير من استيفاء مدد غيباتهم» «١».

١٣. وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «أنا القائم بالحق ولكنّ القائم الذي يطهر الأرض من أعداء الله ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً هو الخامس من ولدي له غيبة يطول أمدها...» «٢».

١٤. وعن الإمام الرضا عليه السلام قال ضمن حديث عن القائم:... ذاك الرابع من ولدي يغيّبه الله في ستره ما شاء ثم يظهره فيملأ «به» الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً «٣».

١٥. وعن الإمام الجواد عليه السلام قال ضمن حديث:... ما منّا إلاّ قائم بأمر الله وهاد الى دين الله ولكن القائم الذي يطهر الله عز وجل به الأرض من أهل الكفر والجحود ويملأها عدلاً وقسطاً هو الذي يخفى على الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه....«٤».

١٦. وعن الإمام الهادي عليه السلام قال:... إنكم لا ترون شخصه....«٥»

«١» كفاية الأثر: ٢٦٥.

«٢» كمال الدين: ٣٧٦ وعنه في إعلام الورى: ٢/ ٢٤١ وكشف الغمة: ٣/ ٣١٤.

«٣» كفاية الأثر: ٢٧٧، بحار الأنوار: ٥٢/ ٢٨٣، احتجاج الطبرسي: ٢/ ٤٤٩.

«٤» الكافي: ١/ ٢٦٨.

«٥» كمال الدين: ٣٨٠.

وقال: إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقعوا الفرج «١».

١٧. وعن الإمام العسكري عليه السلام قال: والله إن صاحب هذا الأمر يحضر الموسم كل سنة فيرى الناس فيعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه...«٢» وقال: إبني محمد هو الإمام والحجة بعدي، مَن مات ولم يعرفه مات ميتة جاهلية، أما إنه له غيبة يُحار فيها الجاهلون...«٣» وقال:... إبني هذا، إنه سمي رسول الله صلى الله عليه وآله وكنيه، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً... مثله في هذه الأُمّة مثل الخضر ومثل ذي القرنين، والله ليغيبن غيبة....«٤».

والأحاديث الشريفة بهذه المعاني كثيرة جداً متواترة من طرق أهل البيت عليهم السلام ونقلها العديد من حفاظ أهل السنة من مختلف مذاهبهم كما رأينا، والكثير منها مروي بأسانيد صحيحة، وهي من أوضح الأدلة على صحة غيبة الإمام المهدي وكونها بأمر الله عز وجل ، حيث ثبت صدورها بل وتدوينها قبل وقوع الغيبة بزمن طويل، فجاءت الغيبة مصدقة لها مثبتة لصحة مضامينها وصدورها من ينابيع

«١» كمال الدين: ٤٤٠.

«٢» كفاية الأثر: ٢٩٢ وعن كمال الدين في اعلام الورى: ٢ / ٢٥٣، وسائل الشيعة: ١٦/ ٢٤٦ ب٣٣ ح٢٣.

«٣» كمال الدين: ٣٨٤، الخرائج للقطب الراوندي: ٣/ ١١٧٤، وعن كمال الدين في إعلام الورى: ٢/ ٢٤٩.

«٤» كمال الدين: ١٩ من مقدمة المؤلف.

الوحي من علام الغيوب تبارك وتعالى حتى لو كانت مرسلة أو كان ثمة نقاش في بعض أسانيدها.

قال الشيخ الصدوق قدس سره : إن الأئمة عليهم السلام قد أخبروا بغيبته ووصفوا كونها لشيعتهم فيما نُقل عنهم واستُحفظ في الصحف ودوّنَ في الكتب المؤلفة من قبل أن تقع الغيبة بمائتي سنة أو أقل أو أكثر، وليس أحد من أتباع الأئمة عليهم السلام إلا وقد ذكر ذلك في كثير من كتبه ورواياته ودوّنه في مصنفاته وهي الكتب التي تعرف بالأصول مدونة مستحفظة عند شيعة آل محمد من قبل الغيبة بما ذكرناه من السنين...فلا يخلو حال هؤلاء الاتباع المؤلفين للكتب أن يكونوا قد علموا بما وقع الآن من الغيبة فألفوا ذلك في كتبهم ودونوه في مصنفاتهم من قبل كونها، وهذا محال عند أهل اللب والتحصيل، أو أن يكونوا أسسوا في كتبهم الكذب فاتفق لهم الأمر كما ذكروا وتحقق كما وضعوا من كذبهم على بعد ديارهم واختلاف آرائهم وتباين أقطارهم ومحالهم وهذا أيضاً محال كسبيل الوجه الأول، فلم يبق في ذلك إلا أنهم حفظوا عن أئمتهم المستحفظين للوصية عن رسول الله صلى الله عليه وآله من ذكر الغيبة وصفة كونها في مقام بعد مقام الى آخر المقامات ما دونوه في كتبهم وألفوه في أصولهم. وبذلك وشبهه فلج الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً«١».

«١» عدة رسائل للشيخ المفيد: ٣٦٢، الفصل الخامس من الفصول العشرة في الغيبة.

ومما يزيد هذا الدليل الوجداني وضوحاً أن هذه الأحاديث الشريفة أخبرت عن تفصيلات دقيقة في شكل هذه الغيبة وهوية الإمام الغائب وانه الثاني عشر من الأئمة والتاسع من ذرية الحسين عليهم السلام وغير ذلك من التفصيلات التي لم تنطبق تأريخيّاً إلا على غيبة الإمام المهدي عليه السلام وهذا من الدلائل الاعجازية الواضحة على صحة إمامته وغيبته عجل الله تعالى فرجه الشريف.

ويقول الشيخ المفيد أيضاً: فقد كانت الأخبار عمن تقدم من أئمة آل محمد عليهم السلام متناصرة بأنه لابد للقائم المنتظر من غيبتين إحداهما أطول من الأخرى يعرف خبرَه الخاصُ في القصرى ولا يعرف العام له مستقراً في الطولي إلاّ مَن تولى خدمته من ثُقاة أوليائه... والأخبار بذلك موجودة في مصنفات الشيعة الإمامية قبل مولد أبي محمد» الإمام العسكري «وأبيه وجده عليهم السلام ، وظهر حقها عند مضي الوكلاء والسفراء الذين سميناهم رحمهم الله وبان صدق رواتها بالغيبة الطولي وكان ذلك من الآيات الباهرات في صحة ما ذهبت إليه الإمامية ودانت به في معناه....

وهذا الاستدلال يصدق في إثبات صحة كلا الغيبتين الصغرى والكبرى لأن الأحاديث الشريفة تحدثت عنهما وعن تفصيلاتهما «١».

«١» أعلام الهداية.

المهدي الموعود عليه السلام وغيبته في القرآن

نعرض هنا مجموعةً من الآيات الكريمة التي تدل بصورة مباشرة على حتمية أن يكون في كل زمان إمام حق يهدي الناس الى الله ويشهد على أعمالهم ليكون حجة الله عزّ وجلّ على أهل زمانه في الدنيا والآخرة، والتي تحدد له صفات لا تنطبق ـ في عصرنا الحاضر ـ على غير الإمام المهدي الذي تقول مدرسة أهل البيت عليهم السلام بوجوده وغيبته. فتكون هذه الآيات دالة على صحة عقيدة الامامية في المهدي المنتظر، وهي في الواقع من الآيات المثبتة لاستحالة خلو الأرض من الإمام الحق في أي زمان، ودلالتها على المقصود واضحة لا تحتاج الى المزيد من التوضيح «١».

«١» إلاّ أن الخلافات السياسية التي شهدها التأريخ الإسلامي وانعكاساتها في تشكيل الآراء العقائدية أدّت الى التغطية على تلك الدلالات الواضحة وصرفها الى تأويلات بعيدة عن ظواهرها البيّنات.

١ . عدم خلو الزمان من الإمام

قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَـٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَـٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٧١-٧٢] .

وهذا نصٌّ صريح على أن لكل أهل زمان «كل أُناس» إمام يُدعون به يوم القيامة. ويكون الاحتجاج به عليهم أو ليكون شاهداً عليهم يوم الحساب وهذا أيضاً يتضمن معنى الاحتجاج عليهم. فَمن هو «الإمام» المقصود في الآية الكريمة الأُولى؟

للإجابة يلزم الرجوع الى المصطلح القرآني نفسه لمعرفة المعاني المرادة منه والاهتداء به لمعرفة المنسجم مع منطوق النص القرآني المتقدم.

لقد أُطلق لفظ «الإمام» في القرآن الكريم على مَن يُقتدى به من الأفراد، وهو على نوعين لا ثالث لهما في الاستخدام القرآني وهما: الإمام المنصوب من قبل الله تبارك وتعالى لهداية الخلق إليه بأمره ﷻ ، كما في قوله ﷻ : ﴿ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣] ،وقوله: ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ ﴾ [البقرة: ١٢٤] ، وقوله: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [القصص: ٥] ، وقوله:﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٤]. فيُلاحظ في جميع هذه الموارد أنها تنسب جعل الإمامة الى الله سبحانه مباشرة.

أما النوع الثاني فهو مَن يُقتدى به للضلال كما في قوله تعالى: ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ ﴾ [التوبة: ١٢]، وقوله: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ٤١ ﴾ [القصص: ٤١].

هذا في الأفراد أما في غير الأفراد فقد اُستخدم في معنيين وبصورة المفرد فقط، في حين ورد بالمعاني السابقة بصيغة المفرد وصيغة الجمع، والمعنى الأول هو التوراة كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةًۚ ﴾ [هود: ١٧]، وربما يُستفاد من هذا الاستخدام صدق وصف «الإمام» على الكتب السماوية الأُخرى أو الرئيسة منها على الأقل. أما المعنى الثاني فهو اللوح المحفوظ كما في قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢ ﴾ [يس: ١٢].

الإمام المقصود في الآية

فمَن هو «الإمام» المقصود في الآية والذي لا يخلو زمان من مصداق له ويُدعى به أهل عصره يوم القيامة؟ هل هو شخصٌ معيّنٌ؟ أم هو أحد الكتب السماوية في كل عصر؟ أم هو اللوح المحفوظ؟

لا يمكن أن يكون المراد هنا الكتب السماوية ولا اللوح المحفوظ لأنّ الآية عامة وصريحة بأن مدلولها ـ وهو عدم خلو أي زمان، وأيّ قوم من إمام ـ يشمل الأولين والآخرين، في حين أن من الثابت قرآنياً وتاريخياً أن أول الكتب السماوية التشريعية هو كتاب نوح عليه السلام، فالقول بأن المراد بالإمام في الآية أحدها في كل عصر يعني إخراج الأزمنة التي سبقت نوحاً عليه السلام من حكم الآية وهذا خلاف صريح منطوقها بشمولية دلالتها لكل عصر كما يدلّ عليه قوله تعالى «كل اُناس».

كما لا يمكن تفسير الإمام في الآية باللوح المحفوظ لأنه واحدٌ لا يختص بأهل زمان معين دون غيرهم في حين أن الآية الكريمة تصرّح بأن لكل اُناس إماماً.

إذن لا يبقى إلاّ القولان الأولان، فالمتعين أن يكون المراد من الإمام في الآية من يأتمّ به أهل كل زمان في سبيلي الحق أو الباطل. أو أن يكون المراد فيها إمام الحق خاصة وهو الذي يجتبيه الله سبحانه في كل زمان لهداية الناس بأمره تبارك وتعالى ويكون حجة الله عزّ وجلّ عليْهم يدعوهم به يوم القيامة للاحتجاج به عليهم سواءٌ كان نبيّاً كإبراهيم الخليل ومحمد عليهما السلام أو غير نبي كأوصياء الأنبياء عليهم السلام.

ويكون المراد بالدعوة في الآية هو الإحضار، أي إن كل اُناس ـ في كل عصر ـ محضرون بإمام عصرهم، ثم يُؤتى مَن اقتدى بإمام الحق كتابه بيمينه ويظهر عمى مَن عمي عن معرفة الإمام الحق في عصره وأعرض عن إتباعه. وهذا ما يعطيه التدبر في الآيتين الكريمتين مورد البحث كما يقول العلامة الطباطبائي في تفسيرهم «١» وقد عرض في بحثه لجميع أقوال المفسّرين في تفسير معنى الإمام هنا وبيّن عدم انسجامها مع الاستخدام القرآني وظاهر الآيتين، وهي أقوال واضحة البطلان، ولعل أهمها القول بأنّ المراد من الإمام: النبي العام لكل أمة، كأن يُدعى بأمة إبراهيم أو أمة موسى أو أمة عيسى أو أمة محمد صلى الله عليه وآله، وهذا القول أيضاً غير منسجم مع ظاهر الآيتين أيضاً لأنه يُخرج من حكمها العام الأمم التي

«١» تفسير الميزان: ١٣/ ١٦٥ ـ ١٦٩، وما أوردناه مستفادٌ من بحثه التفسيري لهما.

لم يكن فيها نبي، وهذا خلاف ظاهرهما، كما أنه مدحوض بالآيات الأُخرى التي سنتناولها لاحقاً، إن شاء الله تعالى.

الامام المنقذ من الضلالة

وعليه يكون محصّل الآيتين الكريمتين هو الدلالة على حتمية وجود إمام حق يُهتدى به في كل عصر، يكون حجة الله عز وجل على أهل زمانه في الدنيا والآخرة، فتكون معرفته وأتباعه في الدنيا وسيلة النجاة يوم الحشر، فيما يكون العمى عن معرفته واتباعه في الدنيا سبباً للعمى والضلال الأشد في الآخرة يوم يُدعى كل أُناس بإمام زمانهم الحق، ويُقال للضالين عنه: هذا إمامكم الذي كان بين أظهركم فلماذا عميتم عنه؟ وبذلك تتم الحجة البالغة عليهم، وتتضح حكمة دعوتهم وإحضارهم به يوم القيامة.

ونصل الآن للسؤال المحوري المرتبط بما دلّت عليه هاتان الآيتان، وهو: ـ مَن هو الإمام الحق الذي يكون حجة الله على خلقه في عصرنا هذا؟ فإنّه لابد للإمام الحقّ من مصداق في كلّ العصور كما نصت عليه الآيتان المتقدمتان.

وللإجابة على هذا السؤال من خلال النصوص القرآنية وحدها ـ باعتبارها حجة على الجميع ـ ينبغي معرفة الصفات التي تحددها الآيات الكريمة للإمام الحق، ثم البحث عمن تنطبق عليه في زماننا هذا.

المواصفات القرآنية لإمام الهدى

والمستفاد من تفسير الآيتين المتقدمتين أن الإمام المقصود يجب أن تتوفر فيه الصفات التي تؤهله للاحتجاج به على قومه يوم القيامة مثل القدرة على الهداية

والأهلية لأن يكون اتّباعه موصلاً للهدى وتكون طاعته معبّرةً عن طاعة الله تبارك وتعالى، وأن يكون قادراً على معرفة حقائق أعمال الناس وليس ظواهرها، أي أن يكون هادياً لقومه وشهيداً على أعمالهم، الأمر الذي يستلزم أن يكون قادراً على تلقي الهداية الإلهية وحفظها ونقلها للناس، كما يجب أن يكون أهلاً لأن يتفضل عليه الله عزّ وجلّ بعلم الكتاب والأسباب التي تؤهله لمعرفة حقائق أعمال الناس للشهادة بشأنها والاحتجاج به عليهم يوم القيامة. وسيأتي المزيد من التوضيح لذلك في الفقرتين اللاحقتين.

كما ينبغي أن يكون متحلياً بأعلى درجات العدالة والتُّقى لكي لا يخلّ بأمانة نقل الهداية الإلهية الى قومه، وكذلك لكي لا يحيف في شهادته عليهم يوم القيامة. أي أن يتحلى بدرجة عالية من العصمة، وهذا ما صرّح به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤]. فالإمامة «عهد» من الله تبارك وتعالى لا ينال من تلبس بظلم مطلقاً، ومعلومٌ أن ارتكاب المعاصي مصداق من مصاديق الظلم لذا فالمؤهل للإمامة يجب أن يكون معصوماً.

وحيث إن الله تبارك وتعالى قد أقرَّ طلب خليله إبراهيم النبي عليه السلام في جعل الإمامة في ذريته ولم يقيّدها إلاّ بأنها لا تنال غير المعصومين، نفهم أن الذرية

الابراهيمية لا تخلو من متأهل للإمامة الى يوم القيامة، وهذا ما يؤكده قوله ﷻ :

﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٨] «١»

ولما كانت الإمامة عهداً إلهياً، كان الإمام مختاراً لها من الله ﷻ ـ وهو الأعلم حيث يجعل رسالته ـ وهذا ما تؤكده الآيات الكريمة فقد نسبت جعل الإمام الى الله مباشرة ولم تنسبه لغيره كما هو واضحٌ في الآيتين المتقدمتين من سورتي الزخرف والبقرة وغيرهما. ويتحقق هذا الاختيار الإلهي لشخص معيّن للإمامة من خلال النص الصادر من ينابيع الوحي ـ القرآن والسنة ـ أو مَن ثبتت إمامته وعصمته، أو ظهور المعجزات الخارقة للعادة على يديه حيث تثبت صحة ادعائه الإمامة.

إذن فإمام زماننا الذي دلّت آيتا سورة الاسراء على حتمية وجوده يجب أن يكون هادياً لقومه وشهيداً على أعمالهم ليصح الإحتجاج به يوم القيامة، وأن يكون معصوماً أو على الأقل متحليّاً بدرجة عالية من العدالة تؤهله للقيام بمهمته في الهداية والشهادة، ومن الذرية الابراهيمية التي ثبت بقاء الإمامة فيها، وأن يكون منصوصاً عليه من قبل الرسول الأعظم ﷺ أو مَن ثبتت إمامته، أو أن يكون قد ظهرت على يديه من المعجزات وأثبتت ارتباطه بالسماء وصحة ادعائه الإمامة.

«١» الزخرف «٤٣»: ٢٨، ولاحظ قوله تعالى ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

مصداق الإمام في عصرنا الحاضر

فمن الذي تتوفر فيه هذه الصفات في عصرنا الحاضر؟ من الواضح أنه لا يوجد شخص ظاهر تنطبق عليه هذه الصفات وليس ثمة شخصٌ ظاهرٌ يدعيها أيضاً، فهل يكون عدم وجود شخص ظاهر تتوفر فيه هذه الصفات يعني خلو عصرنا من مثل هذا الإمام؟

الجواب سلبي بالطبع لأنه يناقض صريح دلالة آيتي سورة الاسراء، فلا يبقى أمامنا إلاّ القول بوجوده وغيبته وقيامه بالمقدار اللازم للاحتجاج به على أهل زمانه يوم القيامة والذي هو من مهام الإمام، حتى في غيبته.

وهذا ما تقوله مدرسة أهل البيت عليهم السلام في المهدي المنتظر عليه السلام وتتميز به، وتقيم الأدلة النقلية والعقلية الدالة على توفر جميع الشروط والصفات المتقدمة فيه من العصمة والنص عليه من الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ومَن ثبتت إمامته من آبائه عليهم السلام، كما ثبت صدور المعجزات عنه في غيبته الصغرى بل والكبرى أيضاً وقيامه عملياً بما يتيسّر له من مهام الإمامة في غيبته كي يتحقق الاحتجاج به على أهل زمانه، كما هو مدوّن في الكتب التي صنّفها علماء هذه المدرسة«١»

«١» راجع في هذا الباب مثلاً كتاب منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر لآية الله الشيخ لطف الله الصافي فقد جمع الكثير من النصوص المروية من طرق أهل السنة والشيعة، وراجع أيضاً كتاب إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات للحر العاملي، وفرائد السمطين للحمويني الشافعي، وينابيع المودة للحافظ القندوزي الحنفي وغيرها كثير.

وتكفي هنا الإشارة الى أن بعض هذه الكتب قد دوّنت قبل ولادة الإمام المهدي عليه السلام بفترة طويلة تفوق القرن وفيها أحاديث شريفة تضمّنت النص على إمامته والإخبار عن غيبته وطول هذه الغيبة قبل وقوعها وهذا أوضح شاهد على صحتها كما استدل بذلك العلماء إذ جاءت الغيبة مصدّقة لما أخبرت عنه النصوص المتقدمة عليها وفي ذلك دليل واضح على صـــــدورها من ينابيع الوحي «١»

٢. في كل زمان إمام شهيد على أُمته

قال تعـالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١].

وقال: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [النحل: ٨٤].

وقال: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ ﴾ [النحل: ٨٩].

«١» راجع هذا الاستدلال في مقدمة كتاب كمال الدين للشيخ الصدوق: ١٢، والفصل الخامس من الفصول العشرة في الغيبة للشيخ المفيد، وكذلك الرسالة الخامسة من رسائل الغيبة. وكتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ١٠١ وما بعدها، وإعلام الورى للشيخ الطبرسي: ٢/ ٢٥٧ وما بعدها وكشف المحجة للسيد ابن طاووس: ١٠٤، وغيرها.

وقال: ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [القصص: ٧٥].

إن هذه الآيات الكريمة تتحدث عن الاحتجاج الإلهي على البشر يوم القيامة، وهو الاحتجاج نفسه الذي لاحظناه في آيتي سورة الإسراء المتقدمتين، وهي تدعم وتؤكد دلالتهما على حتمية وجود إمام حق في كل عصر يحتج به الله جلّ وعلا على أهل كل عصر «كل أمة، كل أُناس» فيما يرتبط بالهداية والضلال وانطباق أعمالهم على الدين الإلهي القيم.

واضحٌ أن مقتضى كونه حجة لله على خلقه أن يكون عالماً بالشريعة الإلهية من جهة لكي يكون قادراً على هداية الخلق إليها وأن يكون بين أظهرهم للقيام بذلك، هذا أولاً، وثانياً أن يكون محيطاً بأعمال قومه لكي يكون شهيداً عليهم، أي يستطيع الشهادة يوم القيامة بشأن مواقفهم تجاه الدين القيم.

وواضح أن الشهادة المذكورة في هذه الآيات مطلقة، «وظاهر الجميع على إطلاقها هو الشهادة على أعمال الأمم وعلى تبليغ الرسل أيضاً» «١» وقد صرّح الزمخشري في الكشاف بذلك وقال: «لأن أنبياء الأمم شهداء يشهدون بما كانوا عليه» «٢»، وأن الشهيد: «يشهد لهم وعليهم بالإيمان والتصديق والكفر

«١» تفسير الميزان: ١/ ٣٢.

«٢» تفسير الكشاف: ٣/ ٤٢٩.

والتكذيب» «١». والشهيد يجب أن يكون حياً معاصراً لهم غير متوفى كما يشير لذلك قوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [المائدة: ١١٧].

يُستفاد من هذه الآية أن إعلان نتاج الشهادة يكون في يوم القيامة لكن الإحاطة بموضوعها أي أعمال القوم يكون في الدنيا وخلال معاصرة الشهيد لأُمته لقوله تعالى: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ [المائدة: ١١٧]، لذلك يجب أن يكون الشهيد الذي يحتج به الله يوم القيامة معاصراً لمن يشهد عليهم، لذلك لا يمكن حصر الشهداء على الأمم بالأنبياء عليهم السلام كما فعل الزمخشري في تفسيره بل يجب القول بأن في كل عصر شهيدٌ على أعمال معاصريه، كما صرّح بذلك الفخر الرازي في تفسيره «٢» حيث قال: «أما قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ﴾ [القصص: ٧٥]، فالمراد ميّزنا واحداً ليشهد عليهم، ثم قال بعضهم هم الأنبياء يشهدون بأنهم بلّغوا القوم الدلائل وبلّغوا في إيضاحها كل غاية ليُعلم أن التقصير منهم أي من الناس فيكون ذلك زائداً في غمهم.

وقال آخرون: بل هم الشهداء الذين يشهدون على الناس في كل زمان، ويدخل في جملتهم الأنبياء، وهذا أقرب لأنه تعالى عمَّ كل أُمة وكل جماعة بأن ينزع منهم

«١» المصدر: ٢/ ٦٢٦.

«٢» تفسير الكشاف: ٣/ ٤٢٩.

الشهيد فيدخل فيه الأحوال التي لم يُوجد فيها النبي وهي أزمنة الفترات والأزمنة التي حصلت بعد محمد ﷺ فعلموا حينئذ أن الحـــق لله ولرسوله...» «١»

إذن فلابد من وجود شهيد على الأمة في هذا العصر كما هو الحال في كل عصر، يؤيد ذلك استخدام آيتي سورة النساء والحج لاسم الإشارة «هؤلاء» في الحديث عن شهادة الرسول الأكرم محمد ﷺ : ﴿ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١] إشارة الى معاصريه فيما يكون شهداء آخرون على الأجيال اللاحقة «٢». فمَن هو الشهيد علينا في هذا العصر؟! نعود الى الآيات الكريمة لمتابعة ما تحدده من الصفات الهادية الى معرفته والإجابة على هذا التساؤل.

صفات الشهيد الإمام

إن الآية «٨٩» من سورة النحل تصرّح بأنه من البشر أنفسهم ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل: ٨٩] وهو المستفاد من الآيات الأُخرى فهي تستخدم «من» التبعيضية في قوله تعالى: «من كل أُمّة».

فالشهيد هو كالأنبياء بشرٌ، لا هو من الملائكة ولا من الجن ولا من الكتب السماوية ولا اللوح المحفوظ، وفي هذا تأييد لما تقدم في الحديث عن آيتي سورة الإسراء أن المقصود فيهما من الإمام شخص لا كتاب سماوي، إذ أن الآيتين

«١» التفسير الكبير: ٢٥/ ١٢ ـ ١٣. راجع في ذلك مجمع البيان: في ذيل الآية.

«٢» المصدر: ٢٥/ ١٢ ـ ١٣، وتفسير الكشاف: ٢/ ٦٢٨.

تتحدثان عن الاحتجاج الإلهي به على اُمّته وهذا هو دور الشهيد في هذه الآيات أيضاً، فالمقصود واحد في كلتا الحالتين، فالإمام هو أيضاً منهم.

والآيات الكريمة تستخدم صيغة المفرد في وصفه، أي إنّ الشهيد على قومه واحد في زمانه الذي يعاصره حياً، وهذا ينسجم مع استخدام آية سورة الإسراء المتقدمة لصيغة المفرد في ذكر الإمام «كل اُناس بامامهم». الأمر الذي ينفي التفسير القائل بأن الأُمة الاسلامية جمعاء أو جماعة المؤمنين الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر هي الشهيدة على أعمال قومها أو الأقوام الأُخرى المعاصرة لها، والأمر نفسه يصدق على نفي القول بأن مصداق هذه الآيات هم «الأبدال» الذين لا يخلو منهم زمان كما ورد في الروايات المروية من طريق الفريقين. بل شهيد الأعمال في زمانه واحدٌ لا أكثر.

وحيث إن دوره هو الشهادة على أعمال اُمته بالكفر والتكذيب أو الإيمان والتصديق كما تقدم القول عن الزمخشري وهذه حالات قلبية وحيث إن: «من الواضح أن هذه الحواس العادية فينا والقوى المتعلّقة بها منا لا تتحمّل إلاّ صور الأفعال والأعمال فقط، وذلك التحمل أيضاً إنما يكون في شيء يكون موجوداً حاضراً عند الحس لا معدوماً ولا غائباً عنه، وأما حقائق الأعمال والمعاني النفسانية من الكفر والإيمان والفوز والخسران، وبالجملة كل خفي عن الحس، ومستبطن عند الإنسان ـ وهي التي تكسب القلوب وعليه يدور حساب رب العالمين يوم تبلى السرائر كما قال تعالى: ﴿ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢٥] ، فهي مما ليس في وسع الإنسان إحصاؤها والإحاطة بها وتشخيصها من

الحاضرين فضلاً عن الغائـــــبين إلاّ رجل يتولى الله أمره ويكشف ذلك له بيده» «١».

لذلك يجب أن تكون للشهيد على أُمته إحاطة علمية ربانية بحقائق أعمالهم لأن قيمة الأعمال في الميزان الإلهي هي لحقائقها الباطنية ودوافعها ونواياها كما هو واضح، لذلك لا يمكن أن يكون هذا الشهيد على أُمته شخصاً عادياً بل من الذين يحظون بنعمة التسديد الإلهي المباشر ومن الذين ارتضاهم الله سبحانه فأطلعهم على غيبه إذ من مصاديق غيبه معرفة بواطن أعمال الناس.

ومن المعلوم أن هذه الكرامة ليست تنالها جميع الأمة، إذ ليست» هي «إلاّ كرامة خاصة للأولياء الطاهرين منهم، وأما مَن دونهم من المتوسطين في السعادة والعدول من أهل الإيمان فليس لهم ذلك... إن أقل ما يتصف به الشهداء ـ وهم شهداء الأعمال ـ أنهم تحت ولاية الله ونعـــمته وأصحاب الصراط المستقيم» «٢».

الشهيد عنده «علم الكتاب»

وواضح أن هذا الإطلاع على بواطن الناس غير ممكن بالأسباب الطبيعية المتعارفة بل يحتاج الى نمط خاص من العلم يتفضل به الله تبارك وتعالى بحكمته على مَن يشاء من عباده ـ وهو ﷻ الأعلم حيث يجعل رسالته فيتمكن به العبد

«١» تفسير الميزان: ١/ ٣٢١.

«٢» إشارة الى قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

من تجاوز ما تعارف عليه الناس من الأسباب الطبيعية والقيام بما يمكن القيام به بواسطة هذه الأسباب فتكون له مرتبة من الولاية التكوينية وتجاوز الأسباب الطبيعية بإذن الله، وهذا النمط الخاص من العلم هو ما سُمّي في القرآن الكريم بـ «علم الكتاب».

كما نلاحظ ذلك في قصة إتيان آصف بن برخيا بعرش بلقيس من اليمن الى فلسطين في طرفة عين، فقد علل القرآن قدرته على القيام بهذا العمل في زمن قصير للغاية بحيث لا يتصوّر تحققّه على وفق الأسباب الطبيعية، بما كان لديه من علم الكتاب. لاحظ قوله عزّ وجلّ: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى ﴾ [النمل: ٤٠] «١». وكان آصف بن برخيا وصيّاً لسليمان النبي عليه السلام أراد أن يعرّف الناس بأنه الحجة من بعده بإبراز علمه المأخوذ من الكتاب وكان عنده مقدار معيّن من علم الكتاب وليس كلّه كما هو واضح من استخدام «من» التبعيضية في الآية المتقدمة.

ومنه يتضح أن الذي لديه علم الكتاب كلّه تكون له مرتبة أعلى من هذه الولاية التكوينية والتصرف في الأسباب والقدرة على الإحاطة ببواطن أعمال الناس وتقديم الشهادة الكاملة بأحقية الرسالة الإلهية.

وعليه فالشهيد على قومه ينبغي أن يكون لديه علم من الكتاب ـ كلاً أو بعضاً ـ أو يمكن القول كحدٍّ أدنى بأن الذي عنده هذا النمط الخاص من العلم قادرٌ على

«١» قصص الأنبياء للسيد الجزائري، ٤٢٨ ، نقلاً عن تفسير العياشي.

ذلك. يقول: عزّ من قائل في آخر سورة الرعد: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًاۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الرعد: ٤٣] «١».

وقد ثبت من طرق أهل السنة ـ كما نقل ذلك الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل «٢» ـ ومن عدة طرق، وكذلك ثبت من طرق مذهب أهل البيت عليهم السلام : أن الآية الكريمة نزلت في الإمام علي عليه السلام ، وإن علم الكتاب عنده وعند الأئمة من أولاده عليهم السلام وليس هناك من يدعيه غيرهم وقد صدّقت سيرتهم عليهم السلام ذلك والكثير مما نقله عنهم حفاظ أهل السنة والشيعة يشهد على صدق مدعاهم هذا.

إذن فالمتحصل من الآيات الكريمة المتقدمة:

١. حتمية وجود من يجعله الله تبارك وتعالى شهيداً على أعمال العباد في كل عصر بحيث يحتج به على أهل عصره وأمته يوم القيامة، فهو إمام زمانهم الذي يُدعون به، ويكون من أنفسهم.

٢. وهذا الإمام الشهيد قد يكون نبياً وقد يكون من الأوصياء في الفترات التي ليس فيها نبيّ كما هو حال عصرنا الحاضر والعصور التي تلت عصر خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وآله . إذ الآيات مطلقة تشمل كل الأزمان كما هو ظاهر. فالإمام الشهيد موجود إذن في عصرنا الحاضر.

«١» شواهد التنزيل: ١/ ٤٠٠ وما بعدها.

«٢» تفسير الميزان: ١١/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨.

٣. والإمام الشهيد في عصرنا الحاضر حيٌّ أيضاً كما هو المستفاد مما حكاه القرآن الكريم على لسان عيسى عليه السلام .

٤. ولابدّ أن يكون هذا الإمام الشهيد على أهل زمانه مسدّداً بالعناية الإلهية ممن تفضّل الله عزّ وجلّ عليه بنمط من الولاية التكوينية التي يصل بها الى حقائق أعمال من يشهد لهم أو عليهم يوم القيامة. ومظهر هذا التسديد والفضل الإلهي هو أن يكون لديه علم من الكتاب أو علم الكتاب كلّه.

٥. وحيث إن مثل هذا الشخص غير ظاهر فلابد من القول بغيبته الظاهرية، وقيامه بما يؤهله لأن يحتج الله تبارك وتعالى به يوم القيامة خلال غيبته.

٦. قد ثبت ـ من طرق أهل السنة والشيعة ـ أن لدى الإمام علي والأئمة من أولاده عليهم السلام علم الكتاب حسب ما نص عليه القرآن الكريم بالوصف الذي لا ينطبق على غيره.

وقد أثبت المفسر الكبير العلاّمة محمد حسين الطباطبائي رحمه الله في كتابه القيّم «الميزان في تفسير القرآن»، عدم انسجام الأقوال الأُخرى مع منطوق الآية الأخيرة من سوره الرعد لذلك فإن المواصفات المستفادة من الآيات الكريمة تنطبق عليهم، وحيث لم يدّعِ غيرهم ذلك فانحصر الأمر بهم. وقولهم في الإمام الثاني عشر منهم، وهو محمّد بن الحسن العسكري عليه السلام وقولهم بغيبته وقيامه بمهام الإمامة وما تقتضيه مهمة الشهادة على أهل زمانه يوم القيامة، ينسجم بشكل كامل مع دلالات الآيات الكريمة المتقدّمة التي لا تنطبق على غيره كما هو واضح بالاستقراء لعقائد الفرق الأُخرى.

إن هذه الطائفة من الآيات الكريمة تهدي الى حتمية وجود مهدي آل البيت عليهم السلام وغيبته وقيامه بما تقتضيه مسؤولية الشهادة الاحتجاجية يوم القيامة. وهذا ما تؤكده كما سوف نرى الآيات اللاحقة.

٣. لا يخلو زمان من هاد الى الله بأمره

قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧ ﴾ [الرعد: ٧] تصرّح الآية الكريمة وعلى نحو الإطلاق بأن «لكل قوم هادٍ». واستناداً الى إطلاقها يُستفاد أن ثمة هاد الى الحق في كل عصر.

وهذه الحقيقة منسجمة مع ما تدل عليه الآيات الكريمة وصحاح الأحاديث الشريفة والبراهين العقلية من أن ربوبية الله لخلقه اقتضت أن يجعل سبحانه وتعالى لهم في كل عصر حجة له عليهم يهديهم الى الحق، طبقاً لسنته الجارية في جميع مخلوقاته في هدايتهم إلى الغاية من خلقها فهو كما قال: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ ﴾ [الأعلى: ٢-٣] «١». وهذه السنة جارية على بني الإنسان أيضاً فهو تعالى الذي خلقهم وقدّر بأن يهديهم إلى كمالاتهم المقدّرة لهم ويدلهم على ما فيه صلاحهم في دنياهم وأُخراهم.

معنى الآية الكريمة هو أن الكفار يقترحون عليك «أيّها النبي الخاتم صلى الله عليه وآله آية وعندهم القرآن أفضل آية وليس إليك شيءٌ من ذلك، وإنما أنت هاد تهديهم من

«١» تفسير الميزان: ١/ ٣٠٥.

طريق الإنذار، وقد جرت سنة الله في عباده على أن يبعثَ في كل قوم هادياً يهديهم.

معنى «الهادي» في القرآن

والآية التي ذكرت أعلاه تدل على أن الأرض لا تخلو من هاد يهدي الناس الى الحق، «إما أن يكون نبيّاً وإما أن يكون هادياً غير نبيّ يهدي بأمر الله»، وإطلاق الآية الكريمة ينفي حصر مصداق «الهادي» في الآية بالأنبياء عليهم السلام كما ذهب لذلك الزمخشري في الكشاف في تفسير الآية. لأن هذا الحصر يخرج الفترات التي لم يكن فيها نبيّ من حكم الآية الكريمة العام وهذا خلاف ظاهرها المصرّح بوجود هاد في كل عصر لا تخلو الأرض منه.

فمَن هو الهادي في عصرنا الحاضر؟ نرجع الى القرآن الكريم للحصول على الإجابة، فنلاحظ الآيات الكريمة تحصر أمر الهداية الى الحق على نحو الأصالة بالله تبارك وتعالى، ثم تثبتها للهادين بأمره على نحو التبعية، يقول عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس: ٣٥] .

تلخّص الآية الكريمة وبلغة إحتجاجية الرؤية القرآنية لموضوع الهداية الى الحق التي فصلتها العديد من الآيات الكريمة، وهي حصر الهداية الى الحق بالله تبارك وتعالى على نحو الإطلاق: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ ﴾ [يونس: ٣٥].

ثم قررت الآية الكريمة أن الذي يجب اتباعه من الخلق ليس الذي لا يستطيع أن يهدي إلاّ أن يهتدي بغيره من البشر، بل الذي يكون مهتدياً بنفسه دون الحاجة

الى غيره من البشر، فإن الكلام في الآية ـ كما يقول العلامة الطباطبائي قُدِّسَ سِرُّهُ في تفسيرها: «قد قوبل فيه قوله: ﴿ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۗ ﴾ [يونس: ٣٥] بقوله ﴿ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس: ٣٥] مع أن الهداية الى الحق يقابلها عدم الهداية الى الحق، وعدم الاهتداء الى الحق يقابله الاهتداء الى الحق، فلازمُ هذه المقابلة الملازمةُ بين الاهتداء بالغير وعدم الهداية الى الحق، وكذا الملازمة بين الهداية الى الحق والاهتداء بالذات فالذي يهدي الى الحق يجب أن يكون مهتدياً بنفسه لا بهداية غيره والذي يهتدي بغيره ليس يهدي الى الحق أبداً.

هذا ما تدل عليه الآية بحسب ظاهرها الذي لا ريب فيه وهو أعدل شاهد على أن الكلام موضوع فيها على الحقيقة دون التجوزات المبنية على المساهلة التي نبني عليها ونتداولها فيما بيننا معاشر أهل العرف فننسب الهداية الى الحق الى كل مَن تكلّم بكلمة حق ودعا إليها وإن لم يعتقد بها أو اعتقد ولم يعمل بها أو عمل ولم يتحقق بمعناها، وسواءٌ اهتدى إليها بنفسه أو هداه إليها غيره.

بل الهداية الى الحق ـ التي هي الإيصال الى صريح الحق ومتن الواقع ـ ليس إلاّ لله سبحانه أو لمن اهتدى بنفسه أي هداه الله سبحانه من غير واسطة تتخلل بينه وبينه، فاهتدى بالله وهدى غيره بأمر الله سبحانه... وقد تبيّن بما قدّمناه في معنى الآية أمور:

أحدها: أن المراد بالهداية الى الحق ما هو بمعنى الإيصال الى المطلوب دون ما هو بمعنى إراءة الطريق المنتمي الى الحق فإن وصف طريق الحق يتأتى من كل أحد سواء اهتدى الى الحق بنفسه أو بغيره أو لم يهتد.

وثانيها: أن المراد بقوله: ﴿ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس: ٣٥] هو من لا يهتدي بنفسه، وهذا أعم من أن يكون ممّن يهتدي بغيره أو يكون ممن لا يهتدي أصلاً لا بنفسه ولا بغيره...

وثالثها: أن الهداية الى الحق ـ بمعنى الإيصال إليه ـ إنما هي شأن مَن يهتدي بنفسه: أي لا واسطة بينه وبين الله سبحانه في أمر الهداية إما من بادئ أمره أو بعناية خاصة من الله سبحانه كالأنبياء والأوصياء من الأئمة. وأما الهداية بمعنى إراءة الطريق ووصف السبيل فلا يختص به تعالى ولا بالأئمة من الأنبياء والأوصياء، كما يحكيه الله تعالى عن مؤمن آل فرعون إذ يقول: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [غافر: ٣٨] وأما قوله تعالى خطاباً للنبي صلى الله عليه وآله وهو إمام: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ [القصص: ٥٦]. وغيرها من الآيات فهي مسوقة لبيان الأصالة والتبع كما في آيات التوفي وعلم الغيب ونحو ذلك مما سبقت لبيان أن الله سبحانه هو المالك لها بالذات والحقيقة، وغيره يملكها بتمليك الله ملكاً تبعياً أو عرضياً ويكون سبباً لها بإذن الله، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣] «١»، وفي الأحاديث اشارة الى ذلك وأن الهداية الى الحق شأن النبي وأهل بيته عليهم السلام .

«١» تفسير الميزان: ١٠/ ٥٦ ـ ٦١.

انتهى قول العلاّمة الطباطبائي رحمه الله في تفسير الآية ملخصاً وقد عرض الأقوال الأُخرى الواردة في تفسير الآية وبيّن عدم انسجامها مع منطوق الآية نفسه «١».

والمتحصّل من التدبر فيها هو حصر الهداية الى الحق بمعنى الايصال الى صريحه بالله تبارك وتعالى بالأصالة وبالتبع بمن كان مهدياً بنفسه من قبل الله تبارك وتعالى إذ يتحلّى بدرجة عالية من الاستعداد الذاتي لتلقي المنح الخاصة بالهداية من الله تبارك وتعالى سواء عن طريق الوحي إذا كان نبيّاً أو عن طريق الإلهام الإلهي الخاص إذا لم يكن نبيّ وكذلك للحصول على «أمر الله» للقيام بمهمة الهداية اليه عزّ وجلّ ، ومراجعة الآيات التي تتحدث عن «أمر الله» تقودنا ـ وبوضوح ـ الى معرفة أنه يشمل الولاية التكوينية والتصرّف الخاص إذ لا تجد آية في القرآن الكريم تذكر «أمر الله» دون أن يقتصر معناه على ولايته التكوينية أو يشملها الى جانب الولاية التشريعية «فالإمام هاد يهدي بأمر ملكوتي يصاحبه، فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية للناس في أعمالهم» ، وبهذه الولاية التكوينية يستطيع الهادي الى الله بأمره أن يتصرّف بالأسباب ويصل الى حقائق وبواطن العباد فيعطيهم من حقائق الهداية ما يناسبهم، وهذا التصرّف هو الذي ساقنا إليه التدبر في الآيات الناصة على وجود شهيد في كل زمان على أهل عصره.

الهادي منصوب من الله وبالرجوع ثانية الى القرآن الكريم نجده يصرّح بأن الذي يكون هادياً للناس بأمر الله تبارك وتعالى هو الإمام المنصوب لذلك من قبل الله

«١» تفسير الميزان: ١/ ٢٧٢.

تعالى كما هو واضحٌ من قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

وفي هذا تأكيد لما دلّت عليه آيات الإمامة وأنها عهد إلهي يجعله الله فيمن يختاره من عباده، كما أشرنا لذلك في الحديث عن آيات سورة الاسراء وصفات الإمام.

نعود للآية مورد البحث من سورة الرعد فهي تصرّح بأنه «لكل قوم هاد» على نحو الإطلاق ومصداق الهادي المراد فيها لا يمكن أن يكون أحد الكتب السماوية للسبب نفسه الذي أوردناه في معرفة مصداق «الإمام» في آية سورة الإسراء، كما لا يمكن حصر المصداق بالنبي لما قلنا من أنه يخرج الفترات التي ليس فيها نبي من حكم الآية وهذا خلاف ظاهر الآية العام الذي يشمل جميع الأزمان.

كما لا يمكن أن يكون المصداق المقصود في الآية هو الله سبحانه وتعالى لأن هدايته تشمل جميع الأزمنة دونما تخصيص بقوم دون قوم، وهذا خلاف ظاهر الآية، خاصة وأن لفظة «هاد» جاءت بصيغة النكرة، الأمر الذي يفيد تعدد الهداة.

يُضاف الى كل ذلك أن الهداية الإلهية للناس تكون بواسطة هداة من أنفسهم مرتبطين به تبارك وتعالى يتلقون منه الهداية وينقلونها الى عباده، وهؤلاء هم المهتدون بأنفسهم منه تبارك وتعالى دونما واسطة كما تقدم في تفسير آية سورة يونس وهم الذين يهدون بأمره تعالى. وهم الأئمة المنصوبون للهداية بأمره تعالى كما تقدم حيث لم يرد في القرآن الكريم وصف الهداية بأمره إلاّ في موردين اقترن فيهما بوصفي «الأئمة» واختيارهم لذلك من قبل الله تعالى، والموردان هما آية

سورة الأنبياء المتقدمة وآية سورة السجدة: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ﴾«١».

وتكون النتيجة المتحصلة من التدبر في الآية الكريمة مورد البحث هي حتمية وجود إمام هاد الى الله بأمره تبارك وتعالى منصوب لذلك من قبله عزّ وجلّ في كل عصر فلا تخلو الأرض منه سواء أكان نبيّاً أو غير نبي.

وحيث إن مثل هذا الشخص غير ظاهر في عصرنا الحاضر، إذ لا يوجد بين المسلمين ـ من أي فرقة كانت ـ مَن يقول بوجود إمام ظاهر هاد بأمر الله منصوب من قبله تعالى ورد النص عليه ممّن قوله حجة إلهية كما تقدم في البحث عن آية سورة الإسراء، لذا فلا مناص من القول بغيبته واستتاره، وقيامه بمهام الإمامة والهداية مستتراً بأستار الغيبة، فيكون الانتفاع به مثل الانتفاع بالشمس إذا غيّبتها عن الأبصار السحاب كما ورد في الأحاديث الشريفة «٢» ، وهذا ما تقول به وهذا ما تقول به مدرسة أهل البيت عليهم السلام في الامام المهدي وغيبته «٣» .

«١» راجع الحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله المروي في كمال الدين: ١ / ٢٥٣ وكفاية الأثر: ٥٣ وغيرهما.

«٢» راجع الحديث الذي يرويه جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله صلى الله عليه وآله المروي في كمال الدين: ١ / ٢٥٣ وكفاية الأثر: ٥٣ وغيرهما.

«٣» أعلام الهداية.

كيف يكون إماماً وهو غائب؟ وما فائدته؟

إنّ القيادة والهداية والقيام بوظائف الإمامة، هو الغاية من تنصيب الإمام، أو اختياره، وهو يتوقف على كونه ظاهراً بين أبناء الأمّة، مشاهداً لهم، فكيف يكون إماماً قائداً، وهو غائب عنهم؟!

والجواب: على وجهين نقضاً وحلاً.

أمّا النقض: فإنّ التركيز على هذا السؤال يعرب عن عدم التعرّف على أولياء الله، وأنّهم بين ظاهرٍ قائم بالأمور ومُختَفٍ قائم بها من دون أن يعرفه الناس.

إنّ كتاب الله العزيز يعرّفنا على وجود نوعين من الأئمّة والأولياء والقادة للأمّة، وليّ غائب مستور، لا يعرفه حتى نبي زمانه، كما يخبر سبحانه عن مصاحب موسى عليه السلام بقوله: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦٥-٦٦].

ووليّ ظاهر باسط اليد، تعرفه الأمّة وتقتدي به.

فالقرآن اذن يدلّ على أنّ الولي ربّما يكون غائباً، ولكنّه مع ذلك لا يعيش في غفلة عن أُمّته، بل يتصرّف في مصالحها ويرعى شؤونها، من دون أن يعرفه ابناء الأمّة.

فعلى ضوء الكتاب الكريم، يصحّ لنا أن نقول بأنّ الولي إمّا ولي حاضر مشاهد، أو غائب محجوب.

وإلى ذلك يشير الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في كلامه لكميل بن زياد النخعيّ، يقول كميل: أخذ بيدي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فأخرجني إلى الجبّان، فلمّا أصحر، تنفَّس الصعداء، وكان مما قاله " اللهّم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجّةٍ، إمّا ظاهراً مشهوراً، أو خائفاً مغموراً لئلاّ تبطل حُجج الله وبيِّناته".

وليست غيبة الإمام المهدي، بدعاً في تاريخ الأولياء، فهذا موسى بن عمران، قد غاب عن قومه قرابة أربعين يوماً، وكان نبيّاً وليّاً، يقول سبحانه: ﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢ ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وهذا يونس كان من أنبياء الله سبحانه، ومع ذلك فقد غاب في الظلمات كما يقول سبحانه: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

أولم يكن موسى ويونس نبيَّين من أنبياء الله سبحانه؟ وما فائدة نبي يغيب عن الأبصار، ويعيش بعيداً عن قومه؟

فالجواب في هذا المقام، هو الجواب في الإمام المهدي عليه السلام .

وأمّا الحلّ: فمن وجوه:

الأوّل: إنّ عدم علمنا بفائدة وجوده في زمن غيبته، لا يدلّ على عدم كونه مفيداً في زمن غيبته، فالسائل جَعَلَ عدم العلم، طريقاً إلى العلم بالعدم!! وكم لهذا السؤال من نظائر في التشريع الإسلامي، فيقيم البسطاء عدم العلم بالفائدة، مقام العلم بعدمها، وهذا من أعظم الجهل في تحليل المسائل العلمية، ولا شك أنّ عقول البشر لا تصل إلى كثير من الأمور المهمّة في عالم التكوين والتشريع، بل لا تفهم مصلحة كثير من سننه، وإن كان فعله سبحانه منزّهاً عن العبث، بعيداً عن اللغو. وعلى ذلك فيجب علينا التسليم أمام التشريع إذا وصل الينا بصورة صحيحة كما عرفت من تواتر الروايات على غَيبته.

الثاني: إنّ الغَيبَة لا تلازم عدم التصرف في الأمور، وعدم الإستفادة من وجوده، فهذا مصاحب موسى كان ولياً، لجأ إليه أكبر أنبياء الله في عصره، فقد خرق السفينة التي يمتلكها المستضعفون ليصونها عن غصب الملك، ولم يَعلَم أصحاب السفينة بتصرّفه، وإلاّ لصدُّوه عن الخرق، جهلاً منهم بغاية عمله. كما أنّه بنى الجدار، ليصون كنز اليتيمين، فأي مانع حينئذ من أن يكون للإمام الغائب في كلّ يوم وليلة تصرّف من هذا النمط من التصرّفات. ويؤيد ذلك ما دلّت عليه الروايات من أنّه يحضر الموسم في أشهر الحج، ويحجّ ويصاحب الناس، ويحضر المجالس، كما دلّت على أنّه يغيث المضطرين، ويعود المرضى، وربّما يتكفّل _ بنفسه الشريفة _ قضاء حوائجهم، وإن كان الناس لا يعرفونه.

الثالث: المُسَلّم هو عدم إمكان وصول عموم الناس إليه في غَيبته، وأمّا عدم وصول الخواص اليه، فليس بأمر مسلّم، بل الذي دلّت عليه الروايات خلافه، فالصلحاء من الأمّة الذين يُستَدَرُّ بهم الغمام، لهم التشرّف بلقائه، والاستفادة من نور وجوده، وبالتالي تستفيد الأمّة بواسطتهم.

الرابع: لا يجب على الإمام أن يتولّى التصرّف في الأمور الظاهرية بنفسه، بل له تولية غيره على التصرف في الامور كما فعل الإمام المهدي _ أرواحنا له الفداء _ في غَيبته. ففي الغيبة الصغرى، كان له وكلاء أربعة، يقومون بحوائج الناس، وكانت الصلة بينه وبين الناس مستمرّة بهم. وفي الغيبة الكبرى نصب الفقهاء والعلماء العدول العالمين بالأحكام، للقضاء واجراء سياسات، وإقامة الحدود، وجعلهم حجة على الناس، فهم يقومون في عصر الغيبة بصيانة الشرع عن التحريف، وبيان الأحكام، ودفع الشبهات، وبكل ما يتوقّف عليه نظم أمور الناس.

وقد كانت الصلة بينه وبين الناس مستمرة بواسطة وكلائه الأربعة: الشيخ ابي عمرو عثمان بن سعيد العمري، وولده الشيخ ابي جعفر محمّد بن عثمان، والشيخ ابي القاسم الحسين بن روح من بني نوبخت، والشيخ ابي الحسن علي بن محمد السَّمري «١» .

«١» كتاب السيرة ، الشيخ السبحاني.

هكذا قم مع الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف

هكذا مـهـِّد...

«... ولو أنّ أشياعنا وفّقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا، ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا على حقّ المعرفة وصدقها منهم بنا...» من توقيعه عجل الله تعالى فرجه الشريف الصادر إلى الشيخ المفيد قدس سره «١».

لا شك أنّ هناك نوعين من الانتظار:

أحدهما: يعبر عنه بالانتظار السلبي: وهو يعني القعود وترك العمل للظروف وحوادث الأيّام.

والثاني: هو الانتظار الإيجابي: الذي يقترن بالعمل والجهاد وإعداد العدّة والاستعداد لظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف المبارك.

وباعتبار أنَّ الإمام إنّما غاب نتيجة عدم نضوج الظروف الموضوعيّة لقيامه بالأمر، يكون الانتظار هو العمل على انضاج الظروف الموضوعيّة للمشروع

«١» الميرزا النوري، ج١٣، خاتمة المستدرك، مؤسسة آل البيت عليهم السلام الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، قم المقدسة، إيران، ج٣، ص٢٢٨.

المهدويّ، بمعنى العمل على استرجاع الغائب من غيبته، ولذا كان التعبير في التوقيع المذكور آنفاً.

«... ولتعجّلت لهم السعادة بمشاهدتنا... ».

فالانتظار يعني العمل والتمهيد، أي تمهيد الأرض لقيام دولة العدل الإلهيّ.

وإنّه لشرف أعظم الشرف أن يكون المرء فاعلاً في تحقّق المشروع الإلهيّ هذا.

سؤال: هل تستقيم للإمام عليه السلام الأمور بلا عمل؟

الجواب: نقرأه في إجابة الإمام الصادق عليه السلام لمن قال له: إنّهم يقولون: إنّ المهديّ لو قام لاستقامت له الأمور عفواً ولا يهريق محجمة دم، فقال عليه السلام: «كلا، والذي نفسي بيده لو استقامت عفواً لاستقامت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أدميت رباعيته وشجّ في وجهه، كلا والذي نفسي بيده حتى نمسح نحن وأنتم العرق والعلق ثم مسح جبهته» «١».

ما أعظمها من رواية تلخّص المطلوب لنحقّق المشروع الإلهيّ الأعظم الذي يتحقق من خلال:

١. حضور الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف وقيادته للمشروع...حين قال:... نحن...

٢. وجود أنصار مهيؤون وجاهزون... قال:... وأنتم...

٣. العمل مشترك من القيادة «الإمام» والقاعدة حيث عبر بـ:... نمسح...

«١» بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة، ج٥٣، ص١٧٧.

٤. العمل على نوعين:

أ-جهدّ وكدّ وتعب: «... نمسح العرق...».

ب-جهادٌ بما يعني الجرح والقتل :... نمسح... والعلق... ».

واللافت أن الإمام استخدم القَسَم مرتين بالذي نفس المعصوم بيده، مكرراً النفي بكلا بعد كِلا القَسَمين، الأولى لنفي التوهّم الوارد في السؤال عن عدم الحاجة إلى العمل والجهاد للتمهيد. والثاني لتأكيد احتياج الأمر إلى جهادٍ وبذل دماء.

وهذا يعني وجود أفراد على جهوزيّةٍ عالية عقائديّاً ونفسيّاً وبدنيّاً ومن حيث الكفاءات لاستقامة أمر القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف .

هل الإعداد فرديّ؟

بمعنى أنّ المطلوب والكافي هو أن تكون حركة التمهيد حركةً فرديّة، أي أن يصلح كلّ فردٍ نفسه على حده، أو أنّ التمهيد عمليّة جماعيّة.

بالنظر إلى مشروع الدولة المهدويّة نستنتج أنّه مشروع شموليّ يشمل كلّ البشر، ولا يشمل فيهم الحياة الفرديّة، بل يشمل النظام العام والحياة العامّة من حكومة وأنظمة وغير ذلك.

فالرواية تعبر بـ: «... يملؤها قسطاً وعدلاً... » «١».

لا تعني فقط ملء الأمكنة والبلدان بل تشمل نواحي الحياة ولجميع أشكالها.

«١» المصدر ، ج٥٢، ص٣٥٨.

وهذا يفترض وجود أفراد على كفاءة في كافّة هذه الميادين.

ثمّ إنّ العقبات التي تحول دون قدومه عجل الله تعالى فرجه الشريف والتي قد تواجه مشروعه بعد قدومه المبارك ليست أفراداً فقط، بل هي دول وأنظمة وجماعات منحرفة وظالمة وطاغية فهل يا ترى يمكن إزالة هذه المعوقات ومجابهتها بشكل فرديّ؟

من الذي يقوم بقيادة عملية التمهيد؟

إذا كانت عمليّة التمهيد عمليّة جماعيّة فهي تحتاج إلى أجهزة كما تحتاج أفراداً، وهي بما أنّها مشروع جماعيّ تفرض وحدة، والوحدة تفترض قيادة موحدة.

لننظر ما يقوله التوقيع الشريف: «لو أنّ أشياعنا وفقهم الله لطاعته على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا...».

المكاتبة تتحدّث عن شرط الظهور وهو اجتماع القلوب، وهو عين معنى الوحدة والاجتماع وقوام الوحدة الوفاء بالعهد للإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف أي اجتماع على قضية المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف .

ومن نافل القول إنّ الانتماء العقائديّ لا يكفي لأنّه لو كان هو الشرط لكان الخروج من زمن قديم، بل إنّ الوحدة والاجتماع هما في إطار العمل وصبّ الجهد في مشروع التمهيد، لا بشكل عشوائي، بل بشكل منظم له قيادة وله نظام، فمن هو قائد هذه الحركة وهذا النظام؟

«أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا... »«١» .

القائد لحركة الممهّدين هو الوليّ الفقيه. فالوليّ الفقيه هو قائد هذه الحركة الجماعيّة والموحّدة، التي تحمل توقاً إلى الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وهو الذي يقوم برعاية الجماعات والأفراد والأجهزة والمؤسّسات، التي تعمل على التهيؤ لاستقبال واستقدام الإمام من غيبته، بما يحتاج إليه من أفراد وأجهزة ومؤسّسات ذوي كفاءة ومهارات وجهوزيّة للشروع في الحركة الإصلاحيّة، أولاً للعالم تحت لواء الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف ثم بناء وإدارة دولة العدل الإلهيّ على كلّ الأرض وقد ورد في صفتهم ودورهم: «... هم النجباء والقضاة والحكام... »«٢» .

ولهذا نقرأ في الرواية الواردة عن الإمام الرضا عليه السلام في حقّ العلماء: « لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم من العلماء الداعين إليه، والدالّين عليه، والذابّين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحد إلا ارتدّ عن دين الله، ولكنّهم الذين يمسكون أزمّة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانّها، أولئك هم الأفضلون عند

«١» كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران، طبعة سنة ١٤٠٥هـ، ص٢٨٠.

«٢» وسائل الشيعة، الحر العاملي، محمد بن الحسن، مؤسسة أهل البيت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.ق، ج٢٧، ص١٤٠.

الله ﷻ ». «١» .. لاحظ إشارة الرواية إلى قيادة هؤلاء، حيث شبّههم الإمام الرضا عليه السلام بربّان السفينة.

هكذا أنصر

هل نحن من أنصار الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف ؟

إنّ نصرة صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف والإنضواء تحت لوائه والتشرّف بخدمته توفيق إلهي.

فالحضور في ساحة الإمام والقتال بين يديه ونصرته، يحتاج إلى لياقة من نوع خاصّ وإعداد متميّز. تتناسب مع طبيعة الأهداف الكبرى. عن الإمام الباقر عليه السلام : «فيا طوبى لمن أدركه وكان من أنصاره»«٢» .

ويمكن أن نرصد، ومن خلال الروايات والآثار طبيعة هذه المواصفات، ليتشرّف الإنسان بخدمة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف والقتال بين يديه.

كيف نكون من أنصار الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف ؟

يمكن أن نتلمّس مواصفات أنصار الحجّة من خلال الروايات التالية:

١. **الفداء والطاعة**

عن الصادق عليه السلام في وصف أنصاره عجل الله تعالى فرجه الشريف قال: «يقونه بأنفسهم في الحروب، ويكفونه ما يريد فيهم.. ينصر الله بهم إمام الحق»«٣» .

«١» دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري، ص٥٦٢.

«٢» الاحتجاج،الطبرسي، ج٢، ص٢٦٠.

«٣» مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلي، ص٢١٣.

٢. النشاط في العبادة والجهاد

ورد في الحديث: «رجال لا ينامون الليل، لهم دويّ في صلاتهم كدويّ النحل، يبيتون قياماً على أطرافهم، ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار، هم أطوع له من الأمة لسيّدها، كالمصابيح كأنّ قلوبهم القناديلُ، وهم من خشية الله مشفقون»«١» .

٣. تمنّي الشهادة

عن الصادق عليه السلام قال: «يدعون بالشهادة ويتمنّون أن يقتلوا في سبيل الله»«٢».

٤. الالتزام بالنظام

ويشير إلى ذلك ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من أنّه قال فيهم: «كأنّي أنظر إليهم والزيّ، والقدّ واحد، والحسن واحد، والجمال واحد، واللباس واحد، كأنّما يطلبون شيئاً ضاع منهم»«٣» .

٥. الثبات على الأمر

عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «ورجال كأنّ قلوبهم زبر الحديد، لا يشوبها شكّ في ذات الله، أشدّ من الحجر، لو حملوا على الجبال لأزالوها»«٤» .

«١» بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة، ج٥٢، ص٣٠٨.

«٢» المصدر، ج٥٢، ص٣٠٨.

«٣» المصدر، ج٥٢، ص٣٠٨.

«٤» المصدر، ج٥٢، ص٣٠٨.

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «والله ليغيبنّ إمامكم سنيناً من دهركم، ولتمحصّن حتى يقال: مات، قتل، هلك، بأيّ واد سلك... »«١» .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنّ علياً وصيّي ومن ولده القائم المنتظر المهديّ، الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً، إنّ الثابتين على القول بإمامته في زمان غيبته لأعزّ من الكبريت الأحمر، فقام إليه جابر بن عبد الله فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وللقائم من ولدك غيبة؟ قال صلى الله عليه وآله : أي وربي﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤١ ﴾ [آل عمران: ١٤١] ، يا جابر إنّ هذا أمر من أمر الله، وسرّ من سرّ الله، فإيّاك والشك، فإنّ الشك في أمر الله عزَّ وجلَّ كفر»«٢» .

٦. الإخلاص والتسليم

سئل الإمام محمّد التقيّ عليه السلام : لمَ سمّي القائم؟ قال: «لأنّه يقوم بعد موت ذكره، وارتداد أكثر القائلين بإمامته. فقلتُ: ولمَ سمّي المنتظر؟

«١» الطوسي «ت: ٤٦٠هـ»: الغيبة، تحقيق: عباد الله الطهراني، وعلي أحمد ناصح، منشورات مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، إيران، ٤ الأولى ١٤١١هـ، ص٣٣٧.

«٢» القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى، ج٣، ص٢٩٧.

قال: لأنّ له غيبة يكثر أيّامها، ويطول أمدها، فينتظر خروجه المخلصون، وينكره المرتابون، ويستهزئ بذكره الجاحدون، ويكذب فيها الوقاتون، ويهلك فيها المستعجلون، وينجو فيها المسلّمون»«١» .

٧. الصبر على الأذى

عن سيد الشهداء عليه السلام: «أما إنّ الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب، بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله »«٢» .

٨. الانتظار

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أفضل العبادة انتظار الفرج» «٣» .

وعن الإمام الصادق عليه السلام : «من مات منتظراً لهذا الأمر، كان كمن كان مع القائم في فسطاطه»«٤» .

وأنت أيّها العزيز انظر إلى هذه المواصفات العالية لأصحاب الإمام، ولنقس كم لدينا من نسبة مئوية إلى هذه الصفات، لا شكّ أنّ هؤلاء لم يحصلوا على هذه الصفات، ولم يتحلّوا بها، إلا بعد عمل دؤوب وكدّ وجهاد نفس ومعاناة، وإذا

«١» الصدوق ، كمال الدين وتمام النعمة، الناشر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، إيران، الطبعة سنة ١٤٠٥ هـ. ، ص ٣٧٨.

«٢» المصدر ، ص ٣١٧.

«٣» المصدر ، ص ٢٨٧.

«٤» المصدر ،ص ٣٣٨.

كانت الجائزة هي صحبة ونصرِة مولانا صاحب العصر والزمان، والمهر هذه الصفات فلا يغلو في سبيل ذلك ثمن.

هكذا كن معه ﷻ

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : «اللهم عرّفني نفسك فإنّك إنّ لم تعرّفني نفسك لم أعرف نبيّك، اللّهم عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرّفني رسولك لم أعرف حجّتك، اللهم عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللت عن ديني»«١» .

إنّ هذا الدعاء يتحدّث عن أول واجبات العلاقة مع الإمام الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف المقدم على كلّ واجب منها، ألا وهو معرفة الإمام التي لا تكون إلا بتوفيق وتيسير من الله، وبتوسّط معرفة الله ورسوله.«لولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها»«٢» .

إن أي علاقة مع الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف إنّما تختلف بعمقها وسموها بحسب نوع المعرفة وعمقها ودرجتها.

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»«٣» .

«١» الكافي، الكليني، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، الطبعة الخامسة ، ج ١ ، ص ٣٣٧.

«٢» مستدرك سفينة البحار، النمازي ، علي ، مؤسسة النشر الإسلامي، ج ٥ ، ص ٢٧٨.

«٣» وسائل الشيعة ، الحر العاملي ، محمد بن الحسن ، مؤسسة أهل البيت ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ.ق، ج ١٦ ، ص ٢٤٦.

آداب علاقتنا بالإمام الغائب الحاضر

والواجب أن تكون علاقتنا به علاقة مأموم بإمام يرجع إليه في كل تفاصيل حياته، وهناك آداب ذكرتها الروايات الشريفة، سنقتصر على ذكر ثلّة منها وهي:

١ . مواساته في غيبته تألّماً وبكاءً واشتياقاً لرؤيته:

وهذه الآداب ممّا تواترت بها الروايات والأدعية والزيارات عن أئمّة الهدى.

والتي تؤكد في النفس شدّة تألّمه هو نفسه من طول غيبته وغربته، الموجبة لتألّم وتحرّق محبّيه مؤاساتاً له، فمن دعاء الندبة نقرأ: «عزيز عليّ أن تحيط بك دوني البلوى، ولا ينالك منّي ضجيج ولا شكوى»«١» .

وهذا يومئ إلى ضرورة تأصيل ليس فقط الحرق والغصة والألم لفراقه وطول غيابه، بل المشاركة له في تحمّله ألم الفراق، لأنّه أشدّ شوقاً إلى الإياب من غيبته من أيّ مشتاق آخر، ولذا هو أشدّ ألماً من أيّ متألّم آخر، ويفترض أن تكون هذه الشكوى وهذا الألم والبكاء بشكل جماعيّ ومشترك: «... هل من معين فأطيل

«١» ابن طاووس، إقبال الأعمال، ج ١، ص ٥١٠.

معه العويل والبكاء، هل من جزوع فأساعد جزعه إذا خلا، هل قذيت عين فساعدتها عيني على القذى» «١» .

ولقد كان أئمّة أهل البيت يتحرقون شوقاً إليه، ويتألّمون من غيبته فهذا أمير المؤمنين علي عليه السلام يومئ إلى صدره قائلاً: «هاه من شدة شوقه إلى رؤيته، وهذا صادق أهل البيت عليه السلام يناديه ملتاعاً متألّماً: «سيدي غيبتك نفت رقادي، وضيقت عليّ مهادي، وابتزّت منّي راحة فؤادي، سيدي غيبتك أوصلت مصابي بفجائع الأبد، فقد الواحد بعد الواحد يفني الجمع والعدد، فما أحس بدمعة ترقى من عيني وأنين يفتر من صدري عن دوارج الرزايا وسوالف البلايا... »«٢» .

فإذا كان هذا حال أئمّة الهدى فما بالنا لا نردّد بالقلب قبل اللسان: «اللهم أرني الطلعة الرشيدة والغرّة الحميدة واكحل ناظري بنظرة منّي إليه... »«٣» .

ولعلّنا نستطيع أن نعد من آيات الشوق لرؤية طلعته البهيّة في دعاء الندبة أكثر من ثلاثين فقرة ينادي بها الدعاء أين... أين... أين.

وفيه: «... بنفسي أنت أمنية شائق يتمنى، من مؤمن ومؤمنة ذكرا حنا»«٤» .

«١» المصدر ،ج ١ ، ص ٥١١.

«٢» الغيبة ، محمد بن إبراهيم النعماني ، ص ٢٢٢.

«٣» كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، الناشر، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، إيران، الطبعة سنة ١٤٠٥ هـ، ص ٣٥٣.

«٤» بحار الانوار ،محمد باقر ، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصححة ، ج ٥٣ ، ص ٩٦.

«هل إليك يا بن أحمد سبيل فتلقى»«١» .

٢. الصلاة عليه والدعاء له بالفرج

وهذا أيضاً ممّا تمتلئ به نصوص العترة الطاهرة على اختلافها فمن دعاء الافتتاح: «اللهم وصلّ على وليّ أمرك القائم المؤمّل والعدل المنتظر... »«٢» .

والدعاء نفسه أيضاً فيه فقرات عظيمة من الدعاء بفرجه.

وفي غير دعاء الافتتاح نقرأ: «وصلّ على الخلف الصالح الهادي المهدي... اللّهم وصلّ على وليّك المحيي سنتّك القائم بأمرك الداعي إليك والدليل عليك... »«٣» .

٣. التوسل به في المهمات وطلب الحوائج

إنّ الإمام المهدي ﷻ هو وليّ الله في أرضه، وعين الله في خلقه، وهو باب الله الذي ورد في دعاء الندبة: «... أين باب الله الذي منه يؤتى، أين وجه الله الذي إليه يتوجه الأولياء، أين السبب المتّصل بين أهل الأرض والسماء... »«٤» .

وقد ورد أيضاً عن الإمام الرضا عليه السلام : «إذا نزلت بكم شدّة فاستعينوا بنا على الله عزّ وجلّ ».

«١» إقبال الأعمال، ابن طاووس ، ج ١ - ص ٥١٠.

«٢» المصدر - ج ١ - ص ٥١١.

«٣» مصباح المتهجد، الطوسي، ص ٤٠٨.

«٤» إقبال الأعمال ، بن طاووس، ج ١ - ص ٥٠٩.

ولقد كانت سيرة العلماء والعرفاء أنّهم إذا أهمّهم ا مر ونزلت بهم حاجة أو ضائقة توسلوا بأهل بيت العصمة عليهم السلام ، لا سيما حجّة الله عجل الله تعالى فرجه الشريف لطلب الفرج.

ونذكر في هذا الإطار حادثة: «في أثناء حرب عناقيد الغضب التي شنّها الصهاينة على المقاومة الإسلاميّة وبعد تفاقم الأمور واشتدادها وشعور الإمام الخامنئي بالخطر الشديد قام بالانتقال في إحدى الليالي تلك من مقر إقامته في طهران إلى مسجد جمكران، بالقرب من قم المقدسة، وأخذ يصلّي ليلتها ويتوسل إلى الله بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف ليحفظ وينصر المقاومة، فلم يتأخر الأمر الإلهي بفضل الله والطاف صاحب العصر والزمان».

وقد ورد عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام هذا التوسل: «اللهم إنّي أسألك بحقّ وليّك وحجّتك صاحب الزمان إلا أعنتني به على جميع أموري... »«١» .

٤ . السعي والتشوق للتشرف بخدمته

ولعل ذلك من أفضل الأعمال، بل إنّ التشرّف بخدمته عليه السلام هو مقام وأيّ مقام، من خلال نشر معرفته والإيمان به وبحتميّة ظهوره والتمهيد والتوطئة له وإعداد النفس والناس لنصرته، وهذا المقام من الشرف والعظمة بحيث يتمنى الإمام الصادق عليه السلام أن يناله فقد أجاب ردّاً على من سأله عن ولادة القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف.

«١» بحار الأنوار، المجلسي،محمد باقر ، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية المصـــححة ، ج ٩١ ، ص ٥.

«لا، ولو أدركته لخدمته مدّة حياتي»«١» .

إنَّ الإمام الصادق عليه السلام يطمح ويتمنّى ويرجو خدمة الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف خدمة تستغرق حياته الشريفة، وكأنها عبادة لا تقاربها عبادة فضلاً وشرفاً، فماذا يبقى لأمثالنا أن يتمنى...

٥. الشكوى إليه والاستعانة به على قضاء الحوائج

ورد في ذلك صلاة خاصة تسمى صلاة الاستغاثة بالحجة.

وهذه عادة المؤمنين على طول عهد الأئمة عليهم السلام أن يرجعوا إليهم في ما يعتريهم من مهمات الأمور حيث كانوا يبثونهم شكاواهم مشافهة أو عبر الكتب.

كتب رجل إلى أبي الحسن عليه السلام : إنّ الرجل يحبّ أن يفضي إلى إمامه ما يحب أن يفضي به إلى ربّه قال الرجل: فكتب عليه السلام : «إذا كانت لك حاجة فحرّك شفتيك فإنّ الجواب يأتيك»«٢» .

٦. إعداد النفس واصلاحها

وإعداد النفس له عجل الله تعالى فرجه الشريف يشمل تهذيبها وتكميلها بترك المحرّمات والإقبال على الطاعات والتحلّي بالأخلاق الحميدة، كما يشمل الاستعداد البدني والتجهّز لنصرته، فقد ورد أنه عليه السلام يطّلع على أعمال شيعته كل اثنين وخميس... فماذا سيكون موقفنا إذا ما كان فيما يرفع من أعمالنا ما يؤذيه ويسيئه، وأيّ حزن

«١» المصدر، ج٥١، ص١٤٨.

«٢» المصدر، ج٥٠، ص١٥٥.

سندخله على قلبه الشريف إذا ما خيّبنا أمله فينا بسبب سوء أعمالنا ألا تكفيه غربته همّاً حتى نزيد همّه.

وقد ورد في التوقيع الشريف الصادر منه إلى الشيخ المفيد: «... فما يحبسنا عنهم إلا ما يتّصل بنا ممّا نكرهه، ولا نؤثره منهم والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل»«١» .

يا الله... الإمام يستعين بالله على مصابه بانحراف شيعته وارتكابهم الذنوب، ولعلها أسهم مسمومة تصيب قلبه الشريف. فيا أيّها العزيز أنت بالخيار بين أن ترمي إلى قلب الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف -والعياذ بالله-سهماً، أو أن تدخل في هذا القلب فرحة!!!

فعن صادق أهل البيت عليه السلام : «من سرّه أن يكون من أصحاب القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق... »«٢» .

وفي الشأن الثاني من الإعداد أي الإعداد الجهادي فهذا يتضمّن مراتب من الجهوزيّة النفسيّة والبدنيّة والتنظيميّة، فما أروع ما ينقل لنا التاريخ من أن بعض الشيعة لشدّة يقينهم وشوقهم لرؤيته كانوا ينامون وسيوفهم تحت مضاجعهم... وقد روي كذلك في الإعداد النفسي عن الإمام الصادق عليه السلام :أنّ القائل منكم

«١» المصدر ، ج٥٣، ص١٧٧.

«٢» المصدر ، ج٥٢، ص١٤٠.

إذا قال: «إن أدركت قائم آل محمد نصرته، كالمقارع معه بسيفه والشهادة معه شهادتان»«١» .

بل إنّ للشوق لنصرته مرتبة أرقى تشمل حتى ما بعد الموت: «فأخرجني من قبري مؤتزراً كفني شاهراً سيفي مجرّداً قناتي ملبّياً دعوة الداعي في الحاضر والبادي»«٢» .

خاتمة:

في روح العلاقة معه عجل الله تعالى فرجه الشريف

إنّ المستحبّات التي ذكرتها الكتب المختصة حول آداب العلاقة مع الإمام القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف أكثر بكثير مما مرّ، لكن ما يستوقف المتأمّل لهذه الآداب من أدعية وصلوات وزيارات وغير ذلك هو: أنّها تفرض العلاقة على أنّها مع شخص بعينه «فلان بن فلان» موجود وليس حالة أو مشروع أو فكرة ما، فهو بالاسم ابن الإمام العسكريّ عليه السلام معروف تاريخ ولادته وغيبته وهي علاقة مع حيّ يسمع ويرى ويعمل ويعبد ويقرا وينادي... «السلام عليك حين تقوم... حين تقعد... حين تقرأ.... حين تبين.... الخ»«٣» .

«١» الكافي، الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، الطبعة الخامسة، ج٨، ص٨١.

«٢» بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر، مصدر سابق، ج٥٣، ص٩٦.

«٣» المصدر ، ج٥٣، ص١٧١.

ولذا فإن روح العلاقة هو أن تؤمن بحضوره ومخاطبته كحيّ حاضر وشخص

ولعلّ ما يستوقف المتأمّل أيضاً في دعاء الندبة: «... بنفسي أنت من مغيّب لم يخل منّا، بنفسي أنت من نازح ما نزح عنّا... »«١» .

فمن الغائب يا ترى؟! ومن المنتظر يا ترى...

نحن الغائبون وهو المنتظر.

«أنا بقية الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه، فلا تطلب أثراً بعد عين يا «أحمد ابن إسحاق» »«٢» ،«٣» .

«١» إقبال الأعمال ،ابن طاووس ، ج١، ص٥١٠.

«٢» بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر، مصدر سابق، ج٥٢، ص٢٤.

«٣» مقتبس من كتاب، هكذا قم هكذا كن مع الحجة عجل الله فرجه الشريف ، سلسلة بين يدي القائم عجل الله فرجه الشريف ، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

إمام المستقبل أم إمام الزَّمان؟

سؤال موجه من قبل أحدهم ...: "إنَّ هؤلاء السادة حين يعتقدون: أنَّ الإمام سيملأ البسيطة مستقبلاً بالعدل والقسط. وفي جوابه نقول: إذاً الإمام الذي يتحدّثون عنه هو إمام المستقبل وليس إمام الزَّمان".

الجواب: هذه التهمة غير صحيحة؛والسبب أنَّ أحداً من علماء الشّيعة ومتكلميهم لم يذهب للقول إنّ معنى الإمامة هو بسط العدل والقسط. في حين أجمع الكل على أنَّ ظهور الإمام الغائب يقترن مع بسط العدل والقسط.

وثمة -كما لا يخفى -فرق بين القولين.

نقرأ في جزء من الرسالة قول الكاتب: "إذا كان الله يريد أن يملأ العالم في المستقبل بنور العدالة فما الحاجة يا ترى لأن يخلق إنساناً قبل ألف عام ويذخره لهذه المهمة طوال هذه القرون؟ فهل يعجز الله -نعوذ بالله -من خلق هذا الإنسان وإيجاد هذا الإمام في الوقت المناسب؟ أم أنَّ الله سبحانه وهو القدوس القادر يصنع عبثاً؟ ثمّ هل نحسب أنّ حساب الله يستوي مع حساب البشر، إذ يقوم الإنسان بادّخار فاكهة الشتاء إلى الصيف لأنّه ليس بمقدوره الحصول عليها في الصيف؟".

الجواب: إنَّ من لوازم القدرة المطلقة والاستطاعة غير المتناهية أن يكون بمقدوره «سبحانه» فعل العمل التدريجي الذي يحتاج لزمنٍ ومهلة، وفعل العمل الفوري المباشر الذي يكون للحظته.

فهاتان الممارستان كلتاهما مظاهر القدرة والاستطاعة المطلقة. على صعيد آخر أثبتت نتائج البحوث العلمية المعاصرة أنَّ العالم الذي نعيش فيه يقوم -دون استثناء -على قاعدة الحركة التدريجية، فكلّ شيء يتحرّك بتدريج دون أن يكون في ذلك تنافٍ مع قدرة الصانع.

وهذه القاعدة التي تطّرد حتّى تعمّ كل الموجودات وأجزاء العالم لا تفرّق - في حساب الدليل العقليّ التامّ - في الاستحالة بين الساعة الواحدة وآلاف السنين، ولا تتأثر بالفاصلة الزمنية للتكوّن سواء أكانت قصيرة أم طويلة. أي لو كان في خلق العمل أو الجزء تدريجياً تنافٍ مع القدرة المطلقة للخالق لما اختلف الأمر بين اللحظة وآلاف السنين، فحساب الاثنين بملاك التأخير عجز في القدرة ولو لم يكن عجزاً لاستوى بين اللحظة وآلاف السنين أيضاً.

ثمّ إنّ هذا الإشكال يرِدُ على الكاتب ويعود عليه بدرجةٍ متساوية، فهذا الكاتب لو شاء أن يضع إصبعه على أي جزءٍ من أجزاء العالم، وعلى كل ظاهرة من ظواهره وكل موجود من موجوداته -وجميعها من خلق الله وصنعه -لوجدها تخضع لتدرّج في التكوّن والوجود، وهو مما يتعارض -بمقياسه -مع القدرة الإلهية المطلقة!

الشواهد كثيرة، منها: لماذا خلق الله السماوات والأرض في ستة أيام ولم يخلقها في لحظة؟ أكان سبحانه عاجزاً عن ذلك؟ ولماذا يخضع النبات والحيوان في تحقّق وجوده الفعليّ إلى مسار تدريجيّ؟ ولماذا لا يخلق في لحظة واحدة؟ لماذا تستغرق نطفة الإنسان تسعة أشهر حتى تتحوّل إلى إنسان بالفعل؟ وهل الله عاجز عن خلقه في لحظة؟ لماذا أصبح الإنسان قادراً اليوم فقط وليس قبل الآن، على استخراج معادن الأرض والاستفادة من كنوزها رغم أنها مودعة في باطن الأرض قبل آلاف السنين، وقد أودعها الله للإنسان بالذات وذخرها له، حيث يقول تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٩ ﴾[البقرة، الآية ٢٩]. فما معنى هذا الادّخار منذ آلاف السنين، ولماذا لم تُخلق للإنسان في لحظة الاستثمار؟

يضيف الكاتب في جزءٍ جديد من رسالته: "هم يقولون: إنّ الإمام ينبغي أن يكون من إمام قبله، أي إنّ أب الإمام ينبغي أن يكون إماماً أيضاً. ولذلك ادّخر الله ولد آخر الأئمة ذخيرة لليوم الموعود.

أقول: عجباً لهذا المنطق! كيف يكون ذلك، وأبو طالب والد أمير المؤمنين علي عليه السلام، لم يكن لا إماماً ولا نبياً؟ ألم يتأمّلوا حال رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لم يكن والده عبد الله نبياً ولا إماماً؟ وحين يكون أبو الأئمة خارجاً عن دائرة هذا الشرط، ولا

ينطبق على رسول الله مع ما له من المنزلة والشأن الرفيع، فكيف يتّسق هذا مع ادّعائكم؟ «١» .

«١» ا مقالات تأسيسية، لعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره ، ص٢٦٣-٢٦٥.

شمس خلف السحاب

إنَّ علاقة الإمام ﷺ بشيعته في زمن الغيبة، لم تتوقف عند حدود الإطلاع والمعرفة والانفعال النفسي، فلوجود الإمام بركات أكبر من أن تحصى، فللإمام نور يعم ويؤثر، سواء كان حاضراً أم غائباً ـ وإن كانت طبيعة هذا النور قد تختلف في حالتي الحضور والغياب ـ والله تعالى بحكمته يكتب طبيعة هذا النور، ولكنَّه على كل حال نور سيعمُّ نفعه وتكثر بركاته، ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [النور: ٣٥]

"وأما وجه الانتفاع في غيبتي، فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب وإني لأمان لأهل الأرض كما أنَّ النجوم أمان لأهل السماء"«١»

وهذه العبارة الأخيرة قريبة من قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٣] .

«١» الاحتجاج ، الطبرسي ، أحمد بن علي بن أبي طالب دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الأشرف ، سنة الطبع: ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦ م ـ ج٢ص ٢٨١ ـ ٢٨٤: عن محمد بن يعقوب الكليني عن إسحاق بن يعقوب قال: سألت محمد بن عثمان العمري رحمه الله أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان ﷺ ...

معجزة البقاء والاستمرار

هناك الكثير من المدارس والمذاهب والأفكار التي كانت تظهر طيَّ القرون الماضية، وتقوى شوكتها لفترة من الزمن، بحسب الظروف الموضوعية المحيطة بها، ولكنَّها ما تلبث أن تضعف وتبهت، بل قد تختفي تماماً عن الساحة وتصبح في طيَّات التاريخ، وهذا أمر طبيعي بحسب السنن الطبيعية الحاكمة على المجتمعات، ولكن من الملفت أنَّ مدرسة أهل البيت عليه السلام وخطَّهم ومنهجهم، رغم تطاول الأزمان وتغيُّر الظروف، وتعرضّهم لكلِّ أنواع الاضطهاد والظلم، ومحاولة المحو عبر حقب التاريخ، رغم كلِّ ذلك، لم تزدد هذه المدرسة إلا قوَّة واتساعاً وتوهّجاً، بخلاف السنن الطبيعية التي تفترض الضعف والوهن والاندثار في مثل هذه الظروف، وكأنَّها معجزة إلهيَّة فوق أن ينال منها زمن أو دولة أو حرب هنا وهناك، وهذا ما أشارت إليه زينب عليه السلام في أصعب ظرف: "فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك فوالله لن تمحو ذكرنا ولن تميت وحينا" «١»

والإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف رغم غيبته كان سبباً أساسياً من أسباب الصمود والبقاء والاستمرار، هذه الحقيقة التي يؤكِّدها الكلام الوارد عنه عجل الله تعالى فرجه الشريف :"كأنهم؟ يعلمون

«١» اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ايران قم ـ ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

أنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء «١» اصطلمكم «٢» الأعداء"«٣»

طمأنينة القلوب

بالإضافة إلى هذه العناية الخاصة من الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف التي حفظت هذا الخط وهذا النهج رغم دوائر الزمان، هناك أمر آخر من وجود الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف الشريف يتعلق بالجانب المعنوي، وطمأنينة القلوب إلى المستقبل المشرق وإلى التسديد والعناية من قبل الإمام المعصوم:" لأنّنا من وراء حفظهم بالدعاء الذي؟ يحجب عن ملك الأرض والسماء فلتطمئنّ بذلك من أوليائنا القلوب، وليتّقوا بالكفاية منه وإن راعتهم بهم الخطوب" «٤».

«١» اللأواء: الشدة وضيق المعيشة.

«٢» اصطلمكم: استأصلكم.

«٣» خاتمة المستدرك ، النوري، ج ٣، ص ٢٢٥، من رسالة للشيخ المفيد.

«٤» خاتمة المستدرك ن م، ج ٣، ص ٢٢٥.

لماذا لم يظهر القائد إذن؟

لماذا لم يظهر القائد إذن طيلة هذه المدة؟ وإذا كان قد أعدّ نفسه للعمل الاجتماعي، فما الذي منعه عن الظهور على المسرح في فترة الغيبة الصغرى أو في أعقابها بدلاً عن تحويلها إلى غيبة كبرى، حيث كانت ظروف العمل الاجتماعي والتغييري وقتئذ أبسط وأيسر، وكانت صلته الفعلية بالناس من خلال تنظيمات الغيبة الصغرى تتيح له أن يجمع صفوفه ويبدأ عمله بداية قويّة، ولم تكن القوى الحاكمة من حوله قد بلغت الدرجة الهائلة من القدرة والقوة التي بلغتها الإنسانية بعد ذلك من خلال التطوّر العلمي والصناعي؟

والجواب: أنّ كلّ عملية تغيير اجتماعي يرتبط نجاحها بشروط وظروف موضوعية لا يتأتّى لها أن تحقّق هدفها إلاّ عندما تتوفر تلك الشروط والظروف. وتتميز عمليات التغيير الاجتماعي التي تفجّرها السماء على الأرض بأنها لا ترتبط في جانبها الرسالي بالظروف الموضوعية «١» ، لأنّ الرسالة التي تعتمدها عملية

«١» على الرغم من الأهمية التي يعطيها الشهيد الصدر قدس سره هنا للظروف الموضوعية؛ ودور نضوجها أو إنضاجها في نجاح الثورات ـ وهذا فهم عميق لأثر العالم الاجتماعي والنفسيّ ـ إلاّ

التغيير هنا ربّانيّة، ومن صنع السماء لا من صنع الظروف الموضوعية، ولكنها في جانبها التنفيذي تعتمد الظروف الموضوعية ويرتبط نجاحها وتوقيتها بتلك الظروف. ومن أجل ذلك انتظرت السماء مرور خمسة قرون من الجاهلية حتى أنزلت آخر رسالاتها على يد النبيّ محمد صلى الله عليه وآله لأنّ الارتباط بالظروف الموضوعية للتنفيذ كان يفرض تأخّرها على الرغم من حاجة العالم إليها منذ فترة طويلة قبل ذلك.

والظروف الموضوعية التي لها أثر في الجانب التنفيذي من عملية التغيير، منها ما يشكّل المناخ المناسب والجو العام للتغيير المستهدف، ومنها ما يشكّل بعض التفاصيل التي تتطلّبها حركة التغيير من خلال منعطفاتها التفصيلية.

فبالنسبة إلى عملية التغيير التي قادها -مثلاً- لينين في روسيا بنجاح، كانت ترتبط بعامل من قبيل قيام الحرب العالمية الأولى وتضعضع القيصرية، وهذا ما يساهم في إيجاد المناخ المناسب لعملية التغيير، وكانت ترتبط بعوامل أخرى جزئية ومحدودة من قبيل سلامة لينين مثلاً في سفره الذي تسلّل فيه إلى داخل روسيا

أنّ الشهيد الصدر قدس سره يعرض نظرية جديدة في فهم عملية التغيير الاجتماعي الذي تحدثه السماء من خلال الرسالات السماوية، فهي في جانبها الرسالي ترتبط بقانونها الخاص، ولكن في جانبها التنفيذي تعتمد الظروف الموضوعية وترتبط بها توقيتاً ونجاحاً، وأعني بالظروف الموضوعية: الحالة السياسية، والحالة الاجتماعية للأمة، والواقع الدولي المعاصر، ومدى قدرة الأمة في إمكاناتها الذاتية واستعدادها النفسي.

وقاد الثورة، إذ لو كان قد اتّفق له أي حادث يعيقه لكان من المحتمل أن تفقد الثورة بذلك قدرتها على الظهور السريع على المسرح.

وقد جرت سنة الله تعالى التي لا تجد لها تحويلاً في عمليات التغيير الربّاني على التقيّد من الناحية التنفيذية بالظروف الموضوعية التي تحقّق المناخ المناسب والجو العام لإنجاح عملية التغيير، ومن هنا لم يأت الإسلام إلاّ بعد فترة من الرسل وفراغ مرير استمرّ قروناً من الزمن.

فعلى الرغم من قدرة الله - سبحانه وتعالى - على تذليل كل العقبات والصعاب في وجه الرسالة الربّانية وخلق المناخ المناسب لها خلقاً بالإعجاز، لم يشأ أن يستعمل هذا الأسلوب؛ لأنّ الامتحان والابتلاء والمعاناة التي من خلالها يتكامل الإنسان يفرض على العمل التغييري الربّاني أن يكون طبيعيّاً وموضوعيّاً من هذه الناحية، وهذا لا يمنع من تدخّل الله - سبحانه وتعالى - أحياناً فيما يخصّ بعض التفاصيل التي لا تكوّن المناخ المناسب، وإنما قد يتطلّبها أحياناً التحرك ضمن ذلك المناخ المناسب، ومن ذلك الإمدادات والعنايات الغيبية التي يمنحها الله تعالى لأوليائه في لحظات حرجة فيحمي بها الرسالة، وإذا بنار نمرود تصبح برداً وسلاماً على إبراهيم«١» ، وإذا بيد اليهوديّ الغادر التي ارتفعت بالسيف

«١» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠].

على رأس النبيّ صلى الله عليه وآله تُشلّ وتفقد قدرتها على الحركة«١» ، وإذا بعاصفة قوية تجتاح مخيّمات الكفّار والمشركين الذين أحدقوا بالمدينة في يوم الخندق وتبعث في نفوسهم الرعب«٢» إلاّ أنّ هذا كلّه لا يعدو التفاصيل وتقديم العون في لحظات حاسمة بعد أن كان الجو المناسب والمناخ الملائم لعملية التغيير على العموم قد تكوّن بالصورة الطبيعية ووفقاً للظروف الموضوعية.

وعلى هذا الضوء ندرس موقف الإمام المهديّ عليه السلام لنجد أنّ عملية التغيير التي أعدّ لها ترتبط من الناحية التنفيذية كأي عملية تغيير اجتماعي أخرى بظروف موضوعية تساهم في توفير المناخ الملائم لها، ومن هنا كان من الطبيعي أن تُوقّت وفقاً لذلك. ومن المعلوم أنّ المهديّ لم يكن قد أعدّ نفسه لعمل اجتماعي محدود، ولا لعملية تغيير تقتصر على هذا الجزء من العالم أو ذاك؛ لأنّ رسالته التي ادّخر لها من قبل الله – سبحانه وتعالى – هي تغيير العالم تغييراً شاملاً، وإخراج البشرية كلّ البشريّة، من ظلمات الجور إلى نور العدل«٣» ، وعملية التغيير الكبرى هذه

«١» راجع الرواية في تفسير ابن كثير ٢ : ٣٣، وراجع : البحار / المجلسي ١٨ : ٤٧ و ٥٢ و ٦٠، ٧٥، باب معجزات النبيّ صلى الله عليه وآله .

«٢» تاريخ الطبري ٢ : ٢٤٤ حوادث السنة الخامسة من الهجرة.

«٣» كما هو نصّ الحديث النبويّ الشريف: «لو لم يبق من الدنيا إلاّ يومٌ لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً منّي أو من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً».
راجع: التاج الجامع للأصول / منصور علي ناصف ٥ : ٣٦٠ الهامش، قال: رواه أبو داود والترمذي.

لا يكفي في ممارستها مجرد وصول الرسالة والقائد الصالح، وإلاّ لتمّت شروطها في عصر النبوة بالذات، وإنما تتطلّب مناخاً عالمياً مناسباً، وجوّاً عاماً مساعداً، يحقّق الظروف الموضوعية المطلوبة لعملية التغيير العالمية.

فمن الناحية البشرية يعتبر شعور إنسان الحضارة بالنفاد عاملاً أساسياً في خلق ذلك المناخ المناسب لتقبّل رسالة العدل الجديدة، وهذا الشعور بالنفاد يتكوّن ويترسّخ من خلال التجارب الحضارية المتنوعة، التي يخرج منها إنسان الحضارة مثقلاً بسلبيات ما بنى، مدركاً حاجته إلى العون، متلفّتاً بفطرته إلى الغيب أو إلى المجهول.

ومن الناحية المادية يمكن أن تكون شروط الحياة المادية الحديثة أقدر من شروط الحياة القديمة في عصر كعصر الغيبة الصغرى على إنجاز الرسالة على صعيد العالم كلّه، وذلك بما تحقّقه من تقريب المسافات، والقدرة الكبيرة على التفاعل بين شعوب الأرض، وتوفير الأدوات والوسائل التي يحتاجها جهاز مركزي لممارسة توعية لشعوب العالم وتثقيفها على أساس الرسالة الجديدة.

وأما ما أشير إليه في السؤال من تنامي القوى والأداة العسكرية التي يُواجهها القائد في اليوم الموعود كلّما أُجّل ظهوره، فهذا صحيح، ولكن ماذا ينفع نمو الشكل المادي للقوة مع الهزيمة النفسية من الداخل، وانهيار البناء الروحي للإنسان الذي يملك كلّ تلك القوى والأدوات؟ وكم من مرة في التاريخ انهار

بناءٌ حضاري شامخ بأول لمسة غازية؛ لأنه كان منهاراً قبل ذلك، وفاقداً الثقة بوجوده والقناعة بكيانه والاطمئنان إلى واقعه «١».

«١» لقد شاهدنا في بداية التسعينات المصداق لهذه المقولة التي أطلقها الشهيد الصدر رحمه الله استناداً إلى خبرته العميقة بالمجتمع البشري، فقد انهار الاتّحاد السوفيتي وهو أحد القطبين اللذين كانا يهيمنان على العالم انهياراً سريعاً جداً، وبصورة أذهلت الجميع.

الموضوع الرابع: انتظار المهدي عجل الله فرجه

معرفة الإمام المهدي عجل الله فرجه

تمهيد

في الدعاء المرويّ عن الإمام الصادق عليه السلام: اللهم عرِّفني نَفْسَكَ، فَإنَّكَ إِن لَمْ تُعرِّفْني نَفْسَكَ لَمْ أَعرِفْ نَبيَّك. اللهمَّ عَرِّفْني رَسولَكَ، فإنَّكَ إِن لَمْ تُعرِّفْني رَسولَكَ لَمْ أعرفْ حُجَّتَك. اللهمَّ عَرِّفْني حجَّتَكَ، فإنَّكَ إِن لَمْ تُعرِّفْني حُجَّتَكَ ضَلَلْتُ عَن دِيْني «١».

إنَّ لمعرفة الإمام وتولِّيه والإلتزام بأوامره ونواهيه والتعلّم عنه، كلّ ذلك يضمن للإنسان الدين الصحيح، والصراط المستقيم. وهذا ما أشارت إليه العديد من الروايات كما ورد في مضمون هذا الدعاء المرويِّ عن الإمام الصادق عليه السلام، وليس بعيداً عن هذا المعنى قوله تعالى ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة: ٣]، هذه الآية الكريمة التي نزلت بعد مناسبة

«١» الكافي، الكليني، ج ١، ص ٣٤٢.

الغدير التي تمَّ فيها تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام إماماً على الناس، وتولِّيه بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، ومن خلال هذه الولاية تمَّت النعمة الإلهيَّة علينّا.

وهذا ما سنشرع بتفصيله في هذا الدرس إن شاء الله تعالى.

دور النبوّة

لقد استطاع رسول الله صلى الله عليه وآله في فترة وجيزة إبلاغ الرسالة الإلهيّة، وقلب المجتمع من مجتمع جاهليٍّ يعيش على الغزوات، ويمارس وأدَ البنات، ويعبد العُزَّى واللَّات، وغيرها من الأوثان والأنصاب والأزلام، إلى حضارة الإسلام ومجتمع العدالة والإستقرار وعبادة الإله الواحد القهَّار... ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١ ﴾ [إبراهيم: ١]

وقد قام النبيُّ صلى الله عليه وآله بهذا الإنجاز العظيم من خلال دورين أساسِيَّين، هما:

الأوّل: تبليغ التشريع الإلهيّ

وشرحه وبيان تفصيلاته، يقول تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤ ﴾ [النحل: ٤٤]، ذلك القانون العادل الذي يضمن من خلال الإلتزام به خير الدُّنيا وبركاتها، وفوز الآخرة، يقول تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥ ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ويقول تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٦ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

الثاني: قيادة المجتمع الإنسانيّ

وذلك لأجل تطبيق هذه الأحكام والقوانين، وتحقيق المصالح، للوصول إلى الأهداف الإلهيَّة التي تتمثَّل بالإنسان الكامل والمجتمع الصالح. هذه القيادة التي أوجب الله تعالى على المسلمين التمسّك بها والإلتزام بمضمونها، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ٣٣ ﴾ [محمد: ٣٣].

ضرورة الإمامة

يقول تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، فالآية تصرِّح بختم النبوّة، فلا نبيَّ بعد نبيِّ الإسلام صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ولا رسالة بعد الإسلام، هذا الإسلام الذي يجب أن يبقى واضحاً في تشريعاته، مستمرّاً في مسيرته، فما الذي يضمن ذلك كلّه بعد النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

والإمامة تمثّل الضمان الحقيقيّ لبقاء التشريع ومتابعة المسيرة بالشكل الصحيح، وقد استفاد النبيّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من كلّ فرصة مفصليّة ليرسِّخ الإمامة ويؤكّد على متابعة الإمام بعده، امتثالاً لأمر الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ [المائدة: ٦٧].

فكان للإمام دور حفظ التشريع، ومنع أيِّ تحريفٍ في مفاهيم وقواعد الشريعة، وهذا ما أشارت إليه العديد من النصوص الشرعيّة؛ كالرواية عن النبيِّ صلى الله عليه وآله : أنا مدينة العلم وعليّ بابها «١» .

وكان للإمام أيضاً دور قيادة الأمّة وتحقيق الأهداف الإلهيّة في المجتمع، يقول تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [المائدة: ٥٥].

ومع ضمان الاستمرار من خلال الإمامة، تحقّق كمال الرسالة ونزلت الآية بعد التبليغ بالولاية، ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة: ٣].

معرفة الإمام

إنّ الإمام هو قطب الرحى في المجتمع الإسلاميّ بعد النبيّ صلى الله عليه وآله كما ذكرنا سابقاً، والمسلمون مكلّفون بتولّيه، والسير على نهجه، والائتمار بأمره، كما ذكرت الآية الكريمة، والعديد من النصوص الأخرى كنصّ الغدير، حيث قال النبيّ صلى الله عليه وآله : من كنتُ مولاه فعليّ مولاه... «٢» .

«١» الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٣٤.

«٢» الكافي، ج ١، ص ٢٩٥.

ومتابعة الإمام تقتضي معرفته، من هنا كانت الرواية عن النبيّ ﷺ : "من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليَّة"«١» ، لأنّ الذي لم يعرف إمامه سيضيّع ميزان تمييز الحقائق، وبالتالي ستضيع عليه تلك الحقائق، وهذا ما تشير إليه الرواية عن رسول الله ﷺ : "أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق"«٢» .

من هنا كانت تسمية وتنصيب الإمام بالنصّ، إماماً بعد إمام، حتَّى الثاني عشر منهم، الإمام محمَّد بن الحسن المهديّ المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف ، صاحب الزمان«٣» .

«١» شرح أصول الكافي، المازندراني، ج ٥، ص ١٩٩.

«٢» وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ٢٧، ص ٣٤.

«٣» مقتبس من كتاب معز الأولياء، سلسلة الدروس الثقافية، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية. ط: الأولى آب ٢٠٠٩م- ١٤٣٠هـ.

الانتظار الإيجابيّ عند العلامة السيد موسى الصدر قدس سره

ليس معنى الانتظار ترك الشيء على الآخرين، فإنّ معناه عدم الانتظار والاستسلام! فعندما نقول إننا في حالة "الانتظار" فماذا يعني ذلك؟ بالتأكيد لن يكون معناهُ أن نقعد في بيوتنا، وننام، ونأكل ولا نبالي ولا نراقب. هذا ليس اسمه الانتظار في اللغة العربية.

الانتظار معناه أن نكون على استعداد، سيوفنا بأيادينا، بنادقنا بأيادينا، ونتدرب، ونتجند، ونهيئ أنفسنا، ونضع أجهزة للكشف حتّى نعرف متى يكون هذا الهجوم المفاجئ، هذا معنى الانتظار.

وأمّا نحن، فعندما نقول إنّنا بانتظار المهديّ، فإننا نكون في انتظار إمامٍ سيملأ العالم قسطاً وعدلاً، بعدما ملئت ظلماً وجوراً! فكم هو عظيم هذا الحلم، وكم هو كبير هذا الهدف، وهل سيكون تحقيق هذا الهدف بيد المهديّ، وحده؟ لا! بمساندتنا نحن الذين نريد أن ننصر المهديّ على العالم، بعرضه وطوله. نحن منتظرون يعني نتهيأ للقيام بهذا الدور متى ما دُعينا إليه. حينها ينبغي أن نترك كلّ ما نملك ونكون مستعدين، والاستعداد يشمل التدريب: التدريب النفسيّ،

التدريب الفكريّ، التدريب الروحيّ، التدريب الجسديّ، والفنيّ والعسكريّ...الخ. والحياة لها ثمن، والعزّ له ثمن، والانتظار له ثمن، والنجاح له ثمن... غير أنّه "أبى الله أن يجري الأمور إلّا بأسبابها"، ومن المفروض أن يدفع الإنسان ثمن كسبه وإنجازه. وعن الإمام علي عليه السلام قال: "الأماني غرور الحمقى". الأحمق هو الوحيد الذي ينتظر الانتصار من دون تعب، والأحمق هو الوحيد الذي ينتظر المال من دون تعب، وينتظر المجد من دون تعب، وينتظر القوة من دون تعب ومن دون سعي، وهذا أمر لا يمكن! فإذاً، الانتظار هذا الذي كان يجنّد أجدادنا من السلف الصالح، الذين وقفوا وحفظوا أنفسهم، ألا فلننظر للأمل في آثارهم: في القلاع، والمعسكرات، والأديرة. انظروا إلى المسيحيين الذين كانوا موجودين هنا، لقد بنوا الأديرة الصلبة من الصخور! ومن المسائل الهامّة في الحديث عن الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف الحديث عن ضرورة رفع الحجاب بيننا وبينه عليه السلام . ففي صلاة الجماعة، إذا كان هناك حجاب بين الإمام والمأمومين، فصلاة الجماعة باطلة، وهو إشعارٌ بأنّ الإمام يجب أن يكون مع النّاس، ومتّصلاً بالنّاس، لا يترفّع عنهم، ولا يتعالى عليهم، ولا يحتجب عنهم ولا يحول ويبتعد عنهم. إنّ في هذه المسألة لحكماً اجتماعياً جميلاً! وحتّى صلاة الفرادى فهي عبادة، وهي اتّصال مع الله إذا فكّرنا فيها، فسوف نجد فيها أحكاماً اجتماعية كثيرة: نجد فيها النظافة، ورعاية لحقوق النّاس، كما نجد المنع عن

الصلاة في المكان المغتصب واللباس المغتصب فهي صلاة باطلة. وفي صميم الصلاة: أما كان من الممكن أن الله يأمرنا بالصلاة، ويقول لنا اجلسوا على الكرسيّ، وأغمضوا عيونكم ولا تتحرّكوا، وتوجّهوا بقلبكم إلى الله؟! أما كان هذا الشيء ممكناً؟! لماذا لم يقل ذلك؟! أحد الباحثين الكبار، اسمه محمد أسد، يرى أنّ في صلاة المسلمين أعظم درس لحياتهم، ويقول: الإنسان إذا كان يصلّي وهو ساكت، وهادئ، كان متوجّهاً بقلبه إلى الله، والله يريدك أن تكون في صلاتك متوجّهاً بقلبك إليه، وتقوم وتقعد وتركع وتسجد... وتتاح لك فرصة الجمع بين المقامين: مقام التوجّه إلى الله بالقلب، ومقام صدور العمل من الجسد. إنّ الأمل والانتظار، كانا من نتائج هذه العقيدة في تاريخنا، ولا بدّ أن نلفت النظر إلى اقتران قضية الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف بالمسجد، فما هو الرابط بينهما؟ المسجد بدء الطريق، وهو النقطة الأولى للانطلاق.

المسجد هو الذي يكرِّسُ الأمل ويهيِّئُ الانتظار، عبر التكريس العمليّ. أليس المسجد مكاناً لعبادة الله، عبادة الله تكرّس وتصون الإيمان. فهل يكون الواحد مؤمناً بقلبه ولا يمارسُ إيمانه في جسده؟ هذا لا يُمْكِنُ! فإذا كان الشخص، يريد أن يقول: أنا مؤمنٌ بقلبي، ولكن في الخارج لا يمارس أيّ عمل يدلّ على وجود

هذا الإيمان في قلبه، فهذا أمرٌ مستحيلٌ: ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠ ﴾ [الروم: ١٠].

إنّ الإنسان الذي يريد أن يحتفظ بإيمانه يجب أن يمارس إيمانه، ولا يمكن له أن يفصل جانبه المادّيّ عن المعنويّ، فالعمل الخارجيّ يعكس العمل النفسيّ، والعكس بالعكس. فإذا ما مارسنا إيماننا، قمنا بواجبنا «١».

«١» كلمة الإمام السيد موسى الصّدر في مناسبة ١٥ شعبان في بلدة "اليمونة" بمناسبة ولادة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف تسجيل صوتي من محفوظات مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات.

الجهاد والانتظار

ماذا يعني انتظار الظهور؟ وماذا يعني نصّ «أفضل الأعمال انتظار الفرج».

الجواب:

البعض يتوهَّم ويظنّ أنّ «انتظار الفرج» وهو أفضل الأعمال يعني أن ننتظر ظهور إمام العصر عجل الله تعالى فرجه الشريف مع جمع من خواصّ أصحابه وأنصاره وعدّتهم «٣١٣» رجلاً ومعهم جمع آخر من غير الخواصّ، فيحاربون أعداء الإسلام ويطهّرون الأرض من دنسهم، ويقيمون العدل والأمن في البلاد ويوفّرون الرفاه والحرية بأكمل صورهما، بعد ذلك يقولون لنا: تفضلوا! البعض يتوهَّم أنّ انتظار الفرج هو هذا، ويصفونه بأنَّه أفضل الأعمال. ولكنّ الانتظار الحقيقيّ للفرج، هو بانتظارنا ظهور الإمام عليه السلام للانخراط في جيشه والقتال تحت إمرته حتّى ولو استشهدنا في هذا القتال.

<u>الانتظار الحقيقيّ</u> هو أن يكون أمل الإنسان كلّه وكلّ أمانيه حقاً هي الجهاد في سبيل الله، وليس الانتظار حتّى يأتي الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف فنقول له: إذهب أنت وحدك فأنجز كلّ المهام الشاقة، وعندما يحين وقت جني الثمار سنأتي نحن. هذا هو منطق أصحاب موسى. أمّا أصحاب محمّد فقد قالوا له: يا رسول الله! لا نقول لك ما قاله لموسى بنو إسرائيل، أصحاب موسى عندما وصلوا إلى فلسطين -بيت

المقدس – ورأوا فيها جنداً متأهّبين قالوا لموسى: ﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [المائدة: ٢٤].

كان هذا هو منطق أصحاب موسى، اذهب أنت وربّك فقاتلا وطهّرا فلسطين من دنس الأعداء، وسنأتي نحن بعد أن نطمئنّ إلى أنّه لم يبق خطر فيها.

إنّ موسى عليه السلام قد سألهم مستنكراً: فما هو واجبكم إذن؟! عليكم أنتم أيضاً أن تخرجوا من دياركم الغاصب الذي أخرجكم منها. أما أصحاب النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله أمثال المقداد، فما كان قولهم كهذا، وإنّما قالوا: "لقد آمنّا بك وصدّقناك وشهدنا أنَّ ما جئت به هو الحقّ وأعطيناك مواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فو الذي بعثك بالحقّ لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلّف منّا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدوّنا غداً «١» ،«٢».

«١» القول لسعد بن معاذ وقد قاله جواباً للرسول صلى الله عليه وآله الذي استشار الأنصار في الخروج إلى المشركين في معركة بدر، تجده في السيرة النبوية لابن هشام، غزوة بدر. نهاية الجزء الثاني من طبعة بيروت.

«٢» نهضة المهديّ في التاريخ، العلامة الشهيد الشيخ مرتضى مطهري ، ص ٢٥٦-٢٦٢.

انتظار الفرج ومعناه الصحيح

البعض يرى انتظار الفرج:

١. أن يجلس في المسجد أو الحسينية أو المنزل، ويدعو الله تعالى لفرج الإمام الحجة صاحب الزَّمان عجل الله تعالى فرجه الشريف

تعليق: إنّ من لديهم مثل هذا التصوّر هم أناس صالحون، بل إنّ بعض الذين أعرفهم كان إنساناً صالحاً للغاية وقد اشترى له حصاناً وكان عنده سيف، وكان على أهبة الاستعداد في انتظار الإمام صاحب الأمر عليه السلام فأمثال هؤلاء كانوا يعلمون واجباتهم الشرعية وكانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ولكن الأمر كان يقف عند هذا الحد، وفيما عدا ذلك لا يصدر عنهم شيء ولم يكونوا يفكرون بفعل شيء فيما يخص هذا الأمر الهام.

٢. على صعيد آخر ثمة جماعة ترى في انتظار الفرج أن تدير ظهرها لكل ما يجري من حولها. فلا شأن لها بما يجري على الشعوب وما يعاني منه شعبنا، وكلّ همّها هو العمل بواجباتها الدينية وفيما عدا ذلك فهو من مهامّ صاحب الزَّمان عجل الله تعالى فرجه الشريف الذي سيأتي ويصحّح كلّ شيء بنفسه. إذ يقول أفراد هذه الجماعة: نحن غير مسؤولين عما يجري وكلّ ما علينا هو أن ندعو لظهور صاحب الزَّمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. هؤلاء أيضاً كانوا أفراداً صالحين.

٣. فئة ثالثة كانت تقول: حسناً، يجب أن يمتلئ العالم بالمعاصي حتّى يمهد لظهور الإمام صاحب الأمر ﷺ. يجب أن لا ننهى عن المنكر ولا نأمر بالمعروف وترك النّاس يفعلون ما يشاءون لكي تزداد المعاصي ويقترب الفرج.

٤. هناك فئة تؤمن بالتشجيع على المعاصي وارتكاب الذنوب حتّى تمتلئ الدنيا ظلماً وجوراً مما يمهد لظهور الإمام الحجة ﷺ

تعليق وتنبيه: بطبيعة الحال بين هؤلاء أناس منحرفون وبينهم سذّج أيضاً، وكان المنحرفون يتطلّعون إلى تحقيق أهداف خاصة.

حقيقة الانتظار

اذن ما هي حقيقة الانتظار؟

الجواب:

والحقيقة هي، علينا أن نعمل للقضاء على الظلم والجور في أيّ مكان من العالم إذا كان في مقدورنا ذلك. إنّ تكليفنا الشرعيّ يدعونا إلى ذلك ولكن ليس بمقدورنا. وسيأتي الإمام المهديّ ليملأ الأرض قسطاً وعدلًا، غير أنّ ذلك لا يسقط التكليف عنكم بأن تكفّوا عن أداء واجبكم. نحن لدينا تكليف، ومَنْ يقول بعدم ضرورة الحكومة فهذا يعني أن تكون هناك فوضى. فإذا ما غابت الحكومة فسوف يعمّ الفساد البلاد بنحو ليس له حدود. فأيّ عاقل يقبل أن يظلم النّاس بعضهم البعض كي يمهّدوا لظهور صاحب الزَّمان ﷺ !! وماذا سيفعل صاحب الزَّمان حين يأتي؟ أليس القضاء على الظلم وبسط العدالة؟ فالإنسان إن

لم يكن سفيهاً ولا مغرضاً ولم يكن ألعوبة بيد الآخرين، لن يقبل بمثل هذه الأفكار.

القوى الكبرى والترويج لمعنى الانتظار الخاطئ

حقيقة الأمر هي أنّ السياسة تقف وراء ذلك. مثلما لقّنوا الشعوب، لقّنوا المسلمين وجموعاً غفيرة من سكان الأرض أنّ السياسة ليست من شأنكم، أذهبوا أنتم إلى عملكم واتركوا السياسة لأهلها. إنّ مثل هذا الكلام الذي يدعو النّاس للتخلّي عن السياسة وتركها إلى الظلمة، تركها إلى أميركا والاتحاد السوفيتي وأمثالهما كي يتسنّى لهم نهب ثرواتنا وخيراتنا، كي يتسنّى لهم أن ينهبوا ثروات المسلمين والمستضعفين، إنّ مثل هذا الكلام تخريف وسذاجة. وقد ضحكوا به على عقول النّاس، بأن اتركوا السياسة لنا واذهبوا أنتم إلى مساجدكم.

إنّ هؤلاء الذين يقولون ببطلان كلّ راية ترفع وكلّ حكومة تقوم، يتصوّرون أنّ قيام كلّ حكومة هو خلاف لانتظار الفرج. إنّهم لا يفقهون ما يقولون، وإنّما تمّ تلقينهم أن يقولوا مثل هذا الكلام. إنّ غياب الحكومة يعني أن يتكالب النّاس على بعضهم البعض. يقتل بعضهم البعض، ويتصرّفون بما يتعارض ونصّ القرآن الكريم؛ فإذا فرضنا أن هناك مائتي حديث في هذا الباب، فإننا نضرب بها عرض الحائط لأنها تتعارض مع نصّ القرآن الكريم. إن كلّ حديث ينصّ على عدم وجوب النهي عن المنكر، يجب أن يضرب به عرض الحائط. لأنه لا يمكن العمل بهذا النوع من الأحاديث، وأنّ هؤلاء الأغبياء لا يعون ماذا يقولون: كل حكومة تقوم هي حكومة باطلة!! بل لقد سمعت أنّ بعض هؤلاء يدعو إلى

الكفّ عن تهذيب الأخلاق في إيران اليوم، فلم تعد هناك ضرورة لمثل هذا الكلام!! وهذا يعني أن يكون أستاذ الأخلاق في جمع من الأناس الفاسدين، وأن تكون أبواب الحانات مشرعة ومراكز الفساد ناشطة. لأنه إذا كانت البيئة صالحة فلا حاجة لتهذيب الأخلاق. إنّ مثل هذه الدعوات إن لم تكن مغرضة فهي غبية وبلهاء. بيد أن هؤلاء يدركون جيداً ماذا يفعلون ويتطلّعون إلى عزلنا عن هذا العالم.

أجل، ليس بمقدورنا أن نعمل على سيادة العدل في العالم أجمع، ولو كان بمقدورنا ذلك لفعلنا. ولأننا لا نستطيع أن نفعل ذلك فلا بدّ من ظهور الإمام المنتظر. العالم اليوم يسوده الظلم ونحن في نقطة من هذا العالم. وإذا كان بمقدورنا التصديّ للظلم يجب أن لا نتهاون في ذلك، لأنّه واجبنا. الإسلام والقرآن حدّد مسؤولياتنا وسنّ لنا واجباتنا ولكن لا نستطيع نشر العدل في العالم بأسره ولا بدّ من ظهوره عجّل الله تعالى فرجه الشريف. ولكن يجب أن نمهّد الطريق له. يجب أن نوفّر الأسباب التي تعجّل في ظهوره. علينا أن نعمل على تهيئة العالم لظهور الإمام المهديّ الموعود عليه السلام.

على أيّة حال إنّ كلّ هذه المصائب دخيلة على المسلمين وإنّ القوى الخارجية تعمل على إشاعتها لكي يتسنى لها نهب ثرواتنا والقضاء على عزّة المسلمين. وللأسف إنّ الكثير من المسلمين آمنوا بذلك. وربما تجد الآن من يؤمن بعدم ضرورة إقامة حكومة، لأنّ الحكومة يجب أن تكون في عصر الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وأنّ كلّ حكومة تقوم في غير عصره تعتبر باطلة، حسب تصورهم. فأمثال هؤلاء يرون

ضرورة إشاعة الفوضى واضطراب العالم، حتّى يأتي الإمام المهديّ ﷻ لإصلاحه!! ولكنّنا عازمون على تمهيد الطريق لظهوره إن شاء الله. نسأل الله تعالى أن يهدي أمثال هؤلاء. وان يجعل هذا اليوم مباركاً على الجميع، وأن يقطع دابر الظالمين، وأن يمنح الشعوب المظلومة القوّة للقضاء على الظالمين «١» .

«١» صحيفة الإمام، ج٢١، ص٢١.

الموضوع الخامس: أسس الغيبة الكبرى

أدلة انقطاع النيابة الخاصّة في الغيبة الكبرى

قد بسط علماء الإماميّة الحديث عن الانقطاع مطوّلاً في الكتب المؤلّفة في غيبته عجّل الله تعالى فرجه الشريف من الجيل المعاصر للأئمّة السابقين عليهم السلام مروراً بالذين عاصروا غيبته الصغرى، والتقوا بالنوّاب الأربعة، كالكليني وعليّ بن بابويه وسعد بن عبد الله الأشعري والنوبختي وغيرهم إلى الجيل الأوّل من الغيبة الكبرى، كالصدوق وابن قولويه والنعماني ومحمّد بن الحسن الخزّاز وغيرهم، ثمّ المفيد والمرتضى والطوسي والكراجكي، وتتابع طبقات العلماء في كتبهم الكلاميّة والحديثيّة الروائيّة، وقد أودعوا في ذلك من طوائف الروايات المرويّة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام إلى بقيّة الأئمّة المعصومين عليهم السلام . ونشير إلى جملة من تلك الأدلّة:

الدليل الأوّل:

التوقيع المبارك الصادر من الناحية المقدّسة منه عجّل الله تعالى فرجه الشريف على يد النائب الرابع عليّ بن محمّد السمري قبل وفاة النائب بستّة أيام: «يا عليّ بن محمّد السمري، اسمع!

أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام، فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة، فلا ظهور إلاّ بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي من شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم»، قال: فنسخنا هذا التوقيع وخرجنا من عنده، فلمّا كان اليوم السادس عدنا إليه وهو يجود بنفسه، فقيل له: مَن وصيّك من بعدك؟ فقال: لله أمر هو بالغه وقضى، فهذا آخر كلام سمع منه رضي الله عنه وأرضاه. وقد روى التوقيع كلّ من الصدوق في إكمال الدين والطوسي في الغيبة، والنعماني في كتابه الغيبة، والطبرسي في الاحتجاج، والراوندي في الخرائج والجرائح رواه عن الصدوق أيضاً. وقد رواه الشيخ الطوسي، قال: أخبرنا جماعة -يعني جماعة مشايخه -عن أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه: «الصدوق»، قال: حدّثني أبو محمّد الحسن بن أحمد المكتب. وقد رواه الصدوق في إكمال الدين عن أبي محمّد الحسن بن أحمد المكتب، وهو من مشايخ الصدوق، وقد ترحّم عليه في كتابه إكمال الدين، هذا وقد ذكر الشيخ الطوسي في «الغيبة» - عند تعرّضه لترجمة وبيان حال النوّاب والنائب الرابع «السمري» - خمس روايات لانقطاع السفارة بخمسة طرق منها: قوله: وأخبرني محمّد بن محمّد بن النعمان «المفيد»، والحسين بن عبيد الله «الغضائري»، عن أبي عبد الله محمّد بن أحمد الصفواني «شيخ الطائفة تلميذ

الكليني» ومعاصر للنائب الرابع، وذكر حضور الشيعة عند النائب الرابع، وأنّه لم يوص إلى أحد بعده. وهذا الطريق صحيح أعلائي، بل هو قطعي الصدور.

ودلالة التوقيع الشريف على الانقطاع في موضعين:

الموضع الأوّل: قوله ﷺ : «فاجمع أمرك، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامّة، فلا ظهور إلاّ بعد إذن الله تعالى ذكره» فنهاه عن الوصيّة إلى أحد بعده، فلا يقوم أحد مقام النائب الرابع، وكذلك قوله ﷺ ، فقد وقعت الغيبة التامّة دلالة على أنّ فترة النوّاب الأربعة لم تكن غيبة تامّة، وإنّما هي صغرى لا تامّة كبرى، حيث إنّ النوّاب الأربعة كانوا حلقة وصل بينه وبين شيعته، ممّا يدلّ على أنّ معنى الغيبة التامّة، وهي الكبرى التي وقعت بعد الصغرى، هي أن ينقطع فيها مقام النيابة الخاصّة، وأنها ممتدّة، فلا ظهور حتّى الصيحة وخروج السفياني.

الموضع الثاني: قوله ﷺ : «سيأتي من شيعتي مَن يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر»، والظاهر من ادّعاء المشاهدة هو السفارة والنيابة بقرينة السياق والصدور على يد النائب الرابع، حيث أمره بعدم الوصيّة لأحد أن يقوم مقامه في النيابة، ولا سيّما وأنّ ادّعاء ذلك هو وسيلة لأجل ادّعاء الوساطة بين الإمام ﷺ والناس، والتحايل على الآخرين بإمكانه القيام بحلقة وصل بين الإمام وبينهم، وهو معنى السفارة والنيابة الخاصّة.

ثمّ إنّ صريح هذا التوقيع الشريف الذي تطابقت عليه الطائفة أنّ انقطاع النيابة الخاصة والسفارة يمتدّ إلى الصيحة من السماء بصوت جبرئيل التي هي من علامات الظهور الحتميّة الواقعة في نفس سنة الظهور، وهي: «ألا إنّ الحقّ في عليّ وشيعته، ثمّ ينادي إبليس في آخر النهار: ألا إنّ الحقّ في السفياني وشيعته، فعند ذلك يرتاب المبطلون»، كما جاء في الروايات عنهم عليهم السلام، وفي بعضها أنّ النداء هو في شهر رمضان، وفي بعض الروايات أنّه في رجب، والظاهر أنّها نداءات متعدّدة بمضامين متعدّدة. ومقتضى دلالة هذا التوقيع الشريف هو نفي النيابة الخاصّة والسفارة إلى حدّ سماع الصيحة من السماء في سنة الظهور، وأي مدّعٍ للنيابة والاتّصال والارتباط مع الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف قبل الصيحة فهو كذّاب ومفترٍ أيّاً كان هذا المدّعي، ولو تقمّص بأي اسم وعنوان، سواء ادّعى أنّه سيظهر من اليمن أو من خراسان أو من غيرهما. وكذلك وقّت الحدّ والأمد مضافاً إلى الصيحة إلى خروج السفياني، والمراد من خروجه ليس مجرّد وجوده، بل قيام السفياني بتأسيس دولته في الشام، وخوضه في الحروب لتوسعة دولته.

الدليل الثاني:

الروايات المتواترة التي رواها الصدوق في إكمال الدين، والطوسي في الغيبة، والنعماني في الغيبة، والكليني في الكافي، والتي مفادها وقوع غيبتين للإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وهذه الروايات قد رويت عن الرسول صلّى الله عليه وآله، وعن أمير المؤمنين عليه السلام، وعن بقيّة الأئمّة عليهم السلام .

فقد روى الشيخ الطوسي بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام: «أما أنّ لصاحب هذا الأمر فيه غيبتين: واحدة قصيرة، والأُخرى طويلة». وروى النعماني في الغيبة بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام ، قال: «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين: إحداهما تطول حتّى يقول بعضهم: مات، وبعضهم يقول: قُتل، وبعضهم يقول: ذهب، فلا يبقى على أمره من أصحابه إلاّ نفر يسير، لا يطلع على موضعه أحد من وليّ ولا غيره، إلاّ المولى الذي يلي أمره». وتقريب دلالة هذه الطائفة على انقطاع السفارة هو ما ذكره النعماني، قال: «هذه الأحاديث التي يذكر فيها أنّ للقائم عليه السلام غيبتين أحاديث قد صحّت عندنا - بحمد الله - وأوضح الله قول الأئمّة عليهم السلام ، وأظهر برهان صدقهم فيها، فأمّا الغيبة الأُولى فهي الغيبة التي كانت السفراء فيها بين الإمام عليه السلام وبين الخلق قياماً منصوبين ظاهرين موجودي الأشخاص والأعيان، يخرج على أيديهم غوامض العلم، وعويص الحكم والأجوبة عن كلّ ما كان يسأل عنه من المعضلات والمشكلات، وهي الغيبة القصيرة التي انقضت أيّامها، وتصرّمت مدّتها، والغيبة الثانية هي التي ارتفع فيها أشخاص السفراء والوسائط للأمر الذي يريده الله تعالى، والتدبير الذي يمضيه في الخلق، ولوقوع التمحيص والامتحان والبليّة والغربلة والتصفية على مَن يدّعي هذا الأمر، كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٩] ، وهذا زمان ذلك قد حضر، جعلنا الله فيه من الثابتين على الحقّ، وممّن لا يخرج في غربال الفتنة، فهذا معنى قولنا: «له غيبتان»، ونحن في الأخيرة

نسأل الله أن يقرّب فرج أوليائه منها». ودلالة تثنية الغيبة على اختلاف الغيبتين القصيرة عن الطويلة بيّنة واضحة، وإلاّ لكانت معاً غيبة واحدة لا غيبتان، واختلاف الغيبتين ليس إلاّ بوجود السفراء والنوّاب الأربعة في الأُولى دون الثانية. ومن هذا القبيل ما في صحيح عبد الله بن سنان، قال: دخلت أنا وأبي على أبي عبد الله عليه السلام ، فقال: «كيف أنتم إذا صرتم في حال لا ترون فيها إمام هدى ولا علماً يرى، فلا ينجو من تلك الحيرة إلاّ من دعا بدعاء الغريق»، فقال أبي: هذا والله البلاء، فكيف نصنع جعلت فداك حينئذٍ؟ قال: «إذا كان ذلك - ولن تدركه - فتمسّكوا بما في أيديكم حتّى يتّضح لكم الأمر». وقال النعماني في ذيل الفصل الذي أورد الحديث فيه «وفي قوله في الحديث الرابع من هذا الفصل - حديث عبد الله بن سنان -: «كيف أنتم إذا صرتم في حال لا ترون فيها إمام هدى ولا علماً يرى» دلالة على ما جرى، وشهادة بما حدث من أمر السفراء الذين كانوا بين الإمام عليه السلام وبين الشيعة من ارتفاع أعيانهم، وانقطاع نظامهم، لأنّ السفير بين الإمام في حال غيبته وبين شيعته هو العلم، فلمّا تمّت المحنة على الخلق ارتفعت الأعلام، ولا ترى حتّى يظهر صاحب الحقّ عليه السلام ، ووقعت الحيرة التي ذكرت وآذننا بها أولياء الله، وصحّ أمر الغيبة الثانية التي يأتي شرحها وتأويلها فيما يأتي من الأحاديث بعد هذا الفصل».

الدليل الثالث:

الروايات المستفيضة الآمرة بالانتظار وبالصبر والمرابطة، وعدم الانزلاق مع كلّ منادٍ لشعار إقامة الحقّ والعدل، وكذلك بروايات التمحيص والامتحان،

ومقتضاها انقطاع السفارة والاتّصال، كما سنبيّن. مثل: ما رواه النعماني في كتابه «الغيبة» بسنده عن عبد الرحمن بن كثير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام يوماً وعنده مهزم الأسدي فقال: جعلني الله فداك، متى هذا الأمر الذي تنتظرونه، فقد طال علينا؟ فقال: «يا مهزم، كذّب المتمنّون، وهلك المستعجلون، ونجا المسلِّمون، وإلينا يصيرون». وروى عن أبي المرهف أيضاً قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : «هلكت المحاضير»، قال: قلت: وما المحاضير؟ قال: «المستعجلون، ونجا المقرّون»، ومفادها ظاهراً وقوع المستعجلين لأمر ظهوره عليه السلام في الهلكة والضلال، وكذلك الذين يعيشون عالم التمنّي لتوقيت ظهوره ممّا يحدو بهم إلى العفويّة في الانسياق وراء كلّ ناعق. وهذه الحيرة والاضطراب ليست إلاّ للانقطاع وفقد الاتّصال، وهو مقتضى الصبر والانتظار والترقّب، لأنّه في مورد فقد الاتّصال وانقطاع الخبر وعدم وسيلة للارتباط. وكذلك مفاد روايات التمحيص والامتحان بسبب شدّة المحنة في غيبته بفقد واسطة الارتباط، فتزداد الريبة بوجوده حتّى يرجع أكثر القائلين بإمامته عن هذا الاعتقاد، لا سيّما مع كثرة الفتن والمحن والبلاء. فقد روى النعماني بسنده عن أبي بصير، قال: قال أبو جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام : «إنّما مثل شيعتنا مثل أندر - يعني: بيدراً - فيه طعام فأصابه آكِل - أي السوس - فَنُقّي، ثمّ أصابه آكِل - أي السوس - فَنُقِّي حتّى بقي منه ما لا يضرّه الآكِل، وكذلك شيعتنا يميزون ويمحّصون حتّى تبقى منهم عصابة لا تضرّها الفتنة». وفي رواية أُخرى عن منصور الصيقل، قال: دخلت على أبي جعفر الباقر عليه السلام وعنده جماعة، فبينا نحن نتحدّث وهو على بعض

أصحابه مقبل، إذ التفت إلينا وقال: «في أي شيء أنتم، هيهات هيهات، لا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتّى تمحّصوا. هيهات، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتّى تميّزوا، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتّى تغربلوا، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم إلاّ بعد إياس، ولا يكون الذي تمدّون إليه أعناقكم حتّى يشقى من شقى، ويسعد من سعد»، ويستفاد منها الحذر من الخفّة والانجرار وراء كلّ مدّعي وذلك بسبب قلّة الصبر والضعف عن الثبات في الفتن لقلّة البصيرة.

الدليل الرابع:

قيام الضرورة لدى الطائفة الإماميّة وتسالمهم على انقطاع النيابة الخاصّة والسفارة، فهو من ضرورة المذهب، حتّى إنّ علماء الطائفة حكموا بضلال المدّعين للسفارة ولعنهم والتبرّي منهم، والطرد لهم عن الطائفة، وهذا الموقف تبعاً لما صدر من التوقيعات من الناحية المقدّسة حول بعضهم. وإليك بعض أقوالهم:

الأوّل: قال الشيخ سعد بن عبد الله الأشعري القمّي - وقد كان معاصراً للإمام العسكري، وكان شيخ الطائفة وفقيهها - في كتابه المقالات والفِرق بعد أن بيّن لزوم الاعتقاد بغيبة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وانقطاع الارتباط به: «فهذه سبيل الإمامة، وهذا المنهج الواضح، والغرض الواجب اللازم الذي لم يزل عليه الإجماع من الشيعة الإماميّة المهتدية، وعلى ذلك إجماعنا إلى يوم مضى الحسن بن عليّ رضي الله عنه

». وقريب من هذه العبارة ذكر متكلّم الطائفة وفيلسوفها الحسن بن موسى النوبختي.

الثاني: وحكى الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة عن الشيخ أبي القاسم بن محمّد بن قولويه -صاحب كتاب كامل الزيارات، وهو اُستاذ الشيخ المفيد، وكان زعيم الطائفة في وقته معاصراً للصدوق في أوائل الغيبة الكبرى -قال: «إنّ عندنا أنّ كلّ من ادّعى الأمر بعد السمري -وهو النائب الرابع -فهو كافر منمس، ضالّ مضلّ».

الثالث: الشيخ الصدوق في كتابه «إكمال الدين» في الباب الثاني والأربعين -ما روي في ميلاد القائم -وبعد ما ذكر نوّابه الأربعة، قال «فالغيبة التامّة هي التي وقعت بعد مضيّ السمري رضي الله عنه ».

ثمّ روى في الباب اللاحق توقيع الناحية بانقطاع السفارة والنيابة الخاصّة. وقد صرّح في أوّل كتابه أنّ الذي دعاه إلى تأليف الكتاب هو حيرة بعض الشيعة بسبب الغيبة، ووجدهم قد عدلوا عن طريق التسليم والتمسّك بالأخبار الواردة إلى الآراء والمقاييس. وقد صرّح الشيخ النعماني صاحب كتاب الغيبة -وهو معاصر للصدوق وتلميذ الكليني -في عدّة مواضع منه بانقطاع السفارة في الغيبة الكبرى، وقد تقدّم نبذة من كلماته واستدلاله بالروايات».

الرابع: وقال الشيخ المفيد في كتاب الإرشاد في باب ذكر القائم عجّل الله تعالى فرجه الشريف : «وله قبل قيامه غيبتان: إحداهما أطول من الاُخرى، كما جاءت بذلك الأخبار، فأمّا القصرى منهما منذ وقت مولده إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وعدم السفراء

بالوفاة. وأمّا الطولى فهي بعد الأُولى وفي آخرها يقوم بالسيف»، ونظير هذا التعبير صرّح به الطوسي في الغيبة. وقد تظافرت كلمات علماء الإماميّة في كتبهم ممّا يجدها المتتبّع في مظانّها. بل إنّ علماء سنة الخلافة وجماعة السلطان قد اشتهر بينهم عن الإماميّة ذلك، وأخذوا يصيغون الإشكالات بانعدام الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف مع انقطاعه عن شيعته في أكثر كتبهم الكلاميّة والمؤلّفة في الملل والمذاهب. وهذه الضرورة القائمة عند الطائفة الإماميّة توالت عليها أجيالها قرناً بعد قرن، ودأبت الطائفة في إقصاء وطرد جماعات الانحراف أدعياء السفارة كلّما ظهر لهم راية.

هذا ومقتضى الأدلّة السابقة هو بطلان مدّعي النيابة الخاصّة وأدعياء السفارة، ومن يزعم أي صفة رسميّة خاصّة للتمثيل عن الإمام المنتظر عليه السلام إلى سماع النداء والصيحة من السماء، واستيلاء السفياني على الشام.

الوظائف الاعتقاديّة في غيبة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف

الوظيفة الأولى: معرفته عجّل الله تعالى فرجه الشريف

«اللَّهمّ عرّفني نَفْسَكَ فَانَّكَ إنْ لَمْ تَعرّفْني نَفْسَكَ لَمْ أعرِفْ نَبِيّك، اللَّهُمَّ عَرّفُني رَسَولَكَ فَإنَّكَ إن لَمْ تُعرّفْني رَسولَكَ لَمْ أعرفْ حُجّتَك، اللَّهُمّ عَرّفْني حَجّتَكَ فَإنَّكَ إن لَمْ تُعرّفْني حُجّتَكَ ضَلَلْتُ عَن ديْني»«١».

إن الوظيفة الاعتقادية الأولى للمكلف في غيبة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف هي معرفته، والمعرفة تكون من خلال تشخيصه، وإدارك معنى إمامته، ومعنى أنه إمام مفترض الطاعة، ففي الرواية عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: إنما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً قلت: جعلت فداك فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عزّ وجلّ وتصديق رسوله صلّى الله عليه وآله وموالاة علي عليه السلام والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم عليهم السلام والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم، هكذا يعرف الله عزّ وجلّ.

«١» الكافي، الكليني، دار الكتب الإسلامية، آخوني، الطبعة الثالثة، ابن بابويه، علي، فقه الرضا عليه السلام، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، ج ١ ص ٣٣٧.

وكذلك يكون من خلال إدراك أنه المنقذ للبشرية ورواد الإنسانية إلى جادة الدين المستقيمة، ومعيد الحق إلى أهله، وأنه المظهِرُ لأحكام الله وشرائعه، كما ورد في زيارة آل ياسين: السَّلامُ عَلَيكَ يَا بَابَ اللهِّ وَديّانَ دينهِ، السَّلامُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ اللهِّ وَنَاصِرَ حَقِّهِ، السَّلأمُ عَلَيْكَ يَا حُجَّةَ اللهِّ وَدَليلَ إرادَتِهِ، السَّلأمُ عَلَيْكَ يَا تَالِيَ كِتَابِ اللهِّ وتَرجُمانَهُ .

الوظيفة الثانية: الثبات على القول بإمامته

في الرواية عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله تعالى عليه يقول: "لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: ٥٩] قلت: يا رسول الله عرفنا الله و رسوله فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك ؟ قال: هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين بعدي، أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي، ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للايمان. قال: فقال جابر: يا رسول الله فهل ينتفع الشيعة به في غيبته ؟ فقال ﷺ : إي والذي بعثني بالنبوة إنهم لينتفعون

به: يستضيؤون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس، وإن جللها السحاب، يا جابر هذا مكنون سر الله، ومخزون علمه فاكتمه إلا عن أهله «١».

والمستفاد من الرواية الشريفة أن المؤمنين في عصر الغيبة، في ابتلاء وامتحان شديد، وسيتخلى عن القول بإمامة الحجة عليه السلام الكثير من الناس، وسيثبت آخرون على الاعتقاد به، وما سبب هذا إلا كثرة الامتحانات، من الدعوات الباطلة والمشككين وكثرة الابتلاءات مع قلة الصبر على طول الغيبة.

وقد ورد في الرواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : يا منصور إن هذا الأمر لا يأتيكم إلا بعد إياس لا والله حتى تميزوا، لا والله حتى تمحصوا، لا والله حتى يشقى من يشقى، ويسعد من يسعد «٢».

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام : "إنَّ لصاحبِ هذا الأمرِ غيبة، المتمسك فيها بدينه كالخارط للقتاد«٣» ثم قال هكذا بيده ثم قال: إن لصاحب هذا الأمر غيبة فليتق الله عبد وليتمسك بدينه «٤».

فهذه الفترة الطويلة من الغيبة الكبرى إنما هي امتحان وتمحيص من الله تعالى للمؤمنين ليتبين منهم الخلص ويصفَى القليلُ منهم ففي الرواية عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ، قال: "إذا فقد الخامس من ولدِ السابع من الأئمة

«١» بحار الانوار، محمد باقر ، مصدر سابق ، ج ٣٦ ،ص ٢٥٠.

«٢» المصدر، ج ٥٢ ص ١١١.

«٣» " القتاد " شجرٌ عظيمٌ له شوكٌ مثل الإبر و " خرط القتاد " يضرب مثلاً للأمور الصعبة .

«٤» بحار الانوار، محمد باقر ، مصدر سابق، ج ٥٢ ، ص ١١١.

فالله الله في أديانكم لا يزيلنَّكُم عنها أحد، يا بني إنه لا بدَّ لصاحب هذا الأمر من غيبة، حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنما هي محنةٌ من الله امتحن الله بها خلقه «١».

وقد عبرت بعض الروايات الشريفة عن هذا الأمر بالغربلة، فإن الناس ستغربل كما الحبوب ليبقى الصالح منها، ويرمى الفاسد ففي الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام : والله لتميَّزن و الله لتمحَّصن والله لتُغربلُن كما يُغربَل الزُؤان من القَمح «٢».

نسأل الله تعالى أن يجعلنا مصداقاً للحديث المروي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام قال: "يا علي أعجب الناس إيماناً وأعظمهم يقيناً قوم يكونون في آخر الزمان، لم يلحقوا النبي صلى الله عليه وآله وحجب عنهم الحجة فآمنوا بسواد على بياض «٣».

الوظيفة الثالثة: البراءة من أعدائه

فلا يكفي أن أوالي من فرض الله طاعته من دون البراءة من عدوه، وهذا الأمران متساويان في الأهمية ولا بد من اكتمالهما معا لتحقيق الإعتقاد الصحيح، وهذا ما نلمسه في زيارة آل ياسين: يا مولاي شقي من خالفكم وسعد من أطاعكم.

«١» المصدر ، ج ٥٢ ، ص ١١٣.

«٢» المصدر ، ج ٥٢ ، ص ١١٤.

«٣» وسائل الشيعة، محمد بن الحسن ، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ. ق، ج ٢٧، ص ٩٢.

فاشهد على ما أشهدتك عليه، وأنا ولي لك بريء من عدوك، فالحق ما رضيتموه، والباطل ما أسخطتموه، والمعروف ما أمرتم به. والمنكر ما نهيتم عنه، فنفسي مؤمنة بالله وحده لا شريك له، وبرسوله، وبأمير المؤمنين، وبأئمة المؤمنين وبكم يا مولاي. أولكم وآخركم، ونصرتي معدة لكم، فمودتي خالصة لكم آمين آمين «١».

«١» راجع مفاتيح الجنان، زيارة آل يس.

الوظائف العملية في غيبة الامام المهدي عجل الله فرجه الشريف

الوظيفة الاولى: الإنتظار

من الانتظار ها هنا الترقب لظهوره الشريف ليملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ففي الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: "أفضل العبادة الصبر وانتظار الفرج"«١» .

وفي حديث آخر عن الصادق عليه السلام أنه قال: "من مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كمن هو مع القائم في فسطاطه"«٢» .

والمراد من الانتظار المعنى الإيجابي الذي يدفع الانسان نحو تهيئة الأرض وتأمين الظروف المساعدة على تحقيق العدالة الإلهية الكاملة، من خلال توفير الظروف وتجهيز الأنصار، وليس المراد التخلي عن المسؤولية والجلوس في المنزل، ولا ترك الدنيا وأهلها ليعيث المفسدون فيها فساداً، فالانتظار لا يسقط وجوب الأمر

«١» تحف العقول، الحراني، ابن شعبة ، الطبعة : الثانية ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ص٢٠١.

«٢» بحار الانوار، محمد باقر ، مصدر سابق ، ج ٥٢- ص ١٢٦ ح١٨.

بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يسقط وجوب دفاع المسلمين عن ديارهم وكراماتهم.

ويقول الشيخ الصافي الكلبايكاني قدس سره : "وليعلم أنَّ معنى الإنتظار ليس تخلية سبيل الكفار والأشرار، وتسليم الأمور إليهم، والمراهنة معهم، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإقدامات الإصلاحية، فإنه كيف يجوز إيكال الأمور إلى الأشرار مع التمكن من دفعهم عن ذلك، والمراهنة معهم، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها من المعاصي التي دلّ عليها العقل والنقل وإجماع المسلمين.

ولم يقل أحد من العلماء وغيرهم بإسقاط التكاليف قبل ظهوره، ولا يرى منه عين ولا أثر في الأخبار. نعم. تدل الآيات والأحاديث الكثيرة على خلاف ذلك، بل تدل على تأكد الواجبات والتكاليف والترغيب إلى مزيد الاهتمام في العمل بالوظائف الدينية كلها في عصر الغيبة"«١» .

الوظيفة الثانية: تكذيب المدعين نيابته الخاصّة

إن النيابة الخاصة تكون من قبل الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف كانت في زمن السفراء الأربعة رحمهم الله تعالى في الغيبة الصغرى،وقد ورد في التوقيع الصادر عن الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف تكذيب كل من أدعى أنه نائب خاص له، ففي الرواية حدثنا أبو محمد الحسن بن أحمد المكتب قال: كنت بمدينة السلام في السنة التي توفي فيها الشيخ علي بن محمد

«١» منتخب الأثر، لطف الله الصافي، ص ٤٩٩ - ٥٠٠ هامش.

السمري ﭭ فحضرته قبل وفاته بأيام فأخرج إلى الناس توقيعاً نسخته:" بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري أعظم الله أجر إخوانك فيك فإنك ميت ما بينك وبين ستة أيام فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة الثانية، فلا ظهور إلا بعد إذن الله عز وجل وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جورا، وسيأتي شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"«١» .

الوظيفة الثالثة: تكذيب الوقّاتين

والوقّات هو الذي يعيّن وقتاً محدداً لظهور الإمام الحجة، فقد وردت الكثير من الروايات التي تؤكد على تكذيب الموقِّتين لظهوره المبارك ﷻ، منها ما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: "من وقَّت لكَ من الناس شيئا فلا تهابنَّ أن تكذِّبه، فلسنا نوقت لأحد وقتاً "«٢» .

وفي رواية أخرى عن عبد الرحمن ابن كثير قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه مهزم، فقال له: جعلت فداك أخبرني عن هذا الأمر الذي ننتظر، متى هو ؟ فقال: "يا مهزم كذب الوقَّاتون وهلك المستعجلون ونجا المسلمون "«٣».

«١» كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، ص ٥١٦.

«٢» بحار الانوار، محمد باقر ، مصدر سابق ، ج ٥٢ ،ص ١٠٤ .

«٣» الكافي، الكليني، ج ١ ص ٣٦٨.

وقد سئل أهل البيت عليهم السلام مراراً عن الوقت المعين من الله تعالى لظهوره المبارك فرفضوا أن يبينوا الأمر، من ذلك ما روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: سألته عن القائم عليه السلام فقال: "كذب الوقاتون، إنَّا أهلُ بيتٍ لا نوقِّت"«١» .

ومحصّل ما في الأمر أن العلم بظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف عند الله تعالى، وحال ظهوره كحال قيام الساعة، كما في الرواية المروية في عيون أخبار الرضا عليه السلام : الهمداني، عن علي، عن أبيه، عن الهروي قال: سمعت دعبل ابن علي الخزاعي يقول: أنشدت مولاي علي بن موسى الرضا عليه السلام قصيدتي التي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصاتِ

فلما انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسمِ الله والبركاتِ
يميز فينا كل حق وباطل ويجزي على النعماء والنقماتِ

بكى الامام الرضا عليه السلام بكاءً شديداً ثم رفع رأسه إلي فقال لي: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين، فهل تدري من هذا الإمام؟ ومتى يقوم؟ فقلت: لا يا مولاي، إلا أني سمعت بخروج إمام منكم يطهِّر الأرض من الفساد ويملأها عدلاً، فقال: يا دعبل الإمام بعدي محمد ابني، وبعد محمد ابنه علي وبعد علي ابنه الحسن، وبعد الحسن ابنه الحجَّة القائم المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيملاها عدلاً

«١» المصدر.

كما ملئت جوراً، وأما متى؟ فإخبارٌ عن الوقت، ولقد حدثني أبي عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قيل له يا رسول الله متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مثله مثل الساعة ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ ﴾ [الأعراف: ١٨٧]«١» .

الوظيفة الرابعة: إظهار العلماء لعلمهم في غيبته عجل الله تعالى فرجه الشريف

فعلى العلماء ان يتصدوا لبيان الدين ونشره، وتلبية حاجات المؤمنين واحتضانهم، ورعاية شؤونهم أو يقوموا بالدور الكامل لسد الفراغ الحاصل من غيبة الإمام سواء في ذلك الجانب العلمي والثقافي بما يوجد من تحديات ومستجدات على هذا المستوى، والجانب العملي من خلال حثهم وتوجيههم ليكونوا من عباد الله تعالى الصالحين والحاضرين لنصرة إمامهم عند لحظة ظهوره عجل الله تعالى فرجه الشريف ، وقد جاء في الرواية عن الإمام الجواد عليه السلام : "من تكفل بأيتام آلـ محمد المنقطعين عن إمامهم المتحيرين في جهلهم، الأسراء في أيدي شياطينهم، وفي أيدي النواصب من أعدائنا فاستنقذهم منهم، وأخرجهم من حيرتهم، وقهر الشياطين بردِّ وساوسهم، وقهر الناصبين بحجج ربهم ودليل أئمتهم ليفضلون عند الله تعالى على العباد بأفضل المواقع بأكثر من فضل السماء على الأرض والعرش والكرسي

«١» بحار الأنوار، المجلسي،محمد باقر، مصدر سابق، ج ٤٩ ، ص ٢٣٨ ، والآية الشريفة من سورة الأعراف، ١٨٧ .

والحجب على السماء، وفضلهم على هذا العابد كفضل القمر ليلة البدر على أخفى كوكب في السماء"«١» .

وفي رواية أخرى عن الإمام العسكري عليه السلام : "لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا عليه السلام من العلماء الداعين إليه، والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته ومن فخاخ النواصب لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة، كما يمسك صاحب السفينة سكانها أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل "«٢» .

ولأجل أهمية ما يقوم به العلماء في زمن الغيبة من تثقيف للناس وإنقاذ لنفوسهم من أخطار التشكيك والمنحرفين، كان الثواب لهم بمقدار هذه الأهمية، ففي الرواية عن الإمام العسكري عليه السلام : "تأتي علماء شيعتنا القوامون بضعفاء محبينا وأهل ولايتنا يوم القيامة والأنوار تسطع من تيجانهم على رأس كل واحد منهم تاج بهاء، قد انبثَّت تلك الأنوار في عرصات القيامة، ودورها مسيرة ثلاثمائة ألف سنة، فشعاع تيجانهم ينبث فيها كلها فلا يبقى هناك يتيم قد كفلوه، ومن ظلمة الجهل أنقذوه، ومن حيرة التيه أخرجوه، إلا تعلق بشعبة من أنوارهم فرفعتهم إلى العلو حتى يحاذي بهم فوق الجنان..."«٣» .

«١» المصدر، ج ٢ ، ص ٦.

«٢» المصدر.

«٣» المصدر ، ج ٢ ص ٧.

ولا يقتصر هذا الدور على العلماء بل على كل من يقدر على إعانة المؤمنين، فعن الإمام الكاظم عليه السلام: "من أعان محبًّا لنا على عدو لنا فقواه وشجعه حتى يخرج الحق الدال على فضلنا بأحسن صورته، ويخرج الباطل الذي يروم به أعداؤنا ودفع حقنا في أقبح صورة، حتى ينبه الغافلين، ويستبصر المتعلمون، ويزداد في بصائرهم العالمون، بعثه الله تعالى يوم القيامة في أعلى منازل الجنان، ويقول: يا عبدي الكاسر لأعدائي، الناصر لأوليائي، المصرح بتفضيل محمد خير أنبيائي، وبتشريف علي أفضل أوليائي، ويناوي من ناواهما، ويسمى بأسمائهما وأسماء خلفائهما ويلقب بألقابهم..."«١» .

الوظيفة الخامسة: أداء الحقوق الشرعية

والمقصود بالحقوق، الحقوق المالية التي تجب على المكلف كالخمس والزكاة. وقد أشار الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف لهذه الحقوق في أحد تواقيعه«٢» المباركة حيث يقول: "ونحن نعهد إليك أيها الولي المخلص المجاهد فينا الظالمين أيدك الله بنصره الذي أيد به السلف من أوليائنا الصالحين، أنه من اتقى ربه من إخوانك في الدين وأخرج مما عليه إلى مستحقيه، كان آمنا من الفتنة المبطلة، ومحنها المظلمة المظلة

«١» المصدر، ج ٢، ص ١٠.

«٢» من توقيعه المبارك للشيخ المفيد والذي يخاطبه فيه بقوله: "للأخ السديد، والولي الرشيد، الشيخ المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان أدام الله إعزازه، من مستودع العهد المأخوذ على العباد".

ومن بخل منهم بما أعاده الله من نعمته على من أمره بصلته، فإنه يكون خاسرا بذلك لأولاه وآخرته"«١» .

الوظيفة السادسة: عدم قسوة القلوب لطول الغيبة

فقد يقسو قلب المرء بسبب طول انتظاره، وقلة ذكر الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف ، والمطلوب أن نحافظ على لين هذه القلوب والابتعاد عمّا يورث قسوتها، ففي الرواية عن أبي جعفر الثاني أي الإمام الجواد عليه السلام ، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام : " للقائم منَّا غيبةٌ أمدها طويل،كأني بالشيعة يجولون جولان النعم في غيبته يطلبون المرعى فلا يجدونه، ألا فمن ثبت منهم على دينه ولم يقس قلبه لطول أمد غيبة إمامه فهو معي في درجتي يوم القيامة، ثم قال عليه السلام : إن القائم منَّا إذا قام لم يكن لأحد في عنقه بيعة فلذلك تخفى ولادته ويغيب شخصه "«٢» .

كيف تلين القلوب؟

وبالمناسبة نذكر أهم الأمور المساعدة على تليين القلوب لالتزامها:

١ . الحضور وإحياء ذكرى الإمام والمجالس التي تذكر به وتدعو لمحبته، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله : " من أحيا ليلة العيد وليلة النصف من شعبان لم يمت قلبه يوم يموت القلوب"«٣» .

«١» الاحتجاج، الطبرسي ، دار النعمان للطباعة والنشر ، النجف الأشرف، ج ٢ ،ص ٣٢٥.

«٢»بحار الانوار، المجلسي ، محمد باقر ، مصدر سابق، ج ٥١ ، ص ١١٠ .

«٣» وسائل الشيعة ، الحر العاملي ، محمد بن الحسن ، مصدر سابق ،ج ٧ ، ص ٤٧٨.

٢. مجالسة العلماء فقد جاء في وصية لقمان الحكيم لابنه: "يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحي القلوب بنور الحكمة كما يحي الأرض بوابل السماء "«١» .

٣. زيارة القبور، والتفكر عندها بالآخرة، كما في الرواية التي تحدثنا عن أمير المؤمنين عليه السلام لما مر على المقابر فقال عليه السلام : "السلام عليكم يا أهل القبور أنتم لنا سلف، ونحن لكم خلف، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أما المساكن فسكنت، وأما الأزواج فنكحت، وأما الأموال فقسمت، هذا خبر ما عندنا، فليت شعري ما خبر ما عندكم؟ ثم قال: أما إنهم إن نطقوا لقالوا: وجدنا التقوى خير زاد"«٢» .

٤. إعانة المحتاجين والتحنّن عليهم، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله لما شكا إليه رجل قساوة قلبه: "إذا أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم"«٣» ،«٤»

«١» ميزان الحكمة ،الريشهري، محمد، مصدر سابق، ج١ ، ص ٤٠٢.

«٢» المصدر، ج ٢ ،ص ١٢٠٠.

«٣» المصدر، ج ٣ ،ص ٢٦١٥.

«٤» ثمانية عشر وظيفة في زمن الغيبة، سلسلة بين يدي القائم عجل الله فرجه، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

التمهيد لظهور الإمام المهدي ﷻ

من الوظائف المهمة الواجب علينا في زمن الغيبة الالتزام بها والحث عليْه هي:

الوظيفة الاولى: المحافظة على الأخلاق والالتزام

إن عصر الغيبة الكبرى عصر مليء بالمفاسد والمغريات، وفضلا عن كل هذا، إننا لم نر الإمام المعصوم عليه السلام بأم العين، ونعتقد به ونؤمن بوجوده، وأنه سيظهر في يوم لا نعلمه، وعلينا لكي نكون من المرضي عنهم عنده ﷻ أن نلتزم بكل أحكام الدين والصفات التي وصف الله تعالى بها المؤمنين، فالمثابرة على الطاعات والإلتزام الكلي بالأحكام الإلهية هو من أهم الوظائف.

وأي عبارة أهم من الكلمة الواردة في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام : إنَّ لنا دولةً يجيء الله بها إذا شاء، ثم قال عليه السلام : من سرَّه أن يكون من أصحاب القائم ﷻ فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق، وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده كان له من الأجر مثل أجر من أدركه، فجدّوا وانتظروا هنيئاً لكم أيتها العصابة المرحومة «١».فهنيئاً لمن كان موضعاً لرحمة الله تعالى.

«١» بحار الأنوار ، المجلسي ، محمد باقر ، ج ٥٢ ص ١٤٠

الوظيفة الثانية: التوبة إلى الله تعالى

والتوبة إلى الله تعالى من الذنوب التي نبتلى بها على ارتباط وثيق بطول غيبته عليه السلام عنا، فقد ورد في التوقيع المبارك عنه عجل الله تعالى فرجه الشريف: فما يحبسنا عنهم إلا ما يتصل بنا مما نكرهه، ولا نؤثره منهم، والله المستعان، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلواته على سيدنا البشير النذير، محمد وآله عليهم السلام «١».

والمراد من التوبة هنا التوبة الحقيقة لا مجرد اللقلقة باللسان بذكر استغفر الله، التوبة بالقول والعمل، وقد بيّنت الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام شرائطها: إنَّ الإستغفار درجة العليين وهو اسم واقع على ستة معان: **أولها** الندم على ما مضى **والثاني** العزم على ترك العود إليه أبدا **والثالث** أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله سبحانه أملس ليس عليك تبعة **الرابع** أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها **الخامس** أن تعمد إلى اللحم الذي تنبّت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد باللحم وينشأ بينهما لحمٌ جديد **السادس** أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية" «٢»

وقد أشار صاحب وظيفة الأنام إلى مسألةٍ غايةٍ في الأهمية، وهي الالتفات إلى وساوس الشيطان الذي يتربص بالتائب إلى الله، حيث يقول: فانتبه إلى نفسك، ولا تقل: وعلى فرض أنّي أتوب ولكن الناس لا يتوبون فيستمر الإمام عليه السلام في غيبته فذنوب الجميع تؤدي إلى غيبته وتأخّر ظهوره! فأقول: إن كان جميع الخلق

«١» المصدر، ج ٥٣ ص ١٧٨

«٢» الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب، ابن بابويه، علي، فقه الرضا، ج٢ ص ٤٣١.

سبباً لتأخير ظهوره عليه السلام فالتفت إلى نفسك فلا تكون شريكاً معهم في ذلك، فأخشى أن يصبح حالك تدريجاً كحال هارون الرشيد في حبسه للإمام موسى الكاظم عليه السلام ، وحبس المأمون للرضا عليه السلام في "سرخس"، أو حبس المتوكّل للإمام علي النقي عليه السلام في "سامراء"!.

ونعوذ بالله تعالى من أن يصير بنا الأمر لنقاس بمن وصل في أذيته لإمام زمانه إلى حد السجن والقتل، لذا نسأل الله تعالى أن يجنبنا الذنوب ويعطينا القوة للثبات على طاعته والبعد عن معصيته الموجبة لسخطه، وتأخر نزول رحمته بظهور وليِّه الغائب المستور أرواحنا له الفداء.

الوظيفة الثالثة: المرابطة

والمرابط في سبيل الله تعالى على نوعين:

١. المرابطة المعروفة بين الناس هي الذهاب إلى الثغور والبقاء هناك على يقظة لحفظ حدود بلاد الإسلام من الغزاة، وهذه المرابطة هي النوع الأول وقد جاء في فضلها الكثير من الروايات الشريفة منها ما روي عن رسول الله الأكرم صلى الله عليه وآله : رباط يوم في سبيل الله خـــير من الدنيا وما عليْه «١»

وهذه المرابطة من الأعمال التي تجر الخير لفاعلها إلى ما بعد الموت، فهي كالصدقة الجارية، ففي الرواية عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله : "كل عمل منقطع عن صاحبه إذا

«١» ميزان الحكمة ،الريشهري، محمد، ج ١ ص ٤٤٩.

مات إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله ويجرى عليه رزقه إلى يوم القيامة" «١»

واقل المرابطة هذه ثلاثة أيام، ولو زادت عن الأربعين يومها عد المرابط مجاهداً في سبيل الله تعالى ففي الرواية عن أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق عليهما السلام : " الرباط ثلاثة أيام، وأكثره أربعون يوماً، فإذا جاوز ذلك فهو جهاد" «٢»

٢. وأما النوع الثاني من المرابطة فهو يختص بمنتظري صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف ، وكيفيته أن يعد الإنسان نفسه وسلاحه لظهوره المبارك، ويكون على استعدادٍ دائم لنصرته، ففي الرواية عن أبي عبد الله الجعفي رحمه الله قال: قال لي أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام : "كم الرباط عندكم ؟ قلت: أربعون قال: لكن رباطنا رباط الدهر، ومن ارتبط فينا دابة كان له وزنها ووزن وزنها ما كانت عنده، ومن ارتبط فينا سلاحا كان له وزنه ما كان عنده، لا تجزعوا من مرة ولا من مرتين ولا من ثلاث ولا من أربع، فإنما مثلنا ومثلكم مثل نبي كان في بني إسرائيل فأوحى الله عز وجل إليه أن ادع قومك للقتال فإني سأنصرك فجمعهم من رؤوس الجبال ومن غير ذلك ثم توجه بهم فما ضربوا بسيف ولا طعنوا برمح حتى انهزموا، ثم أوحى الله تعالى إليه أن ادع قومك إلى القتال فإني سأنصرك، فجمعهم ثم

«١» المصدر.

«٢» وسائل الشيعة، الحر العاملي، محمد بن الحسن، ج ١٥ ،ص ٢٩.

توجه بهم فما ضربوا بسيف ولا طعنوا برمح حتى انهزموا، ثم أوحى الله إليه أن ادع قومك إلى القتال فإني سأنصرك فدعاهم فقالوا: وعدتنا النصر فما نصرنا فأوحى الله تعالى إليه إما أن يختاروا القتال أو النار، فقال: يا رب القتال أحب إلي من النار فدعاهم فأجابه منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر عدة أهل بدر فتوجه بهم فما ضربوا بسيف ولا طعنوا برمح حتى فتح الله عز وجل لهم" «١».

- وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قولة تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] قال عليه السلام :اصبروا على المصائب، وصابروا على الفرائض، ورابطوا على الأئمة «٢».
- وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية السابقة قال عليه السلام: اصبروا على أداء الفرائض وصابروا عدوكم ورابطوا إمامكم المنتظر «٣».

«١» الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ابن بابويه، علي، فقه الرضا-، ج ٨ ص ٣٨٢

«٢» مكيال المكارم، محمد تقي الأصفهاني، ج ٢ ص ٣٩٨

«٣» المصدر.

الوظيفة الرابعة: الدعاء بتعجيل الفرج

فقد ورد في مكاتـــبة له ﷺ وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج، فإن ذلك فرجــكم «١».

بل نجد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: ومن قال أيضاً عقيب ظهر الجمعة سبع مرات: اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرج آل محمد كان من أصحاب القائم عليه السلام «٢».

وهذا ما نلاحظه في العديد من الأدعية أيضاً كدعاء العهد: اللهم واكشف هذه الغمة عن هذه الأمة بحضوره، وعجل لنا فرجه وظهوره، إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً.

«١» بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر، ج ٢٣، ص ١٢٨

«٢» معجم أحاديث الإمام المهدي ﷺ ، الشيخ علي الكوراني العاملي ، ج ٤ ، ص ١١٤ .

كيفية الارتباط بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف

الوظيفة الاولى: صلة الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف

والمراد بصلته عليه السلام ، أن يأخذ المرء من ماله ويدفعه هدية عن الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف ، ففي الرواية عن مفضل بن عمر قال: "دخلت على أبي عبد الله عليه السلام يوماً ومعي شيء فوضعته بين يديه، فقال: ما هذا؟ فقلت: هذه صلة مواليك وعبيدك قال: فقال لي: يا مفضل إني لأقبل ذلك، وما أقبل من حاجة بي إليه، وما أقبله إلا ليزكوا به. ثم قال: سمعت أبي عليه السلام يقول: من مضت له سنةٌ لم يصلنا من ماله قل أو كثر، لم ينظر الله إليه يوم القيامة إلا أن يعفو الله عنه ثم قال: يا مفضل إنها فريضةٌ فرضها الله على شيعتنا في كتابه إذ يقول:﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٢] ، فنحن البرُّ والتقوى، وسبيل الهدى، وباب التقوى، لا يحجب دعاؤنا عن الله، اقتصروا على حلالكم و حرامكم، فسلوا عنه، وإياكم أن تسألوا أحداً من الفقهاء عمّا لا يعنيكم وعمّا ستر الله عنكم «١».

«١» بحار الأنوار، المجلسي، محمد باقر المجلسي، ج ٩٣، ص ٢١٦.

وفي تفسير العيَّاشي: روى أصحابنا أنه سئل أبو عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ ﴾ [الرعد: ٢١] ، قال: هو صلة الإمام في كل سنة مما قل أو كثر، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : وما أريد بذلك إلا تزكيتكم «١».

وقد تحدثت الكثير من الروايات الشريفة عن الأجر الذي يناله المؤمن من صلته للإمام عليه السلام ، ففي الرواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من وصل أحداً من أهل بيتي في دار هذه الدنيا بقيراط كافيته يوم القيامة بقنطار «٢».

هذا في الآخرة أما في الدنيا فلصلة الإمام عليه السلام أثر في غاية الأهمية وهو قضاء الحوائج، فمن كانت له حاجة إلى الله تعالى فليتقرب إليه بصلة أوليائه المعصومين، ولا سيما إمامنا القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف ، فعن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام : لا تدعوا صِلة آل محمَّد من أموالكم من كان غنياً فعلى قدرِ غناه، ومن كان فقيراً فعلى قدرِ فقره، ومن أراد أن يقضي الله أهمَّ الحوائج إليه فليصِلْ آل محمَّد وشيعتَهُم بأحوجِ ما يكون إليه من ماله «٣».

وقد يطرأ السؤال التالي كيف نوصل هديتنا للإمام الغائب المحجوب عنا عجل الله تعالى فرجه الشريف؟

«١» المصدر، ج ٩٣، ص ٢١٦.

«٢» المصدر، ج ٩٣، ص ٢١٥.

«٣» المصدر ، ج ٩٣ ، ص ٢١٦.

والجواب عليْه أنه ينبغي أن يصرف المال المُهدَى إليه ﷺ في ما يحرز فيه رضاه، كأن ينفق في المجالس التي تحيي ذكره أو يطبع به الكتب التي تعرف الناس إليه، وتقربهم منه، أو يعطى لمواليه بعنوان الهدية عنه ﷺ.

الوظيفة الثانية: الارتباط القلبي به ﷺ

إن الحب والمودة أمر قلبي مأمور به الإنسان المؤمن تجاه أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما أشار إليه تعالى في الآية الكريمة ﴿ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةً نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الشورى: ٢٣]، وفي الرواية أن الله تعالى قال لرسوله الأكرم ﷺ: "يا محمد أتحب أن تراهم؟ قلت: نعم، قال: تقدَّم أمامك، فتقدمت أمامي وإذا عليٌّ بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والحجة القائم كأنه كوكب دري في وسطهم، فقلت: يا رب من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الأئمة وهذا القائم، يحلُّ حلالِي ويحرِّم حرامي وينتقم من أعدائي، يا محمد أحببه فإني أحبه وأحب من يحبه «١».

«١» المصدر، ج ٣٦، ص ٢٢٣.

وإذا تملكت المحبة في القلب، فلا بد أن تظهر على جوارح الإنسان وسلوكه وأعماله فتكون كما يأمر الإمام ويرضى الله تعالى، لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن أحب مطيع «١».

الوظيفة الثالثة: تجديد البيعة له عجل الله فرجه

وهي أن يعقد الإنسان المؤمن العزم في نفسه على مناصرة الإمام عليه السلام والقتال بين يديه في حال ظهوره، وأن يسمع له في الأمر والنهي، ويلقي بأزمة نفسه بين يديه. هذه البيعة الواردة في دعاء العهد المروي عن الإمام الصادق عليه السلام ، وفيه: اللهم إني أجدد له في صبيحة يومي هذا وما عشت من أيامي عهدا وعقدا وبيعة له في عنقي لا أحول عنها ولا أزول أبدا... اللهم اجعلني من أنصاره وأعوانه والذابين عنه والمسارعين إليه في قضاء حوائجه والممتثلين لأوامره والمحامين عنه والسابقين إلى إرادته والمستشهدين بين يديه... «٢».

الوظيفة الرابعة: الحج نيابةً عنه عجل الله فرجه

فقد روي أن أبا محمد الدعلجي كان له ولدان وكان من أخيار أصحابنا وكان قد سمع الأحاديث، وكان أحد ولديه على الطريقة المستقيمة وهو أبو الحسن كان يغسل الأموات وولدٌ آخر يسلك مسالك الأحداث في الإجرام، ودفع إلى أبي محمد حجة يحج بها عن صاحب الزمان عليه السلام، فدفع شيئاً منها إلى ابنه المذكور بالفساد وخرج إلى الحج فلما عاد حكى أنه كان واقفا بالموقف فرأى إلى جانبه

«١» المصدر، ج ٧٥ ،ص١٧٤.

«٢» المصدر، ج ٥٣ ، ص٩٥.

شابا حسن الوجه أسمر اللون، بذؤابتين مقبلا على شأنه في الابتهال والدعاء والتضرع، وحسن العمل فلما قرب نفر الناس التفت إلي فقال: يا شيخ أما تستحيي؟

فقلت: من أي شيءٍ يا سيدي؟

قال: يدفع إليك حجة عمن تعلم فتدفع منها إلى فاسق يشرب الخمر، يوشك أن تذهب عينك هذه -وأومأ إلى عيني -وأنا من ذلك إلى الآن على وجل ومخافة.

وسمع أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ذلك قال: فما مضى عليه أربعون يوماً بعد مورده حتى خرج في عينه التي أومأ إليها قرحة فذهبت «١» .

الوظيفة الخامسة: تقديمه ﷺ في الدعاء

وهذا ما يتضح لنا من خلال الشواهد الكثيرة فمن دعاء عرفة للإمام زين العابدين عليه السلام بعد أن مجد الله تعالى يقول: أَللَّهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَان بِإِمَام أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ وَّمَنَاراً فِي بِلادِكَ، بَعْدَ أَنْ وَصَلْتَ حَبْلَهُ بِحَبْلِكَ، وَجَعَلْتَهُ الذَّرِيعَةَ إِلَى رِضْوَانِكَ، وَافْتَرَضْتَ طَاعَتَهُ، وَحَذَّرْتَ مَعْصِيَتَهُ، وَأَمَرْتَ بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَالانْتِهَآءِ عِنْدَ نَهْيِهِ، وَألا يَتَقَدَّمَهُ مُتَقَدِّمٌ، وَلا يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ، فَهُوَ عِصْمَةُ اللائِذِينَ، وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ، وَعُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ، وَبَهَآءُ الْعَالَمِينَ. أَللَّهُمَّ فَأَوْزِعْ لِوَلِيِّكَ شُكْرَ مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَوْزِعْنَا مِثْلَهُ فِيهِ، وَآتِهِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً، وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً، وَأَعِنْهُ بِرُكْنِكَ الأَعَزِّ، وَاشْدُدْ أَزْرَهُ، وَقَوِّ عَضُدَهُ، وَرَاعِهِ

«١» المصدر، ج ٥٢ ،ص ٥٩.

بِعَيْنِكَ، وَاحْمِهِ بِحِفْظِكَ، وَانْصُرْهُ بِمَلائِكَتِكَ، وَامْدُدْهُ بِجُنْدِكَ الأَغْلَبِ وَأَقِمْ بِهِ كِتَابَكَ وَحُدُودَكَ، وَشَرَائِعَكَ وَسُنَنَ رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَأَحْيِ بِهِ مَا أَمَاتَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ مَعَالِمِ دِينِكَ، وَاجْلُ بِهِ صَدَأَ الْجَوْرِ عَنْ طَرِيقَتِكَ، وَأَبِنْ بِهِ الضَّرَّآءَ مِنْ سَبِيلِكَ، وَأَزِلْ بِهِ النَّاكِبِينَ عَنْ صِرَاطِكَ، وَامْحَقْ بِهِ بُغَاةَ قَصْدِكَ عِوَجاً، وَأَلِنْ جَانِبَهُ لأَوْلِيَآئِكَ، وَابْسُطْ يَدَهُ عَلَى أَعْدَائِكَ، وَهَبْ لَنا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَتَعَطُّفَهُ وَتَحَنُّنَهُ، وَاجْعَلْنَا لَهُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، وَفِي رِضَاهُ سَاعِينَ، وَإِلَى نُصْرَتِهِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهُ مُكْنِفِينَ، وَإِلَيْكَ وَإِلَى رَسُولِكَ صَلَواتُكَ اللَّهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذَلِكَ مُتَقَرِّبِينَ. أَللَّهُمَّ وَصَلِّ عَلَى أَوْلِيآئِهِمُ الْمُعْتَرِفِينَ بِمَقَامِهِمْ، الْمُتَّبِعِينَ مَنْهَجَهُمْ، الْمُقْتَفِيْنَ آثَارَهُمْ، الْمُسْتَمْسِكِينَ بِعُرْوَتِهِمْ، الْمُتَمَسِّكِينَ بِوَلاَيَتِهِمْ، الْمُؤْتَمِّينَ بِإِمَامَتِهِمْ، الْمُسَلِّمِينَ لأَمْرِهِمْ الْمُجْتَهِدِيْنَ فِي طاعَتِهِمْ، الْمُنْتَظِرِيْنَ أَيَّامَهُمْ، الْمَادِّينَ إِلَيْهِمْ أَعْيُنَهُمْ، الصَّلَوَاتِ الْمُبَارَكَاتِ الزَّاكِيَاتِ النَّامِيَاتِ الغَادِيَاتِ، الرَّائِحاتِ. وَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَرْوَاحِهِمْ، وَاجْمَعْ لَى التَّقْوَى أَمْرَهُمْ، وَأَصْلِحْ لَهُمْ شُؤُونَهُمْ، وَتُبْ عَلَيْهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَخَيْرُ الْغَافِرِينَ، وَاجْعَلْنَا مَعَهُمْ فِي دَارِ السَّلامِ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الراحمين ». «١»

«١» الصحيفة السجادية، دعاؤه عليه السلام في يوم عرفة.

واجبات أنصار الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف

إنّ وجود الأنصار والممهّدين الذين يعدّون العدّة لظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف ، وينصرونه حين ظهوره، هو من الأمور الهامّة في حركة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف . وسنتعرّض لعددٍ من الواجبات والمهام الملقاة على عاتق أنصار الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف «١» :

١ . واجب تقوية الروح والبدن

قوّة الروح والإيمان هي التي نصرة المؤمنين على جند الشيطان والطاغوت، ...أصلحوا أحوالكم على نحو ما تصلحون أبدانكم، ويجب أن نكون أقرب إليه عجل الله تعالى فرجه الشريف روحاً ومنزلة... .

٢. واجب السعي لتكامل الإنسان

يجب أن يترافق التعليم والتربية الإسلامية الصحيحة، فالتعليم بلا تربية لا فائدة فيه، بل ربّما ضرَّ أحياناً. والتربية لا تكون بلا تعليم، ولا تثمر، فهذان الاثنان: التربية والتعليم لا بدّ أن يقترنا ولا يفترقا، لأنّ الإنسان موجود ينمو بالتربية

«١» مقتبس من كتاب: من كتاب أمل الإنسان، سلسلة المسابقات الثقافية، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية لكن بتصرف لا يخل بالمضمون.

والتعليم... ولولا التربية والتعليم، لبقي الإنسان تَوأم الحيوان في حدِّ الحيوانية، وهو إذا لم يُرَبَّ، ولم يُعلَّمْ أسوأ من سائر الحيوانات.

٣. واجب العمل والقيام بالتكليف

إننا مكلّفون وليس صحيحاً أن نجلس في بيوتنا ونأخذ بأيدينا مسبحة ونردد دعاء «عجّل فرجه» زاعمين بأننا ننتظر ظهور إمام الزَّمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. إنّ التعجيل في الفرج سيتمّ بأعمالنا. علينا أن نوفر الأرضية المناسبة والإعداد للمّ شمل المسلمين ووحدتهم. وسيظهر «روحي فداه» إن شاء الله....

٤. واجب الاتّحاد ولزوم الجماعة

علينا أنْ نضع أيدينا بأيدي بعض كي نجد حلول المشاكل. أنا وحدي لا أستطيع، علماء الدين وحدهم لا يستطيعون، الحكومة وحدها لا تستطيع، أية فئة من فئات الشعب لا تستطيع وحدها أن تحلّ هذه المشاكل. ولكن «يد الله مع الجماعة». ... فلا ترتكبوا ما يؤدّي لا سمح الله إلى نقصان عناية الله بنا، لا ترتكبوا ما يؤدّي إلى إقلاق وليّ العصر، لا تتفرقوا ولا تبثّوا الفرقة فيما بينكم...

٥. واجب الارتباط المعنويّ

فيما يتعلّق بضرورة الارتباط العاطفيّ والمعنويّ والروحيّ بإمامنا العظيم وليّ الله المعصوم... إنّ هذا الإنسان الّذي اصطفاه الله، موجودٌ اليوم، ويجب أن نقوّي علاقتنا به من الناحية الشخصية والقلبيّة والروحيّة، بالإضافة إلى الجانب الاجتماعيّ والسياسيّ ...فليجعل كلّ واحدٍ من أبناء مجتمعنا توسّله بوليّ العصر

وارتباطه به، ومناجاته معه، وسلامه عليه، وتوجّهه إليه، تكليفاً وفريضةً وليدعُ له كما لدينا في الروايات وهو الدعاء المعروف «اللهمّ كن لوليّك» «١» ، «٢».

٦. واجب دفع الشبهات

كانت هناك فئة تؤمن بأنّ كلّ حكومة تقوم في عصر الغيبة هي حكومة باطلة وتتعارض مع الإسلام، وأمثال هؤلاء إن لم يكونوا ألعوبة، فهم أناس غرّتهم بعض الأحاديث الواردة بهذا الشأن نظير: إنّ أية راية ترفع قبل ظهور صاحب الأمر، هي راية باطلة. وكانوا يتصوّرون ذلك في أية حكومة. في حين أنّ أمثال هذه الأحاديث تشير إلى أنّ كل مَنْ رفع راية إلى جانب راية الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، تحت عنوان «المهدويّة»، فهو باطل.

لنفرض أن أمثال هذه الأحاديث موجودة. ألا يعني ذلك أن التكليف قد سقط عنّا؟ ألا يتعارض هذا مع ضروريات الإسلام، مع القرآن، بأن ندعو إلى ارتكاب المعاصي حتّى يأتي صاحب الأمر؟ لأجل أيّ شيء يأتي صاحب الأمر؟ يأتي لنشر العدل وبسط القسط، يأتي من أجل القضاء على الفساد. إننا إذا لم نَنْهَ عن المنكر ولا نأمر بالمعروف، ونعمل على إشاعة المعاصي، إنما نعمل خلافاً لنص القرآن الكريم. فعندما يأتي الإمام المنتظر ماذا يفعل؟ يأتي من أجل أداء هذه الأعمال.

«١» الكافي،الشيخ الكليني، ج.٤، ص١٦٢.

«٢» إنسان بعمر ٢٥٠سنةً ،الإمام السيد علي الخامنئي، ، ص٣٨٨-٣٨٩.

وفي الوقت الحاضر، أليس لدى الإنسان تكليف؟ هل تكليف الإنسان أن يدعو النّاس للفساد؟ إنّ علينا حسب تصوّر هذه الجماعة التي بعض أفرادها ألعوبة وبعضهم جهلة أنْ نجلسَ وندعوَ لصدَّام. وانّ كلّ من يدعو على صدام فإنّه يساعد في تأخير ظهور الإمام المهديّ. وإنّ الذين يدعون لصدام إنّما يفعلون ذلك كي يزداد الفساد. علينا أن ندعو لأميركا وللاتحاد السوفيتي ولأذنابهم من أمثال صدام كي يمتلئ العالم بالظلم والجور ويساعد ذلك في ظهور الإمام الحجة. وإذا ما ظهر الإمام يعمل على إزالة الظلم والجور. فما نقوم به وندعو لزيادة الظلم والجور، يأتي الإمام المهديّ ﷻ ويعمل على إزالته؟

إنجازات الإمام المهدي عليه السلام في غيبته

حركة الإمام عليه السلام في غيبته الكبرى تتمحور حول هدف التمهيد لظهوره والمساهمة في ازالة العلل الموجبة لغيبته، وعليه يمكننا القول بأنّه يعمل في سبيل ترشيد الأمة واستجماعها لخبرات أجيالها المتعاقبة، وفي سبيل إيصال الحق الى الجميع ودعم وتأييد العاملين من أجل نشر الإسلام النقي وحفظه، وهو يرعى عملية التمييز والتمحيص الإعدادي لجيل الظهور، ويكشف فشل المدارس الأخرى وعجزها عن تحقيق السعادة المنشودة للبشرية، ويساهم في حفظ روح الرفض للظلم ويحبط المساعي لقتلها. إنه عليه السلام يقوم بكل ذلك ولكن بأساليب خفية غير ظاهرة قد يتضح الكثير منها عند ظهوره كما يتضح دوره عليه السلام في الكثير من الحوادث الواقعة التي تصب في صالح تحقق الأهداف المتقدمة والتي لم تُعرف أسباب وقوعها أو أنّ ما عُرض من الأسباب لم يكن كافياً في تفسيرها...ومن مهامه عليه السلام في زمن الغيبة:

أولا: رعايته للكيان الإسلامي

يقول الإمام المهدي عليه السلام في رسالته الأُولى للشيخ المفيد قدس سره :... فإنّا نحيط علماً بأنبائكم ولا يعزب عنّا شيء من أخباركم، ومعرفتنا بالذل الذي أصابكم

مُذ جنح كثير منكم الى ما كان السلف الصالح عنه شاسعاً ونبذوا العهد المأخوذ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون. إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء وأصطلمكم الأعداء «١» .

إن الإمام يتابع أوضاع المؤمنين ويحيط علماً بالتطورات التي تحصل لهم ومحاولات الاستئصال والإبادة التي يتعرّضون لها ويتخذ الإجراءات اللازمة لدفع الأخطار عنهم بمختلف أشكالها، وهذه الرعاية هي أحد العوامل الأساسية التي تفسر حفظ أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام واستمرار وجودهم وتناميه على مدى الأجيال على الرغم من شدة الحملات التصفوية التي عرضوا لها والإرهاب الفكري الحاد الذي مورس ضدهم لقرون طويلة. فهذه التصفيات الجسدية والمحاربة الفكرية الواسعة التي شهدها التأريخ الإسلامي كانت قادرة ولا شك على إنهاء وجودهم جسدياً وفكرياً لولا الرعاية المهدوية.

ثانيا: حفظ الاسلام الصحيح وتسديد العمل الاجتهادي

إنّ الإمام المهدي عليه السلام يقوم أيضاً في غيبته الكبرى بحفظ الإسلام النقي الذي يحمله مذهب أهل البيت عليهم السلام، وهذه المهمة من المهام الرئيسة للإمامة، ومن مظاهر قيامه عليه السلام بها في غيبته تسديد العمل الاجتهادي للعلماء والفقهاء ومنع إجماعهم على باطل بطريقة أو بأخرى «٢».

«١» بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٥٣، ص ١٧٥.

«٢» لأن هذه الآثار والنصوص في الأحكام موجودة مع مَن لا يستحيل منه الغلط والنسيان، ومسموعة بنقل من يجوز عليه الترك والكتمان. وإذا جاز ذلك عليهم لم يؤمن وقوعه منهم إلاّ

وإمام الزمان عليه السلام وإن كان مستتراً عنهم بحيث لا يعرفون شخصه، فهو موجود بينهم، يشاهد أحوالهم ويعلم أخبارهم، فلو انصرفوا عن النقل، أو ضلّوا عن الحق لما وسعته التقية ولأظهره الله سبحانه ومنع منه الى أن يبين الحق وتثبت الحجة على الخلق «١».

والمقصود من الظهور هنا ليس الظهور العام بل المحدود لبعض العلماء وبالمقدار اللازم لتبيان الحق، وهذه من القضايا التي بحثها العلماء في باب الإجماع، فمثلاً يقول العلاّمة السيد محمد المجاهد في كتابه مفاتيح الأصول:... البناء على قاعدة اللطف التي لأجلها وجب على الله نصب الإمام فإنها تقضي ردهم لو اتفقوا على الباطل فإنه من أعظم الألطاف، فإن امتنع حصوله بالطرق الظاهرة فبالأسباب الخفية....

إن وجود الإمام عليه السلام في زمن الغيبة لطف قطعاً؛ فيثبت فيه كل ما أمكن؛ لوجود المقتضي وانتفاء المانع، وإن هذا اللطف قد ثبت وجوبه قبل الغيبة فيبقى بعده بمقتضى الأصل إضافة الى أن النقل المتواتر قد دل على بقائه.

بوجود معصوم يكون من ورائهم، شاهد لأحوالهم، عالم بأخبارهم، إن غلطوا هداهم، أو نسوا ذكّرهم أو كتموا علم الحق من دونهم

«١» راجع روايات الالتقاء به في عصر الغيبة الصغرى الموجودة في كتب الغيبة والتي جمع الكثير منها السيد البحراني في كتاب تبصرة الولي.

وقد ورد ذلك عن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام بألفاظ ومعان متقاربة، فعن النبي ﷺ: إنّ لكل بدعة يُكاذب بها الإيمان ولياً من أهل بيتي موكلاً يذب عنه ويعلن الحق ويرد كيـــد الكائدين «١».

- وعنه ﷺ وعن أهل البيت عليهم السلام أن فيهم في كل خلف عدولاً ينفون عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين «٢».
- وفي المستفيض عنهم عليهم السلام : إن الارض لا تخلو إلاّ وفيها عالم اذا زاد المؤمنون شيئاً ردهم الى الحق وإن نقصوا شيئاً تمم ذلك ولو لا ذلك لالتبس عليهم أمرهم ولم يفرقوا بين الحق والباطل«٣».
- وعن أمير المؤمنين عليه السلام في عدة طرق: اللَّهُمَّ إنك لا تخلي الارض من قائم بحجة إما ظاهر مشهور أو خائف مغمور لئلا تبطل حججك وبيناتك، وفي بعضها: لابد لأرضك من حجة لك على خلقك يهديهم الى دينك ويعلمهم علمك لئلا تبطل حجتك ولئلا يضل تُبّع أوليائك بعد إذ هديتهم به، إما ظاهر ليس بالمطاع أو مكتتم أو مترقب إن غاب عن الناس

«١» بحار الأنوار ، العلامة المجلسي ،ج ٢ ، ص ٣١٥،ح٧٩.

«٢» المصدر ،ج ٢٣ ، ص ٣٠، ح٤٦.

«٣»المصدر ،ج ٢٣ ، ص ٢١،ح١٩.

شخصه في حال هدايتهم فإنّ علمه وآدابه في قلوب المؤمنين مثبتة فيهم، بها عاملون«١» .

- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ۝٧ ﴾ [الرعد: ٧] ورد في عدّة روايات: أن المنذر رسول الله ﷺ، وفي كل زمان إمام منا يهديهم الى ما جاء به النبي ﷺ، وفي بعضها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في الآية: والله ما ذهبت منا وما زالت فينا الى الساعة «٢» .
- وعن أبي عبد الله الامام الصادق عليه السلام قال: ولم تخل الارض مُنذ خلقها الله تعالى من حجة له فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولن تخلو الى أن تقوم الساعة ولولا ذلك لم يعبد الله، قيل: كيف ينتفع الناس بالغائب المستور؟! قال عليه السلام : كما ينتفعون بالشمس إذا سترها سحاب«٣» .
- وعن الحجة القائم عليه السلام قال: وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيّبها عن الأنظار السحاب، وإني لأمان أهل الارض كما أن النجوم أمان أهل السماء «٤» .

«١» المصدر ،ج ٢٣، ص ٤٨،ح٩٢ .

«٢» المصدر ،ج ٢٣ ، ص ٣،ح٥ .

«٣» المصدر ،ج ٢٣ ، ص ٥،ح١٠ .

«٤» المصدر ، ج ٥٢ ، ص ٩٢،ح٦ .

والاخبار في هذا المعنى أكثر من أن تُحصى، ومقتضاها تحقق الرد عن الباطل والهداية الى الحق من الإمام في زمن الغيبة والمراد حصولها بالأسباب الخفية كما يشعر به حديث السحاب الانتفاع بالإمام كالانتفاع بالشمس إذا غيبها السحاب دون الظاهرة فانها منتفية بالضرورة، ولا ينافي ذلك تضمن بعضها الاعلان بالحق فانه من باب الاسـناد الى السبب... «١».

ثالثا: تسديد الفقهاء في عصر الغيبة

فإن هذا النظام في الغيبة الصغرى كان تمهيداً لإرجاع الأمة في الغيبة الكبرى الى الفقهاء العدول كممثلين له عليه السلام ينوبون عنهم كقيادة ظاهرة أمر بالرجوع إليها في توقيعه الصادر الى إسحاق بن يعقوب: وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها الى رواة حديثنا، فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم.

وقد أشار الأئمة عليهم السلام من قبل الى هذا الدور المهم للعلماء في عصر الغيبة الكبرى، فمثلاً روي عن الامام علي الهادي عليه السلام أنه قال: لولا مَن يبقى بعد غيبة قائمكم عليه السلام من العلماء الداعين إليه والدالين عليه والذابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومَردته، ومِن فخاخ النواصب؛ لما

«١» راجع في هذا الباب كتاب :منع تدوين الحديث ـ اسباب ونتائج، للسيد علي الشهرستاني: ٣٩٧ ـ ٤٦٥ الفصل الخاص بتأريخ تدوين السنة النبوية عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام ،غيبة الطوسي: ٢١٥.

بقي أحد إلاّ ارتدّ عن دينه. ولكنهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك صاحب السفينة سكانها، أولئك هم الأفضلون عند الله«١» .

والمستفاد من قوله عليه السلام «فإنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم» أن الفقهاء العدول يمثلون في الواقع واسطة بين الأُمة والإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف الأمر الذي يعني أن يحظى بعضهم ـ وخاصةً الذين يحظون بمكانة خاصة في توجيه الأُمة ودور خاص فكري أو سياسي في قيادتها ـ بتسديد من قبل الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف بصورة مباشرة أو غير مباشرة وبالخصوص في التحركات ذات التأثير على مسيرة الأمة وحركة الإسلام، فهو يتدخل بما يجعل هذه التحركات في صالح الأمة أو بما يدفع عنها الاخطار الشديدة الماحقة، وقد نقلت الكثير من الروايات الكاشفة عن بعض هذه التدخلات والتي لم تنقل أو لم تدون أكثر بكثير. وقسم منها يكون التدخل من قبل الإمام بصورة مباشرة وقسم آخر يكون بصورة غير مباشرة عبر أحد أوليائه«٢» .

«١» تأريخ الغيبة الصغرى: ٦٠٩ ـ ٦٢٨.

«٢» غيبة الطوسي: ١٧٢ ـ ٢٥٧.

أسس الطريق في الغيبة الكبرى

لا شكَّ أنَّ مرحلة الغيبة الكبرى هي مرحلة ذات ظروف وطبيعة خاصَّة، ولها تحدَّيات ومهام أساسيَّة تختلف عن غيرها من المراحل، وكان لا بدَّ من وضع الخطوط العامة التي تحدد معالم المسيرة خلال هذه الغيبة، خصوصاً وأنَّها فترة طويلة، وفيها الكثير من الفتن والامتحانات والإبتلاءات التي ينبغي على المؤمن مواجهتها، بالإضافة إلى المهمَّة الأساسيَّة في تهيئة الأرض والظروف، وإعداد الأنصار، لتصبح مقدِّمات الظهور مهيَّأة، وهناك العديد من العناوين العريضة والأساسيَّة التي أشارت إليها الكلمات المرويَّة عن الإمام الحجَّة عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهو ما سنتعرض له ضمن العناوين التالية.

انتهاء السفارة

يتميَّز زمن الغيبة الكبرى بحصول الغيبة التامَّة، بمعنى انتهاء زمن السفراء، وعدم وجود أيِّ شخص كصلة وصل بين الإمام وأتباعه، وحيث إنَّ مقام السَّفارة والواسطة يطمع به الطامعون لما فيه من جاه عند أتباع الإمام وشيعته، ظهر في كثير من الأحيان من يدَّعي مثل هذا المقام بغير حقٍّ، وينسب لنفسه السَّفارة عن الحجَّة أو الارتباط به وحمل رسائل عنه، وقد حذَّرت الرِّوايات عن

الإمام الحجَّة ﷺ من هؤلاء الأشخاص وأكّدت على أنَّه لا يوجد سفارة في زمن الغيبة الكبرى، وكلُّ من يدَّعيها فهو كاذب.

"وسيأتي إلى شيعتي من يدّعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السّفياني والصيحة فهو كذّاب مفتر ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم"«١»

ولاية الفقيه

إذاً فقد أعلن الإمام ﷺ انتهاء منهج السفارة في الارتباط بالإمام وأخذ التكليف عنه، وبالتالي فهناك منهج جديد لا بدَّ من تقريره ليسير الأتباع والشيعة على خطاه، وهذا ما سأل عنه إسحق بن يعقوب في مكاتبة للإمام الحجَّة ﷺ ، حيث جاءه الجواب: وأمَّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنَّهم حجَّتي عليكم وأنا حجَّة الله «٢».

لقد قرَّر الإمام الحجَّة ﷺ منهج العمل في زمن الغيبة بالرجوع إلى رواة الحديث، واصطلاح رواة الحديث المقصود منه: الفقهاء، وبالتالي فإنَّ الفقيه العادل الكفئ هو حجَّة الإمام المهدي ﷺ على أتباعه، وهذا ما يعبَّر عنه باصطلاح "ولاية الفقيه" فالوليُّ الفقيه هو الذي يجب الرجوع إليه في كلِّ ما كان يُرجع فيه إلى الإمام المعصوم عليه السلام زمن حضوره، من قيادة الأمة والتصدِّي لإدارة المجتمع، وتحقيق الأهداف الإسلاميَّة المطلوب تحقيقها على المستوى العام.

«١» سفينة البحار الشيخ، عباس القمي ج٢، ص٢٤٩، الاحتجاج، الطبرسي، ج٢، ص٢٩٧.

«٢» الاحتجاج، الطبرسي، ج٢، ص ٢٨١ ـ ٢٨٤

عدم إثارة الغرائز المذهبيّة

من العناوين الأساسية في زمن الغيبة أن يتجنَّب أتباع الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف وشيعته إثارة الغرائز المذهبية التي لا تؤدي إلاَّ إلى الفتن والتقاتل من غير طائل، فإنَّ الفتن المذهبية لا يمكنها إلا أن تكون هدّامة ومدمّرة، ولن تكون مفيدة للمسيرة على الإطلاق. اعتصموا بالتقيّة، من شبّ نار الجاهليّة يحشّشها عصب أمويّة يهول بها فرقة مهديّة «١» أنا زعيم بنجاة من لم يرم فيها المواطن الخفيّة، وسلك في الظعن منها «٢» السبل المرضيّة... «٣»

أي ابتعدوا عن الأمور التي تتسبَّب بإشعال نار الجاهلية، فإنَّها إن اشتعلت تستغلها عصابات أموية، وتُرعب بها فرقةً مهديةً هي أنتم. هذا بالإضافة إلى تحدِّيات العصر التي تفرض وحدة المسلمين لمواجهة أخطار المستكبرين الذين يراهنون على تفتيت المسلمين، وزرع الشقاق بينهم، وإشغالهم ببعضهم البعض لتسهل عليهم هزيمتهم، ونهب مقدراتهم واقتصادهم، ومحو فكرهم والقضاء على حضارتهم. ولكنَّ الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف يؤكِّد أنَّ هذا الأمر لن يكون ما دمنا نسلك السبل الصحيحة في الابتعاد عن مثل هذه الفتن. وبالتالي فإنَّ كيد المستكبرين في ضلال، ورهاناتهم ستخسر بإذن الله تعالى.

«١» يحشش النار: يوقدها ويحركها بالمحش، والمحش: حديدة تحرك بها النار.

«٢» الظعن منها: الارتحال عنها.

«٣» خاتمة المستدرك النوري ، ج ٣، ص ٢٢٥، من رسالة للشيخ المفيد.

الحذر من المغالين

إنَّ الغلوَّ من أخطر الأمراض التي كانت تواجه الأنبياء والأئمة، وتهدِّد بتقويض مسيرتهم من بنيانها الأساسي، فالغلو يطعن بالتوحيد الَّذي هو الأصل الأوَّل والأساس المتين الَّذي ترجع إليه كلُّ مسائل الدين، من هنا فقد كان الأنبياء والأئمة عليهم السلام يواجهون هذا المرض بكل قوة وحزم، وينقل التاريخ كيف واجهه النبي صلى الله عليه وآله منذ بزوغ فجر الإسلام، حيث ينقل أنَّه جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: السلام عليك يا ربي! فأجابه صلى الله عليه وآله: "ما لك لعنك الله! ربي وربك الله... «١» وهكذا كانت المواجهة من قبل أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً حاسمة، وأمَّا الإمام الحجَّة عجل الله تعالى فرجه الشريف فقد قطع الطريق على أيِّ غلوٍّ يحاول أن يستفيد من الفراغ الحاصل في غيبته الكبرى عجل الله تعالى فرجه الشريف ، فرسم الطريق والمنهج في رفض الغلوِّ رفضاً قاطعاً في العديد من كلماته: فواجه في كلماته المفوِّضة الَّذين كانوا يعتبرون أنَّ الله تعالى خلق الكون وترك للأئمة إدارته، بحيث يتصرَّفون كما يشاؤون، ونعتهم بصريح العبارة بالكذب: "وجئت تسأل عن مقالة المفوِّضة، كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشيئة الله، فإذا شاء الله تعالى شئنا والله يقول: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ ٣٠﴾ [الإنسان: ٣٠] «٢».

«١» خاتمة المستدرك النوري، ج٤، ص١٤٣.

«٢» الاحتجاج ، الطبرسي، ج٢ ، ص٢٨١-٢٨٤

وواجه في كلماته من نسب إليهم عليهم السلام العلم بالغيب، فكل ما يعلمونه هو بتعليم من الله تعالى وليس لهم شيء من تلقاء أنفسهم: "يا محمد بن علي، تعالى الله عزّ وجلّ عمّا يصفون، سبحانه وبحمده، ليس نحن شركاؤه في علمه ولا في قدرته، بل ؟ يعلم الغيب غيره، كما قال في محكم كتابه تباركت أسماؤه: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ ﴿٦٥﴾ ﴾ [النمل: ٦٥] «١».

وأكدَّ أنَّهم جميعاً ليسوا سوى عبيد لله سبحانه وتعالى: "وأنا وجميع آبائي من الأولين: آدم ونوح وإبراهيم وموسى، وغيرهم من النبيين، ومن الآخرين محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، وعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وغيرهم ممن مضى من الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين، إلى مبلغ أيّامي ومنتهى عصري، عبيد الله عزّ وجلّ، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٦]«٢».

ويستعمل الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف بحسب هذه الرواية أقسى العبارات لمنع الوقوع بالغلو، ويتبرَّأ من المغالين: "فأشهد الله الذي؟ إله إلا الله هو وكفى به شهيداً، ورسوله محمداً صلى الله عليه وآله، وملائكته وأنبيائه وأوليائه عليهم السلام وأُشهدك وأُشهد كلّ من سمع كتابي هذا: أنّي بريءُ إلى الله وإلى رسوله ممن يقول: إنّا نعلم الغيب، ونشاركه في ملكه،

«١» المصدر، ج٢ص ٢٨١ ـ ٢٨٤.

«٢» المصدر، ج٢،ص ٢٨١ ـ ٢٨٤.

أو يحلّنا محلاًّ سوى المحلّ الذي رضيه الله لنا وخلقنا له، أو يتعدّى بنا عمّا قد فسّرته لك وبينته في صدر كتابي. وأُشهدكم: أنَّ كلّ من نبرأ منه فإنَّ الله يبرأ منه وملائكته ورسله وأولياؤه... فكلّ من فهم كتابي ولا يرجع إلى ما قد أمرته ونهيته، فقد حلّت عليه اللَّعنة من الله وممّن ذكرت من عباده الصالحين «١».

وفي بعض كلماته المرويَّة عنه عجل الله تعالى فرجه الشريف يسمِّي بعض الغلاة ويلعنهم ويتبرَّأ منهم ويوصي بعدم مجالسة أهل مقالتهم: وأمَّا أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأجدع فإنَّه ملعون وأصحابه ملعونون، فلا تجالس أهل مقالتهم، فإنِّي منهم بريء، وآبائي عليهم السلام منهم براء «٢».

الحذر من الشاكّين

ومقابل المغالين كان هناك المقصِّرون الذين جهلوا مقام الأئمة عليهم السلام وابتعدوا عنهم وتخلفَّوا عن نصرتهم، وقد أشار الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف في كلماته المنقولة إلى أنَّ معرفتهم واتّباع نهجهم فوز للتابعين ويعود بالفائدة عليهم، ولن يضرَّه خذلان من يخذل

«١» المصدر، ج٢، ص٢٨٠ ـ ٢٨١: عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي رحمه الله قال: حدثني محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، عن الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رضي الله عنه قال: ومما خرج عن صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف رداً على الغلاة من التوقيع جواباً لكتاب كتب إليه على يدي محمد بن علي بن هلال الكرخي.

«٢» المصدر، ج٢،ص ٢٨١ ـ ٢٨٤.

وتخلّف من يشك: وأمَّا ندامة قوم شكّوا في دين الله على ما وصلونا به فقد أقلنا من استقال فلا حاجة إلى صلة الشاكّين «١».

يا عيسى: ما كان لك أن تراني لولا المكذِّبون القائلون: أين هو، وقد كان؟ وأين ولد؟ ومن الَّذي رآه؟ وما الَّذي خرج إليكم منه؟ وبأيِّ شيء نبَّأكم؟ وأيَّ معجز أتاكم؟

أما والله لقد دفعوا أمير المؤمنين عليه السلام - مع ما رووه -وقدموا عليه، وكادوه وقتلوه، وكذلك آبائي عليهم السلام، لم يصدقوهم ونسبوهم إلى السحر وخدمة الجن إلى ما تبين.

يا عيسى فخبر أوليائنا ما رأيت، وإياك أن تخبر عدونا فتسلبه.

فقلت: يا مولاي أدع لي بالثبات.

فقال: لو لم يثبتك الله ما رأيتني وامض بنجمك راشداً.

فخرجت أكثر حمداً لله وشكراً «٢».

إصلاح المجتمع

بعد أن رسم الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف معالم الطريق القويم، وسبل العمل، وحدَّد القيادة الشرعية التي ينبغي الرجوع إليها في غيبته، عاد ليؤكد على الإلتزام العملي والتمسك بهذا المنهج، وعدم الغفلة، والحذر من الوقوع في حبائل الفتن، والسقوط أمام امتحانات الدنيا، وذلك كلهُّ من خلال ملازمة تقوى الله تعالى،

«١» المصدر، ج٢، ص٢٨٠ ـ ٢٨١.

«٢» بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٥٢، ص٦٨.

هذه التقوى التي تمثّل الحالة المعنوية التي تحفظ الإنسان عند المنزلقات وتجعله ثابتاً عندما يهتزُّ الضعفاء: "فاتقوا الله ﷻ ، وظاهرونا على انتياشكم «١» من فتنة قد أنافت «٢»عليكم، يهلك فيها من حمّ أجله، ويحمى عنها من أدرك أمله، وهي إمارة لأزوف «٣» حركتنا ومباثّتكم بأمرنا ونهينا، ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨ ﴾ [الصف: ٨]«٤».

بل إنَّ الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف يطلب في هذه الكلمات أن نكون عوناً له في إنقاذ المجتمع من الانحرافات، وهو بذلك يؤكد أنَّ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة أساسية في زمن الغيبة، كما كانت أساسيَّة في كلِّ الأزمنة. إنَّ محبَّة الإمام عجّل الله تعالى فرجه الشريف ورضاه إنَّما تنشأ من خلال الطاعة والإلتزام بالأحكام الشرعيَّة، وغضب الإمام وسخطه والعياذ بالله ينشأ بسبب المعصية، فهل تلتمس رضاه ومحبته، أم تسعى لسخطه وغضبه ؟! فهل تسعى لأن تكون من جنود الإمام وأنصاره أم ممن يقف على الطرف الآخر في زمرة الشياطين والعاصين ؟! "فليعمل كلُّ امرئ منكم بما يقرّب به من محبتنا، ويتجنّب ما يدنيه من كراهتنا وسخطنا، فإنَّ أمرنا

«١» انتياشكم: انتشالكم.

«٢» أناف على الشيء: طال وارتفع عليه.

«٣» الأزوف: الاقتراب.

«٤» خاتمة المستدرك، النوري، ج ٣، ص ٢٢٥، من رسالة للشيخ المفيد.

بغتة فجأة حين؟ ينفعه توبة، ولا ينجّيه من عقابنا ندم على حوبة. والله يلهمكم الرشد، ويلطف لكم في التوفيق برحمته" «١»

أيُّها العاصي! لا يغرنَّك الشيطان ويسوّف لك التوبة والإصلاح، فإنَّ ظهور الإمام سيكون فجأة ولن تكون لك فرصة للتوبة والتصحيح، وربَّما تجد نفسك في مواجهة الإمام تتعرض لعقابه، بدل أن تكون سيفاً من سيوفه! فأسرع في التوبة والإصلاح، وكن في معسكر الإمام جاهزاً تماماً لبداية المعركة الإلهيَّة في وجه الباطل. والعاقبة بجميل صنع الله سبحانه تكون حميدة ما اجتنوا المنهيَّ عنه من الذنوب «٢».

ونجد في هذه الكلمات ترسيخاً لمفهوم الجهاد ضد الظالمين، واستشراف النصر والعمل على تحقيقه، من خلال الصِّفات التي أطلقها بحق الشيخ المفيد رضوان الله عليه، وكأنَّها أمر مفروغ عنه، وصفات متلبِّسة بالمؤمنين، لا تحتاج إلى دليل أو إلى نقاش: ونحن نعهد إليك أيّها الوليّ المخلص المجاهد فينا الظّالمين أيّدك الله بنصره الذي أيّد به السلف من أوليائنا الصالحين: إنّه من اتّقى ربّه من إخوانك في الدين، وأخرج ممّا عليه إلى مستحقيه، كان آمناً في الفتنة المبطلة، ومحنها المظلمة

«١» المصدر، ج ٣، ص ٢٢٥، من رسالة للشيخ المفيد.

«٢» المصدر، ج ٣، ص ٢٢٥، من رسالة للشيخ المفيد.

المضلّة، ومن بخل منهم بما أعاده الله من نعمته على من أمره بصلته، فإنه يكون خاسراً بذلك لأولاه وآخرته «١» ، «٢» .

«١» المصدر، ج ٣، ص ٢٢٥، من رسالة للشيخ المفيد.

«٢» البحث مقتبس من كتاب: من وحي كلمات الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف سلسلة بين يدي القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

هل للفرد كلّ هذا الدور؟!

سؤال: هل للفرد ـ مهما كان عظيماً ـ القدرة على إنجاز هذا الدور العظيم؟ وهل الفرد العظيم إلاّ ذلك الإنسان الذي ترشّحه الظروف ليكون واجهةً لها في تحقيق حركتها؟

والفكرة في هذا السؤال ترتبط بوجهة نظر معيّنة للتاريخ تفسّره على أساس أنّ الإنسان عامل ثانوي فيه، والقوى الموضوعية المحيطة به هي العامل الأساسي، وفي إطار ذلك لن يكون الفرد في أفضل الأحوال إلاّ التعبير الذكي عن اتّجاه هذا العامل الأساسي «١» .

أنّ التاريخ يحتوي على قطبين: أحدهما الإنسان، والآخر القوى المادية المحيطة به. وكما تؤثر القوى المادية وظروف الإنتاج والطبيعة في الإنسان، يؤثر الإنسان أيضاً فيما حوله من قوى وظروف، ولا يوجد مبرّر لافتراض أنّ الحركة تبتدئ من المادة وتنتهي بالإنسان إلاّ بقدر ما يوجد مبرر لافتراض العكس، فالإنسان والمادة

«١» إشارة إلى نظرية المادية التاريخية، أي إلى التفسير الماركسي للتاريخ، راجع: اقتصادنا ج١،ص ١٩، وفيه تحليل علميّ ومناقشة فلسفية عميقة بقلم الإمام الشهيد الصدر قدس سره .

يتفاعلان على مرّ الزمن، وفي هذا الإطار بإمكان الفرد أن يكون أكبر من ببغاء في تيار التاريخ، وبخاصة حين نُدخل في الحساب عامل الصلة بين هذا الفرد والسماء. فإن هذه الصلة تدخل حينئذ كقوة موجّهة لحركة التاريخ.

وهذا ما تحقّق في تاريخ النبوّات، وفي تاريخ النبوّة الخاتمة بوجه خاصّ، فإنّ محمّداً ﷺ بحكم صلته الرسالية بالسماء تسلّم بنفسه زمام الحركة التاريخية، وأنشأ مدّاً حضاريّاً لم يكن بإمكان الظروف الموضوعية التي كانت تحيط به أن تتمخّض عنه بحال من الأحوال.

وما أمكن أن يقع على يد الرسول الأعظم يمكن أن يقع على يد القائد المنتظر من أهل بيته الذي بشّر به ونوّه عن دوره العظيم.

الإصلاح وقيام الإمام المهديّ عجل الله فرجه

أنّ فكرة كون الدنيا سوف تشهد مرحلة العدل والعدالة بعد أن تمتلئ بالظلم والجور، قد أوجدت مسألة خطيرة، وهي مخالفة طائفة من علماء المسلمين لكلّ ما يندرج تحت عنوان الإصلاح الاجتماعيّ. حيث يزعم هؤلاء أنّ الدنيا ينبغي أن تمتلئ بالظلم والفساد لكي يظهر المهديّ الموعود ويقوم بثورته الإصلاحيّة الشاملة! وعندما يرون شخصاً يخطو خطوة واحدة نحو الإصلاح، أو يرون توجّهاً في المجتمع نحو التّدين والعمل ببعض أحكام الإسلام، فإنهم يستاؤون كثيراً، لأنهم يعتقدون أنّ الأوضاع الاجتماعية يجب أن تسوء وتزداد سوءاً حتى تتهيّأ الأرضيّة لظهور المهديّ الموعود. وإذا قام أحد بأيّ عمل من شأنه جلب اهتمام النّاس نحو الإسلام والتّديّن، فإن ذلك يعتبر في نظرهم خيانة لقضيّة المهديّ، ومزيداً من التأخير لظهوره المرتقب. فهل أنّ هذا النوع من التفكير صحيح أم خطأ؟

سأبيّن فيما يلي نقطة هامّة تجيب عن هذا السؤال.

إنّ بعض الأحداث التي تقع في هذه الدنيا تتمتّع بصبغة الانفجار، وذلك مثل أن يوجد «دمّل» في بدن الإنسان، فهذا الدمّل يجب أن يتطوّر ويصل إلى حدّ

بحيث ينفجر دفعة واحدة فيتحقّق الشفاء أو "الإصلاح" في البدن. وعلى هذا فأيّ عمل يؤدّي إلى الحيلولة دون انفجار هذا الدمّل، يعتبر عملاً غير صحيح. وحتّى إذا أردنا أن نضع "دواء" فوقه، فينبغي أن يكون هذا الدواء من النوع الذي يسبّب الإسراع في عمليّة الانفجار.

وهكذا، وبالاستناد إلى هذه الحقيقة، فهناك بعض التيارات الفلسفيّة -التي تحبّذ أنواعاً معيّنة من الأنظمة السياسيّة والاجتماعية -تؤيّد الثورة بمعنى الانفجار، وتعارض كلّ عمل من شأنه أن يؤخّر الانفجار بشكل عامّ، وتفضّل ازدياد المفاسد والمظالم في المجتمع، وتراكم العقد والعداوات بين النّاس واستمرار اضطراب الأمور، إلى أن يصل الوضع إلى نقطة الانفجار والثورة ومن ثم يمكن إصلاح المجتمع بصورة جذريّة!

فهل ينبغي لنا -نحن المسلمين -أن نفكّر بهذا الشكل فيما يتعلّق بالإصلاح وبظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف وهل يجوز لنا أن ندع المعاصي والذنوب تزداد، وأن نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونهمل تربية أطفالنا بدعوى أنّ ذلك يعجّل ظهور المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟ بل لكي نساهم بأنفسنا في تعجيل ظهور الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فإننا – والعياذ بالله – نترك الصلاة والصيام وسائر الواجبات الدينيّة، ونشجّع الآخرين على ذلك، بهدف تهيئة مقدّمات الظهور!!

كلّا، فهذا بدون شكّ خلاف الأصول القطعيّة في الإسلام، وفقهنا له موقف واضح في هذا الشأن، فهو يؤكّد على أنّ انتظار الحجّة عليه السلام لا يسقط أيّ تكليف من التكاليف الشرعيّة لا الفرديّة ولا الجماعيّة. ولا يمكننا أن نجد عالماً واحداً

من علماء المسلمين -سواء كان شيعياً أم سنيّاً -يقول إنّ مسألة انتظار المهديّ الموعود، تسقط أصغر تكليف شرعيّ قرّره الإسلام.

هذا نوع من التفكير.

أما النوع الآخر فهو يدور حول فكرة "النضج" وليس "الانفجار". والواقع أنّ "الثمرة" و"الدمّل" كلاهما له سير تكامليّ يستمرّ فيه إلى أن يصل إلى مرحلته النهائية، حيث ينفجر الدمّل، بينما تنضج الثمرة وتصبح جاهزة للقطف.

ومسألة ظهور الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف تشبه نضج الثمرة أكثر ممّا تشبه انفجار الدمّل. والإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف لم يظهر إلى الآن، ليس فقط بسبب أنّ الذنوب لم تتكاثر إلى الحدّ المطلوب، بل لأنّ الدنيا لم تصل بعد إلى مرحلة القابليّة والاستعداد لهذا الظهور، ولهذا نقرأ كثيراً في روايات الشّيعة أنه عندما يبلغ عدد أنصار الإمام المهديّ المنتظر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً في العالم كلّه، فعند ذلك يظهر الإمام ويبدأ ثورته الإصلاحيّة، وإلى الآن لم يتوفّر هذا العدد من الأنصار! وهذا يعني أن الزَّمان يجب أن يواصل مسيرته، بحيث أنّه مهما يزداد الفساد في الدنيا، فإنّه من الناحية الأخرى ينبغي موجود أولئك النفّر الذين يريدون تشكيل الحكومة العالمية، وعندهم الاستعداد الكافي لأن يكونوا تحت لواء المهديّ المنتظر عليه السلام، قادة العالم وسادته. وعند ذلك فقط يظهر الإمام وتبدأ الثورة المباركة.

نعم، إن الفكرة القائلة إنّه "ما لم تحدث الفوضى، فإنّ الأمر لا يصل إلى النظام" صحيحة، ولكن لا ينبغي إساءة فهم هذه الفكرة. لأن "الفوضى" لها مستويات مختلفة. فعلى الدوام تظهر الفوضى والاضطراب في الدنيا، ثم يعقب ذلك النظام

والاستقرار. ثم يتبدّل هذا النظام بالفوضى ولكنها فوضى على مستوى أعلى. ثم تتبدّل هذه الفوضى بالنظام ولكنّه نظام على مستوى أعلى أيضاً من النظام السابق وهكذا.

ولهذا يقول علماء الاجتماع إنّ حركة المجتمع البشريّ هي حركة حلزونيّة، أي حركة دورانيّة ارتفاعيّة. ففي نفس الوقت الذي يدور فيه المجتمع البشريّ، فإنه لا يدور في مستوىً أفقيّ، بل يتّجه إلى الأعلى دائماً.

ولا يوجد شك بأن دنيانا اليوم هي دنيا مضطربة تعمّها الفوضى، بحيث أنّ زمامها قد أفلت حتّى من يد القادة العظام وزعماء القوى الكبرى في العالم، ولكنّ هذا الاضطراب والفوضى على ذلك المستوى العالميّ يختلف عمّا يمكن أن يحصل في قرية أو مدينة -مثلاً- اختلافاً كليّاً، وكذلك الحال بالنسبة للنظام والاستقرار. وعلى هذا فنحن عندما نتوجّه نحو زمان ظهور الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فإننا نتّجه في هذه الدنيا نحو "الفوضى" و"النظام" في آن واحد.. نتّجه إلى الفوضى لأنّه من الطبيعيّ الانتقال من النظام إلى الفوضى. ونتّجه أيضاً إلى النظام لأنّه فوضى على مستوى أعلى.

فهل ظهرت إلى الوجود -قبل قرن أو بضعة من الزمن- تلك الأفكار الموجودة بين النّاس؟ فلقد توصل مفكّرو العالم اليوم إلى أن الطريق الوحيد لمعالجة شقاء البشرية ووضع حدّ لآلامها المريرة، هو تشكيل حكومة عالمية واحدة. ولم يكن لمثل هذه الفكرة أن تخطر مجرّد خطور في مخيّلة البشر طيلة العصور الماضية. ونستنتج من كلّ ما سبق أنّه كما أنّ انتشار الظلم والفساد في العالم يقرّب ظهور

الإمام الحجّة المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فإنّ الدعوة إلى الإصلاح ومحاولة إجراء العدالة تقرّب أيضاً ذلك الظهور المبارك، وربّما بسرعة أكبر، وعند ذلك سيكون حساب دعاة الإصلاح والعدالة مختلفاً كليّاً عن حساب دعاة الفساد والانحراف، فلننظر إلى أنفسنا في أيّ جانب نكون«١» .

«١» مقتبس من كتاب أمل الإنسان، سلسلة المسابقات الثقافية، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

الدعوة إلى الدولة في عصر الغيبة

قال امير المؤمنين عليه السلام: من واجب حقوق الله على العباد: النصيحة بمبلغ جهدهم، والتعاون على إقامة الحق بينهم «١»، «٢».

أسلوب الدعوة

أما أسلوب الدعوة أو أسلوب العمل من أجل إقامة دولة إسلامية الآن. فيتنوع- شأنه شأن أي أسلوب آخر يهدف من ورائه إلى إقامة دولة-إلى نوعين هما:

١. الثورة: ويعنى بها الثورة المسلحة، وهي: استعمال القوة في القضاء على الحكم الكافر في الوطن الإسلامي واستبداله بالحكم الإسلامي.

والثورة هنا مشروطة شرعياً بتوفر شروطها وتهيؤ أجوائها ومجالاتها.

٢. التدرج: ويعنى به اتباع الطرق السلمية، أمثال: القيام بتوعية الأمة سياسياً، وتثقيفها فردياً وجماعياً، خاصاً وعاماً، فنقوم:

«١» من خطبة له عليه السلام خطبها بصفين.

«٢» مقتبس كتاب: في انتظار الإمام، الشيخ عبد الهادي الفضلي، دار الزهراء بيروت لبنان، ط٣، سنة ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص١٣٤-١٤٦.

أ- بفتح المدارس في مختلف مراحلها: الروضة والابتدائية والثانوية والعالية، وللجنسين، شريطة أن تكون مناهجها وكتبها إسلامية خالصة، تستمد من حضارتنا الأصيلة النقية، هادفين منها إلى تغذية أبنائنا بالثقافة الإسلامية البناءة التي تحوّل من المسلم حركية فعالة في طريق تكوين المجتمع الإسلامي، وأن يكون القائمون على الإدارة والتربية فيها مسلمين مبدئيين.

ب- بإصدار المجلات والصحف بمختلف ألوانها: يومية وأسبوعية وشهرية وفصلية. شعبية وخاصة، شريطة أن تموّن بالفكر الإسلامي الخلاق الهادف.

ت- بنشر الكتب مفردة ومتسلسلة. شعبية وخاصة، ناشدين من ورائها تعميم الثقافة الإسلامية المبدعة الهادفة.

ث- بإيجاد المكتبات بأقسامها المختلفة: المتجولة والثابتة، والريفية والمدنية، مزودة بجميع ما تتطلبه مستوياتها ومجالاتها من الكتب والمؤلفات الإسلامية.

ج- بتأسيس النوادي: ثقافية ورياضية، شريطة أن تكون جادة، وفي صدد غرس الروح الإسلامية وتنميتها وإثمارها.

ح- بتكوين الجمعيات للخدمات الاجتماعية على ضوء ما يأمر به الإسلام من أعمال البر والإحسان والتكافل، وما شاكلها.

خ- التكتل السياسي، شريطة أن تتبع الأساليب في إطار الأحكام الإسلامية.

وبعد أن تستيقظ الأمة، وتدرك بسبب مفعول التثقيف أن مسؤوليتها أمام الله تعالى في أن تطبق الإسلام، وأن سعادتها في تطبيقه. وهو أمر لا يتأتى إلا عن طريق إقامة الدولة الإسلامية، تحقق ذلك وبيسر.

شبهة:

وهنا أود أن أقف قليلاً عند شبهة، كثيراً ما تثار حول العمل عن طريق التكتل السياسي، محاولاً كشف المفارقة فيها، بغية إزالتها.

والشبهة تتلخص في أن الإسلام لا يقر العمل الحزبي، والتكتل السياسي بطبيعته لا يخرج عن كونه عملاً حزبياً، سواء كان علنياً أو سرياً.

ومنشأ هذه الشبهة فيما اعتقد هو التخدير الاستعماري الذي لعب دوره الفعال في تعميق فكرة فصل الدين عن السياسة بأذهان أبناء أمتنا الإسلامية، حتى عاد كل ما يتصل بالسياسة ليس من الإسلام.

إلا أننا متى حاولنا فهم معنى الحزب، وما تعنيه الكلمة في لغة القانون والسياسة تتبين المفارقة فتزول الشبهة.

إن مفهوم حزب يعني: المنظمة السياسية التي تعمل وفق أيديولوجية معينة، هادفة إلى تسلم السلطة، فتحقيق غاياتها المتوخاة عن وسيلتها.

وهذا المفهوم للحزب بطبيعته يعني أن الحزب ما هو إلا وسيلة أو أسلوب.

ومرّ أن أوضحت قبل هذا أن الوسائل والأساليب موضوعات وليست بأحكام.

والموضوعات وهو أمر بديهي تختلف أحكامها باختلاف ظروفها وأحوالها، وتتبدل بتغيرها.

- فقد يكون الحزب في ظرف معين أو حال معين محكوماً بالحرمة، كما لو كان الحكم الإسلامي قائماً وعادلاً، كما في عهد النبي ﷺ .
- وقد يكون الحزب في ظرف معين وحال معين كذلك محكوماً بالوجوب، كما لو كان مقدمة لواجب، أمثال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإرشاد الجاهل، وإقامة الحكم الإسلامي.

وربما كانت الآية الكريمة ﴿ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [المائدة: ٥٦] ترشد إلى ذلك، حيث تعطي أن حزب الله تعالى وهم الجماعة المناصرة لله هي الغالبة.

والغلبة طبيعياً لا تتأتى إلا نتيجة صراع، والصراع كما يكون حول قضايا نظرية، وأخرى عملية، من نوع غير سياسي، يكون حول أمثالها من نوع سياسي، ومنها قضية الحكم.

وليس الحزب في واقعه متى قام على أساس من أيديولوجية إسلامية إلا تلك الجماعة التي تشير إليها الآية الكريمة.

الخلاصة

إن مسألة الحزب فيما أفهمه هي مسألة موضوع يرتبط بما ينهي اليه اجتهاد المفتي من حكم: حرمة كان أو وجوباً أو غيرهما، متى ما ثبت معناه لديه.

وليست هي مسألة تهويلات المضللين من أتباع الأحزاب الكافرة، وأذناب المستعمر الكافر، ومن سار في ركابهما شاعراً أو مخدوعاً.

تقييد الدعوة

ويقيد جماعة من فقهائنا الدعوة إلى إقامة حكم إسلامي بالأمن من الخطر.

والذي أخاله: أن العمل وفق هذا الرأي يلزمنا عادة بتحديد موضوع هذا القيد: **فيما يبدو لي**: إن أمثال هذا التقييد لا يتأتى مع اتباع أسلوب الثورة، وذلك لتوفر القوة الكافية التي تبعد وقوع الخطر الذي يشير إليه القيد، والذي لا ينهي عادة إلى تحقيق واجب آخر أهم من التضحية.

وكذلك لا يتأتى هذا التقييد مع اتباع أسلوب التدرج، لا في مراحله الأولى، لأن العمل بطبيعة أيديولوجيته التنظيمية لا يهدف إلى صراع سياسي ولا يقوم به. ولا في مراحله النهائية، لأن العمل يبلغ فيها استكماله القوة الكافية اجتماعياً وسياسياً، إلى التوصل إلى تحقيق الواجب.

نعم. يتأتى هذا التقييد في اتباع أسلوب الثورة قبل استجماع القوة الكافية، وفي اتباع أسلوب التدرج حينما يقوم العمل بالصراع السياسي في المراحل الأولى. إذا لم تكن الظروف بطبيعتها تتطلب التضحية كوسيلة نهائية حاسمة في الاحتجاج أمام الكفر والانحراف.

على أننا إذا لاحظنا: أن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ينقسم باعتبار ظروفه إلى قسمين:

١. في ظرف وجود حكم إسلامي عادل.

٢. في ظرف وجود حكم كافر، أو حكم إسلامي منحرف لا يقضى عليه إلا بالتضحية.

وأن هناك من فقهائنا الأعلام من يذهب إلى أن خوف الضرر الذي هو أحد شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقتصر اشتراطه على الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر من نوع القسم الأول، أما بالنسبة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من نوع القسم الثاني، فيسقط هذا الشرط، وتلزم التضحية بالنفس والمال للإطاحة بالحكم الكافر، أو المنحرف، وإقامة الحكم الإسلامي شريطة أن تؤثر التضحية، ولو تأثيراً ضئيلاً إذا كان مما يعتد به.

أقول: إننا إذا لاحظنا ذلك يضيق مجال ذلكم التقييد كثيراً.

وفيما أظنه: أن من يشترط الأمن من الخطر من الفقهاء، لا يلزم به من يقطع بأن أمثال هذه التضحيات تنهي إلى تحقيق الواجب.

على أن المسألة فيما أعتقد لا تحتاج إلى هذا، بعد أن أثبت تاريخ الشهداء، وتاريخ مختلف الأحزاب السياسية، أن التضحيات هي سبيل الإطاحة بحكم وإقامة حكم آخر على أنقاضه.

شبهة أخرى:

وهي شبهة تقتضي منهجة البحث أن أقف عندها ولو قليلاً، لأكشف موضع المفارقة فيها، محاولاً رفع الالتباس، لأنها تدور حول سقوط الدعوة:

ربما يبدو للبعض أن قضية الدعوة إلى إقامة دولة إسلامية، تدور بين أمرين كل منهما مسقط لوجوب الدعوة وهما:

١. إما أن تكون البشرية الآن، على استعداد تام لتقبل الإسلام.

٢. أو لا تكون على استعداد تام لتقبل الإسلام.

فان كانت البشرية الآن على استعداد تام لتقبل الإسلام، فلابد حينئذ من ظهور الإمام المنتظر عليه السلام ، لأن مثل هذا الظرف بما فيه من استعداد تام يحتم عليه الظهور، وعند ظهوره فأمر الدعوة يعود إليه.

وإن كانت البشرية ليست على استعداد تام لتقبل الإسلام، فسيكون نصيب الدعوة إلى إقامة دولة إسلامية عدم النجاح، فلا فائدة إذن بالدعوة.

والمفارقة في هذا الرأي تمكن في أنه ينطوي في واقعه على خلط بين الدولة التي أنيطت مسؤولية إيجادها بالإمام المنتظر عليه السلام، وبين الدولة التي ألقيت مسؤولية العمل من أجل قيامها على عاتق المسلمين.

فان الأولى أعني دولة الإمام عالمية، ولعلها من أبرز خصائصها.

والثانية لا يشترط فيها أن تكون عالمية حيث لم يدل على ذلك دليل من النصوص الشرعية، ولا من العقل مع عدم القدرة.

فنحن متى التفتنا إلى موضع المفارقة في هذا الرأي، وهو ذلكم الخلط بين دولة الإمام عليه السلام التي من أوليات شروطها أنها عالمية.وبين الدولة التي يجب على المسلمين العمل من أجل إقامتها.

أقول: متى التفتنا إلى موضع المفارقة سهل علينا معرفة موقع الالتباس في أمثال هذه الشبهة.

على أنه لا يحتمل أن فقيهاً ما، لا يفتي بوجوب قيام دولة إسلامية في قطر ما، إذا كان ذلك القطر مستعداً ومهيئاً لقيامها نتيجة الوعي السياسي الإسلامي الذي شمله.

ولست أدري ما يقول من يرسل مثل هذا الرأي، لو قدر أن بلاداً ما، من بلدان المسلمين سادها الوعي السياسي الإسلامي، وامتلك أهلها زمام أمورهم السياسية، ورفعوا أمرهم إلى الفقيه المتوفر على شروط الحاكم المسلم، يطلبون منه أن يحكمهم بالإسلام، وكان الأمر في وضعية من الخطورة بحيث إذا لم يحكمهم، ويوكل الموضوع إليهم أنفسهم، يقعون في مخالفات شرعية كثيرة، لجهلهم بالأحكام ومواضع التطبيق.

أيؤمن بشيء أخر غير إجابة الفقيه لهؤلاء؟

لا أحتمل أن أحداً ممن له أدنى معرفة بالتشريع الإسلامي يحتمل عدم جواز الإجابة.

أحاديث قيام دولة قبل الإمام عليه السلام

إن هناك من الأحاديث المروية ما يشير إلى قيام دولة إسلامية غير عالمية، قبل ظهور الإمام المنتظر عليه السلام يسلمها أصحابها إلى الإمام عند ظهوره عليه السلام.

وهو مما يلقي الضوء على المسألة أمثال:

١. ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله : يأتي قوم من قبل المشرق، ومعهم رايات سود. فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينصرون، فيعطون ما سألوه، فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي، فيملأها قسطاً كما ملأوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبواً على الثلج.

٢. وما روي عن الإمام الباقر عليه السلام: كأني بقوم قد خرجوا بالمشرق، يطلبون الحق فلا يعطونه، ثم يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم، فيعطون ما سألوا، فلا يقبلونه حتى يقيموا، ولا يدفعونها إلا إلى صاحبكم «يعني الإمام المنتظر عليه السلام قتلاهم شهداء».

رفع التباس

وهنا قد يبدو للبعض أن قيام مثل هذه الدولة يكون مجالاً لظهور الإمام المنتظر عليه السلام.

قد يكون ذلك فيما إذا كانت الدولة متوفرة على شروط الظهور.

وقد لا يكون، وهو فيما إذا كانت غير متوفرة. فتسهم في هذه الحال بالتمهيد لخروجه عجل الله تعالى فرجه الشريف.

الموضوع السادس: القضية المهدوية

القضيّة المهدويّة عند الشّيعة

إنّ أصل المهدويّة هو محلّ اتّفاق جميع المسلمين. وفي عقائد الأديان الأخرى، يوجد أيضاً انتظار المنجي في نهاية الزَّمان. فقد فهموا هذا المطلب أيضاً بنحوٍ صحيح في بُعدٍ من أبعاد القضيّة، ولكن في البُعد الأساسيّ المتعلّق بتحديد ومعرفة الشخص المنجي، ابتُلوا بنقص المعرفة. والشّيعة يعرفون المنجي بالاسم والعلامة والخصائص وتاريخ الولادة، من خلال الأخبار المسلّمة والقطعيّة عندهم.

إنّ خصوصية اعتقادنا نحن الشّيعة هي أنّنا قد بدّلنا هذه الحقيقة في مذهب التشيّع من حالة الأُمنية أو الأمر الذهنيّ المحض، إلى حالة واقعيّة موجودة. الحقيقة هي أنّ الشّيعة عندما ينتظرون المهديّ الموعود فإنّهم ينتظرون اليد المنجية تلك، ولا يغوصون في عالم الذهنيّات بل يبحثون عن واقعيّة وهي موجودة. وحجّة الله حيٌّ بين النّاس وموجودٌ ويعيش فيما بينهم ويرى النّاس وهو معهم، ويشعر بآلامهم وأسقامهم. وأصحاب السعادة والاستعداد يزورونه في بعض

الأحيان بصورة خفيّة. إنّه موجودٌ، هو إنسانٌ واقعيّ مشخّص باسمٍ معيّن، له أبٌ وأمّ محدّدان وهو بين النّاس ويعيش معهم.

خصوصيّة عقيدة الشّيعة:

أولئك الّذين لا يقبلون هذه العقيدة من المذاهب الأخرى، لم يتمكّنوا في أيّ وقتٍ من إقامة أيّ دليلٍ يقبل به العقل لردّ هذه الفكرة وهذه الواقعيّة. فجميع الأدلّة الواضحة والراسخة، الّتي يصدقّها الكثير من أهل السنّة أيضاً، تحكي بصورة قاطعة ويقينيّة عن وجود هذا الإنسان العظيم، هو حجّة الله، وهو الحقيقة الواضحة والساطعة ـ بتلك الخصائص الّتي نعرفها، أنا وأنتم تشاهدون هذه الأمور في العديد من المصادر غير الشّيعيّة.

فالابن المبارك والمطهّر للإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، معروفٌ تاريخ ولادته، ومن أهله وأصحابه ومعجزاته، وقد منحه الله عمراً طويلاً، ويفعل ذلك. وهو تجسيدٌ لتلك الأمنية الكبرى، لجميع أمم العالم، وقبائله وأديانه وأعراقه عبر جميع العصور. هذه هي خصوصيّة مذهب الشّيعة بشأن هذه القضيّة المهمّة.

إنّ الوجود المقدّس لحضرة بقيّة الله أرواحنا فداه، هو عبارة عن استمرار النبوّات والدعوات الإلهية منذ بداية التاريخ وإلى يومنا هذا، أي كما تقرؤون في دعاء النّدبة من: "وبعضهم أسكنتهم جنّتك"، الّذي هو آدم، وإلى: "أن انتهيت بالأمر"، أي الوصول إلى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، ومن بعدها قضيّة الوصيّة وأهل بيت هذا النبيّ العظيم صلى الله عليه وآله إلى أن يصل الأمر إلى إمام الزّمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، فالجميع عبارةٌ عن سلسلةٍ متَّصلَةٍ ومرتبطة ببعضها في تاريخ البشريّة. وهذا بمعنى أنّ تلك

الحركة العظيمة للنبوّات وتلك الدعوات الإلهيّة بواسطة الرّسل، لم تتوقّف في أيّ مقطعٍ من الزَّمان. فالبشريّة تحتاج إلى الأنبياء والدعوات الإلهيّة، والدُعاة الإلهيين، وهذا الاحتياج باقٍ إلى يومنا هذا، وكلّما مرّ الزَّمان فإنّ البشر يصبحون أقرب إلى تعاليم الأنبياء.

لقد أدرك المجتمع البشريّ اليوم من خلال التقدّم الفكريّ والمدنيّة والمعرفة، الكثير من تعاليم الأنبياء ـ والّتي لم تكن قابلة للإدراك من قبل البشر قبل عشرات القرون من هذا ـ فقضيّة العدالة هذه، وقضيّة الحريّة، وكرامة الإنسان، وهذه الألفاظ الرائجة في العالم اليوم، هي كلماتُ الأنبياء. في ذلك الزمن، لم يدرك عامّة النّاس والرأي العامّ هذه المفاهيم. وبتبع مجيء الأنبياء وانتشار دعوتهم، غُرست هذه الأفكار في أذهان النّاس وفي فطرتهم وفي قلوبهم جيلاً بعد جيل. فالدّعاة الإلهيّون أولئك لم تنقطع سلالتهم اليوم، والوجود المقدّس لبقيّة الله الأعظم أرواحنا فداه، هو استمرار سلالة الدعاة الإلهيّين حيث تقرأون في زيارة آل ياسين: "السلام عليك يا داعي الله وربّانيّ آياته". أي أنّكم اليوم ترون تجسيداً لدعوة إبراهيم ودعوة موسى، ودعوة عيسى، ودعوة جميع الأنبياء والمصلحين الإلهيين ودعوة النبيّ الخاتم في وجود حضرة بقيّة الله. فهذا الإنسان العظيم هو

وارثهم جميعاً، وبيده دعوتهم ورايتهم جميعاً، وهو يدعو البشريّة ويعرض عليها تلك المعارف الّتي جاء بها الأنبياء عبر الزَّمان الممتدّ. هذه هي نقطةٌ مهمّة «١» .

«١» إنسان بعمر ٢٥٠ سنة ، الخامنئي، السيد علي: ، ص٣٧١-٣٧٣، مركز نون للتأليف والترجمة «إعداد وترجمة»، بيروت، جمعية المعارف الإسلامية «نشر»، ٢٠١٣م، ط١.

من مهام المصلح العالمي المهدي المنتظر عجل الله فرجه

١. نهاية اللّيلة الظّلماء

عندما نلقي نظرة على أوضاعنا الحاضرة ونلاحظ تصاعد نسبة الجرائم وحوادث القتل والحروب وإراقة الدّماء والمصادمات والمنازعات الدولية واتساع نطاق المفاسد الاخلاقية باستمرار، يبرز في ذهننا هذا **السؤال**: هل سيستمر الوضع على هذه الحال؟ وهل يزداد انتشار هذه الجرائم والمفاسد حتى تجر البشرية الى حرب دائمية تهلك الحرث والنسل، أم أنَّ الانحرافات العقائدية والمفاسد الاخلاقية، كمستنقع عفن، سيبتلع الانسانية ابتلاعاً...

أم أنَّ هناك بصيص ضوء من أمل في النجاة والاصلاح؟

الجواب الأول هو الذي يقول به المتشائمون والماديون، وهو أنَّ مستقبل العالم مظلم، ولا يخلو كل زمان من احتمال الخطر.

أمّا الذين يؤمنون بمبادئ الأديان السماوية، وخاصة المسلمون، والشيعة منهم على الاخص، فيجيبون بجواب آخر عن هذا السؤال، فيقولون: إنَّ وراء هذه الليلة الحالكة السواد صبح أمل مشرق، وإن هذه السحب الدّاكنة، وهذه

الأعاصير المهلكة والسيول المدمرة سوف تزول في النهاية، وتسطع الشمس في سماء صافية وجو صحو.

إنَّ هذه الدّوامات المخوفة لا تبقى في طريقنا دائماً، وإنَّ في الأفق القريب دلائل على وجود ساحل النجاة يطالع الناظرين.

إنَّ العالم ينتظر مصلحاً عظيماً يغير بثورته وجه العالم لصالح الحق والعدالة.

وبالطبع يطلق اتباع كل دين إسماً خاصاً على هذا المصلح المنتظر، مصداقاً لقول الشاعر:

عبارتنا شتى وحُسنك واحد ... وكُل الى ذاك الجمال يُشير

٢. الفطرة وظهور المصلح العظيم

إنَّ الالهامات الباطنية، التي تكون أمواجها أقوى أحياناً من أحكام العقل، لا تقصر على هدايتنا الى الله فقط، بل هي قادرة على أنْ تكون دليلنا في جميع معتقداتنا الدّينية بما فيها هذه المسألة أيضاً. ودلائل ذلك هي:

أوّلاً: الرغبة العامّة في العدالة العالمية، فالناس في العالم كلّه، على ما بينهم من اختلاف يحبّون بلا استثناء، السلام والعدالة. إنَّنا جميعاً ننادي بهذا ونجاهد في سبيله ونطلب العدالة والسلام العالميين بكل وجودنا.

وليس هناك دليل أفضل من أنَّ انتظار ظهور هذا المصلح العظيم إنَّما هو فطري، وذلك لأنَّ أي مطلب يريده الناس كافة دليل على فطريته، فتأمل!

كل حبّ أصيل وفطري يحكي عن وجود محبوب خارجي وجذاب، وإلاّ كيف يمكن أنْ يخلق الله هذا التعطش في داخل الانسان دون أنْ يخلق في خارجه الينبوع الذي يصبو نحوه ليرتوي منه؟

لهذا نقول إنَّ فطرة الانسان وطبيعته التي تبحث عن العدالة تصرخ بأعلى صوتها إنَّ الاسلام والعدالة سوف يسودان العالم كله في نهاية المطاف، وإنَّ مظاهر الظلم والجور والانانية سوف تزول، وإنَّ البشرية ستتوحد في دولة واحدة وتعيش تحت راية واحدة في جو من التفاهم والطهارة.

ثانياً: إنَّ الاديان والمذاهب عموماً تنتظر مصلحاً عالمياً كبيراً. إنّك تكاد تجد في جميع الاديان فصلاً يحدثك عن هذا الأمر إنَّ الاعتقاد بظهور منج عظيم، يكون بلسماً لجراح البشرية المؤلمة، لا يقتصر على المسلمين، بل إنَّ هناك مستندات وأدلة تؤكد كونه اعتقاداً عاماً وقديماً آمنت به الأقوام والأديان في الشرق وفي الغرب، إلاّ أنَّ الاسلام، لكونه الدين الكامل، يؤكد هذا الأمر توكيداً أكبر.

- ففي كتاب "زند" من كتب الزرادشتيين المعروفة، يرد ذكر الصراع الدائم بين اتباع الله واتباع الشيطان، ثم يقول: "بعد ذلك ينتصر الإلهيون على الشيطانيين الذين ينقرضون...وإنَّ عالم الوجود ينال سعادته الأصلية ويجلس ابن آدم على كرسي حسن الحظ..."
- وفي كتاب "جاماسب نامه" لزرادشت تقرأ ما يلي: "يخرج رجل من أرض التازيين العرب، عظيم الرأس، عظيم الجسد، عظيم الساق، على دين جدّه، في جيش كثير... ويملأ الارض عدلا".

- وجاء في كتاب "وشن جوك" من كتب الهنود الصينيين: "وأخيراً ترجع الدنيا الى رجل يحب الله وهو من عباده المخلصين".
- ونقرأ في كتاب للهنود اسمه "باسك": "دول العالم ينتهي الى ملك عادل في آخر الزمان، يكون رائداً للملائكة والجن وبني آدم، ويكون الحق معه، ويكون بيده كل كنوز البحار والأرضين والجبال، يخبر عمّا في السماء والارض، ولا ترى الارض رجلاً أعظم منه".
- وفي "مزامير" داود من كتاب "العهد القديم" «التوراة وما ألحق به» نقرأ: "يقطع دابر الأشرار، أمّا المتوكلون على الله فسوف يرثون الارض".
- "والصديقون يرثون الارض ويسكنونها دائماً".
- وهناك كلام يشبه هذا في كتاب "اشعيا النبي" من كتب التوراة.
- وفي الفصل «٢٤» من انجيل متى نقرأ:"كالبرق يخرج من المشرق ويكون ظاهراً حتى المغرب. ابن الانسان سيكون كذلك أيضاً".
- وفي الفصل «١٢» من انجيل لوقا نقرأ:"شدوا احزمتكم، وأشعلوا مصابيحكم، وكونوا كمن ينتظر سيده، حتى إذا ما جاء في أي وقت وطرق الباب تسرعون لفتحه"!
- جاء في كتاب "علائم الظهور": في كتب الصينيين القدامى، وفي معتقدات الهنود، وعند الاهالي الاسكندنافيين، وحتى عند المصريين القدامى وأهالي المكسيك وأمثالهم، يسود الاعتقاد بظهور مصلح عالمي".

٣. الأدلة العقلية

أ- نستخلص من نظام الخلق أنَّ البشر يجب في النهاية أنْ يخضعوا لقانون العدالة ويستسلموا للنظم العادلة المصلحة.

وذلك لأنَّ عالم الوجود، بالقدر الذي نلاحظه، عبارة عن مجموعة من النظم. إنَّ وجود هذه القوانين المنظمة التي تحكم العالم بأسره لدليل على وحدة هذا النظام وترابطه.

وتعتبر قضية النظام والقانون والمنهج والتخطيط من أهم مسائل هذا العالم الرئيسية والجادة. فابتداء من المنظومات الشمسية العظيمة حتى الذّرة التي يمكن أنْ توضع ملايين منها على رأس أبرة، كلها تخضع لنظام دقيق.

إنَّ مختلف أجهزة جسم الانسان، ابتداء من بناء الخلية العجيب حتى طريقة عمل الدماغ، وشبكة الاعصاب، والقلب والرئتين، كلها تتبع نظاماً دقيقاً وتعمل كما تعمل أجهزة الساعة الدقيقة، كما يعبر عن ذلك أحد العلماء، بحيث أنَّ أدق الحاسبات الالكترونية لا تكون شيئاً مذكوراً بجانبها.

فهل في هذا العالم الدقيق يمكن للانسان الذي هو جزء من كل أنْ يظهر بمظهر الرقعة المخالفة في اللون وفي التنظيم ليعيش فيه في حياة كلّها حرب واراقة دماء وظلم؟

وهل يمكن لحالة الظلم والفساد الاخلاقي والاجتماعي، التي تعتبر ضرباً من الفوضى وانعدام النظام، أنْ تسود المجتمع البشري حتى الأبد؟

النّتيجة هي أنَّ مشاهدة نظام الوجود تلفت نظرنا الى أنَّ المجتمع البشري لابدّ له في النهاية أن يطأطئ رأسه امام النظام والعدالة، وأنْ يعود مرّة اُخرى الى المسير الاصلي الذي خلق للسير فيه.

ب- مسيرة المجتمعات التكاملية، وهذه دليل آخر على مستقبل البشرية الواضح، إذ إنَّنا لا يمكن أنْ ننكر أنَّ المجتمع البشري، منذ أنْ عرف نفسه، لم يتوقف في مرحلة معينة، بل كان دائم السير والتحرك الى الامام.

فمن حيث الجوانب المادية، المسكن واللباس والغذاء، وطرق النقل والمواصلات، والافكار التوحيدية، كان الانسان في وقت ما يعيش في أبسط ظروفها. ولكنه الآن بلغ مرحلة تحير العقول وتعشي العيون، ولا شك أنَّ هذا سوف يواصل حركته الصعودية.

أمَّا من حيث العلوم والثقافات فقد كان الانسان يسير سيراً تصاعدياً أيضاً فهو في كل يوم يكتشف شيئاً جديداً ويفتح فتحاً جديداً.

إنَّ هذا "القانون التكاملي" سيشمل في النهاية الجوانب المعنوية والاخلاقية والاجتماعية أيضاً، ويتقدم بالإنسان نحو قانون عادل وسلام عادل ثابت، وفضائل اخلاقية ومعنوية.

إنَّ ما نراه اليوم من تفشي المفاسد الاخلاقية وتفاقمها، إنَّما هو وسيلة تمهد الطريق لا نضاج ثورة تكاملية شاملة. لا نقول طبعاً إنَّ علينا تشجيع الفساد، ولكننا نقول إنَّ الفساد إذا جاوز الحد أدى الى ثورة أخلاقية. فعندما يصل الانسان الى طرق مسدودة ويجد عواقب غير محمودة ناشئة من آثامه، وعندما يرتطم رأسه

بالصخور، وتبلغ روحه التراقي عندئذ يكون في الاقل على أهبة الاستعداد لتقبل المبادئ التي يعرضها عليه القائد الالهي.

القرآن وظهور المهدي ﷺ

في كتاب السماوي العظيم آيات كثيرة تبشر بهذا الظهور العظيم، نكتفي بواحدة منها فقط.

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾[النور: ٥٥].

وتبين هذه الآية بجلاء أنَّ الحكم على الارض سيخرج في النهاية من أيدي الجبارين والظالمين، وسيكون الحكم بيد المؤمنين الصالحين.

وفي أثر الآية المذكورة والوعد الذي فيها، يعد الله ثلاثة وعود أُخرى:

﴿ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥].

وفي تفسير هذه الآية قال الامام علي بن الحسين عليه السلام : هم والله شيعتنا يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منّا وهو مهدي هذه الأُمّة «١»

«١» تفسير مجمع البيان، الآية ٥٥، من سورة «النور».

المهدي في كتب الحديث

إنَّ الأحاديث التي تشير الى الحكومة العالمية القائمة على السلام والعدل، والتي يؤسسها أحد أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله اسمه "المهدي"، أحاديث كثيرة وردت في كتب الشيعة والسنة، وهي من الكثرة بحيث تعدت حدود التواتر أيضاً.

أمّا الكلام على أنَّه هو الامام الثّاني عشر، وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله والتاسع من أولاد الامام الحسين عليه السلام ، وأنَّه ابن الامام الحسن العسكري عليه السلام فهو كثير في المصادر الشيعية.

فمن حيث القسم الاول، أي التواتر الوارد في كتب أهل السنة في أحاديث ظهور المهدي «١»، يكفي أنْ نقول أنَّ علماء أهل السنة يشيرون لذلك صراحة الى الحد الذي نقرأ في الرسالة التي اصدرتها موخراً "رابطة العالم الاسلامي" وهو أكبر مركز ديني في الحجاز ما يلي: "أنّه آخر الخلفاء الراشدين الاثني عشر الذين أخبر عنهم النبي صلى الله عليه وآله في أحاديث صحاح، والأحاديث عن المهدي نقلت عن كثير من الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ".

وبعد ذكر اسماء عشرين من الصحابة الذين نقلوا أحاديث النبي صلى الله عليه وآله عن المهدي، تستطرد الرسالة قائلة: وهناك آخرون كثيرون نقلوا هذه الأحاديث وبعض علماء أهل السنة ألفوا الكتب الخاصة في الاخبار الواردة عن المهدي، منهم ابو نعيم

«١» انظر سنن ابي داود ٤:١٠٦-١٠٨، سنن الترمذي ٤:٥٠٥-٥٠٦، الحاوي ٢:٥٨، كنز العمال ١٤:٢٦١، البرهان في علامات مهدي آخر الزمان: ٩٤، البيان في أخبار صاحب الزمان، مطبوع مع كفاية الطالب: ٤٧٦.

الاصفهاني، وابن حجر الهيثمي، والشوكاني، وادريس المغربي، وأبو العباس بن عبد المؤمن.

ثم تضيف بعد ذلك: جمع من علماء أهل السنة القدامى والمحدثين يصرحون بأنّ الاخبار عن المهدي متواترة.

بعد ذكر أسماء عدد من هؤلاء تختتم الرسالة كلامها بالقول: أعلن فريق من الحفاظ والمحدثين أنَّ أخبار المهدى فيها الصحيح وفيها الحسن، وهي في المجموع من المتواتر قطعاً، وأنَّ الاعتقاد بقيام المهدي صحيح وواجب، وهذا من عقائد أهل السنة والجماعة المسلم بها، ولا ينكره إلاّ كل جاهل وصاحب بدعة.

أمّا أحاديث الشيعة

يكفي هنا أنْ نعلم أنَّ هناك المئات من الأحاديث بهذا الشأن عن رواة مختلفين، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الأئمة عليهم السلام بما يتجاوز حد التواتر، وهو عند الشيعة من ضروريات الدين، بحيث أنَّه لا يمكن لاحد أنْ يعتنق المذهب الشيعي دون أن يطلع على عقيدتهم بظهور المهدي عليه السلام وخصائص ذلك وعلائم الظهور وكيفية حكومته ومناهجها المختلفة.

لقد أكبّ كبار علماء الشيعة منذ القرون الاولى حتى اليوم على كتابة الكتب العديدة بهذا الخصوص جمعوا فيها الأحاديث المتعلقة بالمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

إنَّنا هنا نكتفي بذكر بعض الأحاديث من باب المثال، تاركين لمن يريد الاستزادة أنْ يرجع الى كثير من الكتب المهمة التي ألفت في هذا الموضوع، منها كتاب "المهدي" تأليف العالم الكبير السيد صدر الدين الصدر.

قال رسول الاسلام ﷺ : لو لم يبق من الدهر إلاّ يوم لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من أهل بيتي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً«١».

وفي حديث آخر عن الامام الصادق عليه السلام قال: "إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع الجور في أيّامه وأمنت به السُبل وأخرجت الارض بركاتها ورد كل حق الى أهله... وحكم بين الناس بحكم داود وحكم محمد ﷺ فحينئذ تظهر الارض كنوزها وتبدي بركاتها ولا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته ولبره لشمول الغنى جميع المؤمنين"! «٢».

ملاحظة: نعلم أنَّه في زمان غيبة امام العصر أرواحنا فداه يستمر خط الامامة والولاية متمثلا في نواب الامام عليه السلام . وقد جاء بحث ذلك في كتاب "حكومت اسلامي" تحت عنوان "ولاية فقيه".

«١» جاء هذا الحديث في اغلب كتب الشيعة واهل السنة.

«٢» بحار الانوار، ج ١٣، الطبعة القديمة.

علائم ظهور الإمام المهدي عليه السلام ومسير حركته الإصلاحية

تذكر الأحاديث الشريفة مجموعة من الحوادث والأُمور كعلائم لظهوره عليه السلام يهتدي بها المؤمنون لترسيخ وتسريع استعدادهم لنصرته والمساهمة في إنجاز مهمته الإصلاحية الكبرى.

العلائم الحتمية وغير الحتمية

وتذكر الأحاديث الشريفة قسمين رئيسين من علائم ظهور الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف **القسم الأوّل** ما هو حتمي الوقوع، **والقسم الثاني** ما هو غير حتمي بل قد لا يقع إذا اقتضت الحكمة الإلهية ذلك. كما أن بعض هذه العلائم قريبة من زمن الظهور وبعضها سابق له بفترة طويلة.

اللغة الرمزية في أحاديث العلامات

كما تنبغي الإشارة هنا الى أن الأحاديث الشريفة تحدثت عن كثير من علائم الظهور بلغة الرمز والإشارة، لذا من الضروري لمعرفتها على نحو الدقة دراسة هذه اللغة ومعرفتها، كما ينبغي استجماع كل ما ورد بشأن كل علامة من تفصيلات في الأحاديث الشريفة ودراستها بعيداً عن التأثر بالقناعات السابقة وبتأنّي وبدقة للتوصل الى مصداقها الحقيقي وعدم الوقوع في التطبيقات العجولة

التي تبعد عن الهدف المراد من ذكر هذه العلائم، خاصة وأن اللغة الرمزية بطبيعتها تجعل من الممكن تطبيق كل علامة على أكثر من مصداق وهذا خلاف الهدف المراد من ذكرها أيضاً.

كما أنّ من الضروري الإشارة الى أن بعض الأحاديث الشريفة التي ذكرت علامات الظهور، حددت تكاليف محددة للمؤمنين ـ على نحو التصريح أو الإشارة تجاهها ـ فينبغي عند دراستها السعي للتعرف على هذه التكاليف للحصول على الثمار المرجوة من ذكرها.

وحيث إنّ علائم الظهور ترتبط بقضايا غيبية، لذلك فإنّها تعرضت للكثير من التحريف وداخَلها الوضع، لذا ينبغي التدقيق في هذا الجانب لتمييز الصحيح منها من الموضوع. على أنّ ثمة قضية مهمة اُخرى في هذا المجال هي وجود مجموعة من العلامات التي ذكرتها بعض الأحاديث الشريفة المرسلة أو غير المسندة ثم جاء الواقع التأريخي مصدّقاً لها فهذا دليل صحتها، لأنه أثبت أنه تحدثت عن قضايا قبل وقوعها وهذا مالا يمكن صدوره إلاّ من جهة ينابيع الوحي الإلهي.

أبرز علائم الظهور

والبحث في علائم الظهور طويل لا يسعه هذا المختصر، فنكتفي بعد هذه الملاحظات بنقل ما لخّصه الشيخ المفيد رضي الله عنه من الأحاديث الشريفة مع الإشارة الى أن ثمة علامات أخرى لم يذكرها.

يقول ﵀ : قد جاءت الأخبار بذكر علامات لزمان قيام المهدي عليه السلام وحوادث تكون أمام قيامه، وآيات ودلالات: فمنها: خروجُ السفياني، وقتل الحسني، واختلاف بني العباس في الملك الدنياوي، وكسوف الشمس في النصف من شهر رمضان، وخسوف القمر في آخره على خلاف العادات، وخسف بالبيداء، وخسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وركود الشمس من عند الزوال إلى وسط أوقات العصر، وطلوعها من المغرب، وقتل نفس زكية بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين، وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام، وهَدمُ سور الكوفة، وإقبال رايات سود من قِبَلِ خراسان، وخروج اليماني، وظُهور المغربي بمصرَ وتملُّكُه للشامات، ونزول التُرك الجزيرة، ونزول الروم الرملة، وطلوع نجم بالمشرقِ يُضيءُ كما يُضيءُ القمر ثم يَنعطفُ حتى يكاد يلتقي طَرَفاه، وحُمرة تظهر في السماء وتنتشر في آفاقها، ونار تظهر بالمشرق طُولاً وتبقى في الجوِّ ثلاثة أيّام أو سبعة أيّام، وخلعُ العرب أعنَّتها وتملُّكها البلاد وخُروجُها عن سلطان العجم، وقتلُ أهل مصر أميرهم، وخراب الشام، واختلاف ثلاثة رايات فيه، ودخول رايات قيس والعرب إلى مصر ورايات كندة إلى خراسان، وورود خيل من قبل المغرب حتى تربط بفناء الحيرة، وإقبالُ رايات سُود من المشرق نحوها، وبثقٌ في الفرات حتى يدخُل الماءُ أزقّة الكوفة، وخُروجُ ستين كذّاباً كلُّهم يدَّعي النبوة، وخُروج اثني عشر من آل أبي طالب كلُّهم يدّعي الإمامة لنفسه، وإحراق رجل عظيم القدر من شيعة بني العباس بين جلولاء وخانقين، وعقد الجسر ممّا يلي الكرخ بمدينة السلام، وارتفاع ريح سوداء بها في أوّل النهار؛ وزلزلة حتى

ينخسف كثير منها، وخوف يشمل أهل العراق، وموت ذريع فيه، ونقص من الأنفس والأموال الثمرات، وجراد يظهر في أوانه وفي غير أوانه حتى يأتي على الزرع والغلاّت، وقلّة ريع لما يزرعه الناس، واختلاف صنفين من العجم، وسفك دماء كثيرة فيما بينهم، وخروج العبيد عن طاعة ساداتهم وقتلهم مواليهم، ومسخٌ لقوم من أهل البدع حتى يصيروا قردة وخنازير، وغلبة العبيد على بلاد السادات، ونداء من السماء حتى يسمعه أهل الأرض كلُّ أهل لغة بلغتهم، ووجه وصدر يظهران من السماء للناس في عين الشمس، وأموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون فيها ويتزاورون.

ثم يُختم ذلك بأربع وعشرين مطرة تتَّصل فتحيا بها الأرض من بعد موتها وتعرف بركاتها، وتزول بعد ذلك كلُّ عاهة عن معتقدي الحقِّ من شيعة المهدي عليه السلام، فيعرفون عند ذلك ظُهوره بمكة فيتوجَّهون نحوه لُنصرته. كما جاءت بذلك الأخبار.

ومن جملة هذه الأحداث محتومة ومنها مشترطة، والله أعلم بما يكون، وإنّما ذكرناها على حسب ما ثبت في الأُصول وتضمَّنها الأثر المنقول، وبالله نستعين وإيّاه نسأل التوفيق «١».

«١» صحيفة نور: ٢١.

زوال علل الغيبة

اضافة الى هذه العلامات التي نصت عليها الأحاديث الشريفة؛ فإنّ المستفاد من الأحاديث الشريفة أن من العلائم المهمة لظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف زوال العلل والعوامل التي أدت الى غيبته وتوفر الأوضاع المناسبة لقيامه عليه السلام بمهمته الإصلاحية الكبرى «١» والتي منها:

١. اكتمال عملية التمحيص والغربلة للمؤمنين وتوفر العدد اللازم من الأنصار الأوفياء بمختلف مراتبهم التي أشرنا اليها ضمن الحديث عن علل الغيبة؛ اي المرتبة العليا من الأنصار الذين يتحلون بالكفاءات القيادية اللازمة لمعاونته في اقامة الحكومة الإسلامية العالمية العادلة وإدارة شؤونها وقبل ذلك إدارة حركة الصراع ضد الكفر والشرك والعبوديات الطاغوتية ودحرها وإزالتها بالكامل.

ولعل أفراد هذه المرتبة هم الذين ذكرت الأحاديث الشريفة بأنّ عددهم «٣١٣» كعدة أهل بدر وذكرت لهم صفات عالية من الإيمان ومعرفة الله حق معرفته، ومن شدة التعبد لله والإخلاص له فهم «رهبان الليل»، ومن الشجاعة والكفاءة الجهادية العالية فهم «أُسد النهار» الذين لا يخافون في الله لومة لائم، ومن الكفاءة العلمية العالية والإحاطة بعلوم الشريعة فهم «الفقهاء والقضاة»، ومن الكفاءة الإدارية الفائقة فهم «الولاة العدول» «٢» وغير ذلك من الصفات السامية

«١» تأريخ الغيبة الكبرى: ٤٢٧.

«٢» مكيال المكارم: ٢/ ١٥٨ ـ ١٥٩.

الأخرى التي يُستفاد منها أنهم يمثلون جهاز الإمام القيادي والإداري عند ظهوره قبل إقامة دولته العالمية العادلة وبعدها.

٢. منها توفر القواعد الإسلامية العريضة المستعدة للتفاعل الإيجابي مع أهداف الثورة المهدوية الكبرى وإن تباينت درجاتها في تقديم النصرة العملية«١». والذي يوجِد هذه الحالة هو اتضاح حقيقة وأحقية منهج أهل البيت النبوي الذي يمثله المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف، واتضاح زيف الشبهات المثارة على مدى التأريخ الإسلامي ضد هذا المنهج، واتضاح أنه هو المنهج الذي يمثل الإسلام المحمدي الأصيل.

وقد أشارت الأحاديث الشريفة الى ذلك ضمن حديثها عن الحركة الموطئة للثورة المهدوية ودورها في عرض الصورة النقية لمذهب أهل البيت وعلومه الإسلامية النقية على الصعيد الإسلامي والعالمي، وبالتالي عرض الصورة الأصيلة للإسلام «٢».

ودور هذه الحركة التمهيدية التي نصّت الأحاديث الشريفة على انطلاقها قبيل الظهور المهدوي في عرض الصورة النقية للإسلام يوجِد حالة التطلع للإسلام كبديل حضاري لإنقاذ البشرية والإقبال عليه خارج دائرة العالم الإسلامي ـ كما هو المشهود حالياً في بوادره على الأقل ـ الأمر الذي يفتح أبواب التفاعل الإيجابي

«١» تأريخ الغيبة الكبرى: ٣٤١ ـ ٣٤٢.

«٢» تاريخ الغيبة الكبرى: ٣٦٢ ـ ٣٦٣.

مع الثورة المهدوية الكبرى بين الشعوب غير الإسلامية أيضاً خاصةً وأنها جربت المدارس والتيارات الفكرية والسياسية الأُخرى وعايشت عملياً فشلها في تحقيق السعادة المنشودة للبشرية بل وجلبها للبشريّة الكثير من الأزمات المادية والمعنوية التي تعتصرها حالياً، الأمر الذي جعلها تتطلع الى بديل منقذ خارج المدارس والتيارات التي عرفتها، والى هذه الحالة أشارت الأحاديث الشريفة التي تحدثت عن أنّ الدولة المهدوية هي آخر الدول كما لاحظنا في الأحاديث الشريفة التي أوردناها في الفصل الخاص بعلل الغيبة وأسبابها.

٣. منها أيضاً توفر وسائل الاتصال المتطورة التي تتيح للجميع التعرف على الحقائق، وبالتالي السماح بوصول الحق الى الجميع واتضاح بطلان وزيف المدارس الأُخرى، وأحقية الرسالة الإسلامية التي يحملها المهدي ليه السلام وبالتالي تبنّي أشخاص للتيار الإسلامي وأهدافه التي يبشر بها المهدي الموعود بعد أن كانوا ينتمون تأريخياً الى المدارس الأُخرى، أي الانتقال عملياً الى صفوف أنصاره عليه السلام ، كما تشير الى ذلك الأحاديث الشريفة المعللة للغيبة بإخراج «ودائع الله» المؤمنين من أصلاب الكافرين.

تأريخ ظهور الإمام المهدي عليه السلام :

ذكرت الأحاديث الشريفة أنه عليه السلام ظهر في وتر من السنين الهجرية«١» أي من الأعوام الفردية، ويكون ظهوره في يوم الجمعة«٢» فيما ذكرت أحاديث أخرى

«١» مكيال المكارم: ٢ / ١٥٧ ـ ١٦٢.

«٢» راجع تفصيل السيد الأصفهاني لهذه النقطة في كتابه مكيال المكارم: ٢/ ١٦٠ وما بعدها.

أن خروجه يكون يوم السبت العاشر من محرم الحرام«١» ولعل الجمع بين التأريخيين هو أن ظهوره يكون يوم الجمعة وفيها يخطب خطبته في المسجد الحرام فيما يكون خروجه منها باتجاه الكوفة يوم السبت.

مكان ظهوره عجل الله فرجه الشريف وانطلاقة ثورته

ذكرت مجموعة من الأحاديث الشريفة أن بداية ظهوره يكون في المدينة المنورة وإعلان حركته يكون في مكة المكرمة «٢» وفي المسجد الحرام حيث يُعلن حركته ويدعو إليها في خطبة موجزة ذات دلالات مهمة وهي مروية عن الإمام الباقر عليه السلام ضمن حديث طويل عن ظهور سليله المهدي، يقول عليه السلام في جانب من الحديث: ثم ينتهي الى المقام فيصلّي عنده ركعتين ثم ينشد الله والناس حقه. فقال:يا أيها الناس إنّا نستنصر الله على من ظلمنا وسلب حقنا، من يحاجنا في الله فانا أولى بالله، ومن يحاجنا في آدم فأنا أولى الناس بآدم، ومن حاجنا في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومن حاجنا في إبراهيم فإنا أولى الناس بإبراهيم، ومن حاجنا بمحمد فإنا أولى الناس بمحمّد صلى الله عليه وآله ، ومن حاجنا في النبيين فأنا أولى الناس بالنبيين، ومن حاجنا في كتاب الله فنحن أولى الناس بكتاب الله، أنا

«١» الإرشاد للشيخ المفيد: ٢/ ٣٦٨ ـ ٣٧٠.

«٢» تُراجع نصوص الأحاديث الشريفة التي أوردناها في الحديث عن علل الغيبة الكبرى.

أشهد»نشهد«وكل مسلم اليوم إنّا قد ظُلمنا وطُردنا وبُغي علينا واخرجنا من ديارنا واموالنا وأهالينا وقُهرنا، الا أنا نستنصر الله اليوم كل مسلم»«١».

وورد في رواية ينقلها نعيم بن حماد وهو من مشائخ البخاري بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً، خطبة ثانية في المكان نفسه ولكن بعد أداء فريضة العشاء، فيروى عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «... فإذا صلّى العشاء نادى بأعلى صوته يقول: اُذكركم الله أيّها الناس، ومقامكم بين يدي ربّكم، فقد اتخذ الحجة وبعث الأنبياء وأنزل الكتاب، وأمركم أن لا تشركوا به شيئاً وأن تحافظوا على طاعته وطاعة رسوله، وأن تُحيوا ما أحيى القرآن، وتُميتوا ما أمات، وتكونوا أعواناً على الهدى، وَوَزراً على التقوى، فإنّ الدنيا قد دنا فناؤها وزوالها، وآذنت بالوداع، فإني أدعوكم الى الله، والى رسوله، والعمل بكتابه، وإماتة الباطل، وإحياء سنته...»«٢».

وقفة عند خطبتي إعلان الثورة

ويُلاحظ في الخطبة الأولى

«١» عقد الدرر: ١٢٣ إثبات الهداة: ٥١٨،٤٩٤، الملاحم والفتن لابن حماد: ٩٥، دلائل الإمامة للطبري الإمامي: ٢٤٨ ـ ٢٤٩، حلية الأولياء: ٦ / ١٢٣، مستدرك الحاكم: ٤/ ٥٥٤ ينابيع المودة: ٥١٢، كمال الدين: ٦٧٣، اختصاص الشيخ المفيد: ٢٦، والأحاديث في مدح أصحاب المهدي وأنصاره كثيرة.

«٢» راجع توضيحات السيد الشهيد محمد الصدر قدس سره لهذه المراتب من القواعد المؤيدة في تأريخ الغيبة الكبرى: ٢٤٧ وما بعدها.

أولا: تأكيده عليه السلام على مخاطبة أتباع جميع الديانات السماوية انطلاقاً من عالمية ثورته الدينية فهو يمثل خط الانبياء عليهم السلام جميعاً ويدعو الى الأهداف السامية التي نادوا بها جميعاً.

ثانياً : يؤكد عليه السلام على تمثيله لمدرسة الثقلين فهو ممثل أهل البيت عليهم السلام ثاني الثقلين الذي لا يفترق عن الأول ـ أعني القرآن المجيد ـ لذلك فهم أولى الناس بكتاب الله جل ذكره وأعرفهم بما فيه وبسبل هداية البشرية على نور هداه السماوي.

ثالثاً: يشير الى مظلومية أهل البيت عليهم السلام وتعريضهم لأشكال الظلم والبغي بما أدى الى غيبة خاتمهم عجل الله تعالى فرجه الشريف وسبب تعريضهم لكل ذلك هو نزعات الطواغيت وعباد السلطة للاستئثار واتخاذ مال الناس دولاً وعباد الله خولاً ومنع أهل البيت عليهم السلام من إقرار العدالة الإلهية وقيادة الناس على المحجة البيضاء.

رابعا: ثم يستنصر كل مسلم لدفع هذه المظلومية التي يكون في دفعها الخير للبشرية جمعاء لأنّ تسليم مقاليد الأمور الى ممثل نهج الأنبياء وعدل القرآن الكريم يعني تحقيق أهداف العدالة الإلهية، ولكن عجل الله تعالى فرجه الشريف يستنصر الله جل قدرته أولاً وفي ذلك إشارة الى حتمية انتصار ثورته الإصلاحية فهو المضطر الذي تُستجاب دعوته وولي دم المقتول ظلماً فهو منصور إلهياً، وبهذه الإشارة يحفز عليه السلام الناس لنصرته ليفوزوا بسعادة الدارين ويتقوا عذاب الدنيا وخزيها على يديه وعذاب الآخرة أكبر.

إعلان أهداف الثورة

أما في الخطبة الثانية التي يلقيها ﷺ بعد صلاة العشاء، فهو يحدد الأهداف العامة لثورته، وهي الأهداف التي يستنصر الناس لأجلها، والتي تمثل الوجه الآخر للثأر لمظلومية أهل البيت ومدرستهم ومنهجهم عليهم السلام ، فهو يحدد الهدف الأول والعام المتمثل بإقامة التوحيد الخالص الذي بُعث لأجله الأنبياء عليهم السلام وأُنزلت معهم الكتب السماوية، وهو الهدف الذي يتجسد من خلال طاعة الله تبارك وتعالى وطاعة رسوله ﷺ ومن خلال إحياء ما أحيا القرآن، وإحياء سنة رسول الله ﷺ ، وإماتة ما أماته القرآن وهو الباطل والبدع والشرك وسائر العبوديات الزائفة. فدعوته هي دعوة الى الله عز وجل وتوحيده والى رسول الله ﷺ والعمل بسنته الموصلة الى الله.

وعليه يتضح أن استنصاره للثأر لمظلومية أهل بيت النبوة تعني الدعوة الى المعونة على الهدف والمؤازرة على التقوى.

الاستجابة لاستنصاره ومبايعته

وأول مَن يبادر لبيعته عليه السلام في المكان الذي يستنصر فيه المسلمين أي ما بين الركن والمقام هم صفوة أنصاره: «فيُبايع ما بين الركن والمقام ثلاثمائة ونيف، عدّة أهل بدر، فيهم النجباء من أهل مصر والأبدال من أهل الشام والأخيار من أهل العراق» «١».

«١» بحار الأنوار: ٦٠/ ٢١٣، عن تاريخ قم للحسن بن محمد القمي «ق ٣» ح ٢٢ و ٢٣ وعنه في منتخب الأثر: ٢٦٣ و ٤٤٣.

ويُستفاد من مجموعة من الأحاديث المروية في مصادر أهل السنة أن ظهوره ومبايعته يكون بعد اختلاف بين قبائل الحجاز وأنه يرفض في البداية قبول البيعة ويخاطب المبايعين بالقول: «ويحكم! كم عهد قد نقضتموه؟ وكم دم قد سفكتموه؟» «١»، ويبدو أن هذا الرفض يمثل محاولة لإشعار المبايعين بمسؤولية وتبعات البيعة والمهمة التي هم مقبلون عليها نظير ما فعله جدّه الإمام علي عليهما السلام عند إقبال الناس على بيعته بعد مقتل عثمان.

ويُستفاد من بعض الأحاديث أن حركة الموطئة للظهور المهدوي تبعث بالبيعة للمهدي عليه السلام. وهو في مكة ثم تجددها بعد ذلك.

وتصرح بعض الأحاديث الشريفة أن أصحابه الخاصين أي الثلاثمائة والثلاثة عشر يجمعون في مكة وبصورة إعجازية أو سريعة بوسائل النقل المتطورة ليدركوا ظهور الإمام ويبايعوه.

خروجه الى الكوفة وتصفية الجبهة الداخلية

يخرج عليه السلام بجيشه متوجهاً للكوفة التي يتخذها منطلقاً لتحركه العسكري بعد إنهاء فتنة السفياني والخسف الذي يقع بجيشه في البيداء«٢». وينشر راية رسول

«١» الإرشاد للشيخ المفيد: ٢/ ٣٧٩ وعنه في الفصول المهمة: ٣٠٢ إثبات الهداة: ٣ / ٥١٤.

«٢» إثبات الهداة: ٣ / ٤٩٦.

الله ﷺ المذخورة عنده في نجف الكوفة «١». وتنصره الملائكة التي نصرت جده رسول الله ﷺ في معركة بدر«٢» وتذكر الأحاديث الشريفة أنه يواجه وأصحابه وجيشه صعوبات شديدة وتعباً في بداية تحركه العسكري«٣» وحروبه التي تستمر ثمانية أشهر لتصفية الجبهة الداخلية فيما تستمر ملاحمه عشرين عاما«٤»

ويُلاحظ هنا أن المسير الذي يختاره عليه السلام هو المسير الذي اختاره جده الإمام الحسين عليه السلام في نهضته الإستشهادية من مكة الى الكوفة، التي مُنع جده سيد الشهداء عن الوصول اليها فيصل سليله المهدي عليه السلام إليها ويحقق الأهداف الإصلاحية في الأُمة المحمدية التي سعى لها جدّه سيد الشهداء عليه السلام.

وعندما يدخل الكوفة يجد فيها ثلاث رايات تضطرب «٥» فيوحدها وينهي اضطرابها بنشره للراية المحمدية المذخورة وينهي جيوب النفاق المتبقية فيها في معركته مع الفرقة التي تصفها الأحاديث الشريفة بالبترية.

«١» تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي: ٤/ ٣٠٠ وكذلك ٣٣٣، اقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ٥٥٨، كمال الدين: ٦٥٣، غيبة الطوسي: ٢٧٤، عقد الدرر للمقدسي الشافعي: ٦٥، البرهان في علامات مهدي آخر الزمان للمتقي الهندي: ١٤٥.

«٢» برهان المتقي الهندي: ١٤٤.

«٣» تفسير العياشي: ١ / ٦٥، اختصاص الشيخ المفيد: ٢٥٦.

«٤» الملاحم والفتن لنعيم بن حماد: ٩٥، عقد الدرر ١٤٥، برهان المتقي الهندي: ١٤١، الحاوي للفتاوي الحديثية: ٢/ ٧١، وكتاب اللوائح للسفاريني: ٢/ ١١.

«٥» غيبة الطوسي: ٢٨٤، وعنه في بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٣٤، واثبات الهداة: ٣/ ٥١٧، ٥١٨.

دخوله بيت المقدس ونزول عيسى عليه السلام:

تنص الكثير من الروايات على دخوله عليه السلام بيت المقدس بجيشه ضمن إطار حادثة مهمة للغاية، هي نزول نبي الله عيسى بن مريم المسيح عليه السلام الذي بشرت بعودته نصوص الانجيل إضافة الى الأحاديث الشريفة المرويّة في الكتب الروائية الموثّقة عند أهل السنة والشيعة«١» وتذكر الأحاديث الشريفة قصة صلاة عيسى صلاة الفجر خلف الإمام المهدي عليه السلام بعد أن يرفض عرض الإمام بأن يتقدم عيسى لإمامة الصلاة معللاً الرفض بأن هذه الصلاة أُقيمت لأجل الإمام المهدي فيقدّمه ويصلّي خلفه إشارة الى خاتمية الرسالة المحمدية، وفي ذلك نصرة مهمة للثورة المهدوية حيث توجّهها للعالم الغربي الذي يدين معظمه بالمسيحية.

ويظهر أن دخول المهدي عجل الله فرجه يكون بعد تحريرها من الإفساد اليهودي وإنهاء حاكميتهم عليها. لذا قد يكون من الممكن القول بأن دخول الإمام بيت المقدس يكون بعد تصفيته الجبهة الداخلية ومقدمة لمواجهة الأعداء خارج العالم الإسلامي أو الروم حسب تعبير الروايات وفتح كل الأرض. من هنا نفهم سر توقيت نزول عيسى المسيح مع دخول المهدى عليه السلام بيت المقدس.

«١» مستدرك الحاكم: ٤ / ٥٠٣، القول المختصر لابن حجر: ١٨، برهان المتقي الهندي: ١٤٣، عقد الدرر: ١٠٩، معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه: ١/ ٤٤٩.

قتل الدجال وإنهاء حاكمية الحضارات المادية

إنّ معظم الأحاديث الشريفة التي تتحدث عن نزول عيسى عليه السلام تذكر قيامه بكسر الصليب ورجوع النصارى عن تأليهه «١» ثم قتل الدجال ـ الذي هو رمز الحضارات المادية ـ على يديه أو على يدي الامام المهدي بمعونته عليهما السلام .

ومع رجوع النصارى عن تأليه عيسى عليه السلام ومشاهدتهم لمناصرة نبيهم لخاتم أئمة الإسلام المعصومين تتفتح أبواب دخولهم الإسلام ـ وهم النسبة الأكبر من سكان الأرض ـ بيسر، ونتيجة لذلك تتيسر مهمة قتل الدجال والقضاء على الحضارات الطاغوتية وفتح الأرض وإقامة الدولة الإسلامية العالمية العادلة وبدء عملية البناء الإصلاحي وتحقيق أهداف الأنبياء عليهم السلام .

هذه ـ على نحو الإيجاز ـ المحطات الرئيسة لتحرك الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بعد ظهوره، وكل منها يشتمل على تفصيلات كثيرة لا يسع المجال لذكرها.

سيرته سيرة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله

تنص الأحاديث الشريفة أنه عليه السلام يسير بسيرة جده صلى الله عليه وآله الذي قال: «بُعثت بين جاهليتين لأخراهما شر من أولاهما» «٢»، وبيّن لأُمته الكثير من مظاهر الجاهلية الثانية الأشد شراً، فالمهدي: «يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله ، يهدم ما كان قبله

«١» فتن ابن حماد: ٨٣ ـ ٨٤، الحاوي للفتاوي: ٢ / ٦٧، البرهان: ١١٨.

«٢» غيبة النعماني: ٣١٥، اثبات الهداة: ٣ / ٤٥٣.

كما هدم رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان قبله ويستأنف الإسلام جديداً» «١» وقد تحدث النبي صلى الله عليه وآله عن غربة الإسلام بعده ونقل عنه المسلمون ذلك«٢»

فالمهدي يهدم الجاهلية الثانية كما هدم جده صلى الله عليه وآله الجاهلية الأولى، ويستأنف الإسلام الذي عاد غريباً كما بدأ غريباً. ولكن ثمة فروقاً بين السيرتين تفرضهما بعض الخصوصيات الزمانية لكل منها. وهذه الخصوصيات الزمانية هي التي تفسّر الفروق في سيرتيهما عليهما السلام كما سنلاحظ بعضها في سياساته العسكرية والقضائية والإدارية والدينية وغيرها. ولهذا فلا يضر ذلك بحقيقة أن سيرتيهما عليهما السلام واحدة.

إحياء السنة وآثار النبي صلى الله عليه وآله

تقوم حركة المهدي الإصلاحية الكبرى على أساس إحياء السنة المحمدية وإقامتها التي يكون بها قوام كل القيم الإسلامية فهو كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «رجل من عترتي يُقاتل على سنتي كما قاتلت أنا على الوحي»«٣» وهو «يقفو أثري

«١» بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٠٨، إثبات الهداة: ٣ / ٥٨٣، ٥٢٧، ٤٩٣.

«٢» تفسير الطبري، ٢٢: ٧٢، تذكرة القرطبي: ٢ / ٦٩٣، سنن الدارمي: ١٠٤، مسند أحمد: ٦ / ٢٩٠، صحيح مسلم: ٤ / ٢٢٠٨، سنن أبي داود: ٤ / ١٠٨، سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٥١، سنن الترمذي: ٤/٤٠٧، تأريخ البخاري: ٥ / ١١٨، سنن النسائي: ٥ / ٢٠٧. وأحاديث الخسف بجيش السفياني كثيرة مروية في الصحاح وغيرها ومن طرق أهل البيت عليهم السلام أيضاً.

«٣» تفسير العياشي: ١ / ١٠٣، غيبة النعماني: ٣٠٨، كمال الدين: ٦٧٢.

لا يُخطئ»«١» وهو «رجل منّي اسمه كاسمي يحفظني الله فيه ويعمل بسنتي»«٢»، فهو «يبين آثار النبي»«٣»، ويدعو الناس الى سنة رسول الله صلى الله عليه وآله. فهو مجددها كما أنه مجدد الإسلام ويظهر ما خفي واُخفي منها. وقد سمي «المهدي» لأنه يهدي الناس الى «أمر قد دُثر وضل عنه الجمهور» «٤».

شدته مع نفسه ورأفته بأمته:

إن سيرة الإمام المهدي عليه السلام مع نفسه واُمته تجسد صورة الحاكم الإسلامي المثالي الذي تكون السلطة عنده وسيلة لخدمة الناس وهدايتهم لا مصدراً للدخل الوفير والظلم والاستئثار بالأموال واستعباد الناس، فهو يحيي صورة الحاكم الإسلامي التي جسدها من قبل ـ وبأسمى صورها ـ أبواه، ومن قبل رسول الله ووصيه الإمام علي عليه السلام. فهو مع نفسه: «ما لباسه إلاّ الغليظ وما طعامه إلاّ الشعير الجشب» «٥» وهو الذي «يكون من الله على حذر، لا يضع حجراً على

«١» تفسير العياشي: ١ / ١٩٧، إثبات الهداة: ٣ / ٥٤٩.

«٢» غيبة النعماني: ٢٩٧.

«٣» إثبات الهداة: ٣ / ٤٦٩ بالنسبة للمدة الأولى، وتقول رواية لابن حماد: ١٢٧ أن ملاحمه تستمر عشرين سنة.

«٤» الارشاد: ٣٦٢، غيبة الطوسي: ٢٨٠.

«٥» دلائل الإمامة: ٢٤١، غيبة الطوسي: ٢٨٣.

حجر، ولا يقرع أحداً في ولايته بسوط إلاّ في حد» «١»، أما مع أُمته فهو «الرؤوف الرحيم» بهم وهو الموصوف بأنه «المهدي كأنما يعلق المساكين الزُّبد» «٢»، وهو الصدر الرحب الذي تجد فيه الأمة ملاذها المنقذ فهي: «تأوي إليه أُمته كما تأوي النحلة الى يعسوبها»«٣» أو «كما تأوي النحل الى بيوتها»«٤» .

«١» صحيح البخاري: ٤ / ٣٠٥، مسلم: ١ / ١٣٦، تأريخ البخاري: ٧ / ٢٣٣، سنن ابن ماجة: ٢/ ١٣٥٧، سنن الترمذي: ٤/ ٥١٢، صحيح البخاري: ٣ / ١٠٧، فتن ابن حماد: ١٠٣ وغيرها كثير مروية من طرق الفريقين.

«٢» الدر المنثور للسيوطي: ٢ / ٣٥٠.

«٣» أمالي الشجري: ٢ / ٧٧.

«٤» غيبة النعماني: ٢٣٢، عقد الدرر للمقدسي الشافعي: ٢٢٧، تهذيب الأحكام: ٦/ ١٥٤.

علائم ظهوره ﷻ ما هي؟

إذا كان للإمام الغائب، ظهوراً بعد غيبة طويلة، فلا بدّ من أن يكون لظهوره علائم وأشراط، تخبر عن ظهوره، فما هي هذه العلائم؟

الجواب

إنّ ما جاء في كتب الأحاديث من الحوادث والفتن الواقعة في آخر الزمان على قسمين:

الأول: قسم هو من أشراط الساعة وعلامات دنو القيامة.

الثاني: وقسم هو ما يقع قبل ظهور المهدي المنتظر ﷻ.

وربما وقع الخلط بينهما في الكتب، ونحن نذكر القسم الثاني منهما، وهو عبارة عن أُمور عدّة، منها

١. النداء في السماء.

٢. الخسوف والكسوف في غير مواقعهما.

٣. الشقاق والنفاق في المجتمع.

٤. ذيوع الجور والظلم والهرج والمرج في الأُمّة.

٥. ابتلاء الإنسان بالموت الأحمر والأبيض.

٦. قتل النفس الزكية.

٧. خروج الدجال.

٨. خروج السفياني.

وغير ذلك مما جاء في الأحاديث الإسلامية «١».

هذه هي علامات ظهوره، ولكن هناك أُموراً تمهّد لظهوره، وتسهّل تحقيق أهدافه نشير إلى أبرزها:

١. الاستعداد العالمي: والمراد منه أنّ المجتمع الإنساني "بسبب شيوع الفساد" يصل إلى حدّ، يقنط معه من تحقق الإصلاح بيد البشر، وعن طريق المنظمات العالمية التي تحمل عناوين مختلفة، وأنّ ضغط الظلم والجور على الإنسان يحمله على أن يذعن ويقرّ بأنّ الإصلاح لا يتحقق إلاّ بظهور إعجاز إلهي، وحضور قوة غيبية، تدمر كل تلك التكتلات البشرية الفاسدة، التي قيّدت بأسلاكها أعناق البشر.

٢. تكامل العقول: إنّ الحكومة العالمية للإمام المهدي عليه السلام لا تتحقق بالحروب والنيران والتدمير الشامل للأعداء، وإنّما تتحقق برغبة الناس إليها، وتأييدهم لها، لتكامل عقولهم ومعرفتهم.

«١» لاحظ في الوقوف على هذه العلائم: بحار الأنوار، ج ٥٢، الباب ٢٥، ص ١٨١-٣٠٨. كتاب المهدي، للسيد صدر الدين الصدر «م ١٣٧٣». ومنتخب الأثر، ص ٤٢٤-٤٦٢.

يقول الإمام الباقر عليه السلام في حديث له يرشد فيه إلى أنّه إذا كان ذلك الظرف، تجتمع عقول البشر وتكتمل أحلامهم: إذا قام قائمنا، وضع الله يده على رؤوس العباد، فيجمع بها عقولهم، تكتمل به أحلامهم «١»

فقوله عليه السلام : يجمع بها عقولهم، بمعنى أنّ التكامل الاجتماعي يبلغ بالبشر إلى الحدّ الذي يقبل فيه تلك الموهبة الإلهية، ولن يترصد للثورة على الإمام والانقلاب عليْه، وقتله أو سجنه.

٣. تكامل الصناعات: إنّ الحكومة العالمية الموحّدة لا تتحقق إلاّ بتكامل الصناعات البشرية، بحيث يسمع العالم كلّه صوته ونداءه، وتعاليمه قوانينه في يوم واحد وزمن واحد.

قال الإمام الصادق عليه السلام : إنّ المؤمن في زمان القائم، وهو بالمشرق، يرى أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرى أخاه الذي بالمشرق «٢».

٤. الجيش الثوري العالمي: إنّ حكومة الإمام المهدي عليه السلام : وإن كانت قائمة على تكامل العقول، ولكن الحكومة لا تستغني عن جيش فدائي ثائر وفعال، يمهّد الطريق للإمام عليه السلام ، ويواكبه بعد الظهور إلى تحقق أهدافه وغاياته المتوخّاة.

«١» منتخب الأثر، ص ٤٨٣.

«٢» منتخب الأثر، ص ٤٨٣.

من خصائص المهدي الموعود ﷺ في غيبته

في نهاية المطاف لا بدَّ أن نتعرض لما يختصُّ بالإمام الحجَّة ﷺ، من خلال ما ورد في الروايات عن لسانه، أخباره وصفاته وسكنه ولياليه وأيَّامه، بنفسي أنت من مغيَّب لم يخل منَّا، بنفسي أنت من نازح ما نزح عنَّا، بنفسي أنت أمنية شائق يتمنى، من مؤمن ومؤمنة ذكرا فحنًّا.

وهناك العديد من الروايات التي وردت عن لسانه ﷺ يذكر فيها ما يتعلق به، سنستعرضها ضمن التالي:

أولا: محلُّ إقامته ﷺ:

- إنَّ أبي ﷺ عهد إليَّ أن لا أوطّن من الأرض إلا أخفاها وأقصاها «١» إسراراً لأمري، وتحصيناً لمحلي من مكائد أهل الضلال والمردة من أحداث

«١» أقصاها: أبعدها.

الأمم الضوالّ«١» فنبذني إلى عالية الرّمال «٢»، وجبت صرائم الأرض «٣»، تنظرني الغاية التي عندها يحلُّ الأمر، وينجلي الهلع «٤».

- فعليك يا بني بلزوم خوافي الأرض، وتتبع أقاصيها، فإنَّ لكلِّ وليٍّ من أولياء الله ﷻ عدواً مقارعاً، وضداً منازعاً افتراضاً لمجاهدة أهل نفاقه وخلافه، أولي الإلحاد والعناد فلا يوحشَّنك ذلك «٥».
- أبي أبو محمد «٦» عهد إلي أن لا أجاور قوماً غضب الله عليهم ولعنهم ولهم الخزي في الدنيا والآخرة ولهم عذاب أليم وأمرني أن لا أسكن من الجبال إلاَّ وعرها ومن البلاد إلاَّ قفرها والله ـ مولاكم ـ أظهر التقية فوكلها بي، فأنا في التقية إلى يوم يؤذن لي فأخرج «٧».

«١» الضوال: جمع الضالة.

«٢» كناية عن الجبال.

«٣» صرائم الأرض: القاحلة الخالية من بناء أو زرع أو سكن.

«٤» كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص ١٢١.

«٥» م.ن.

«٦» يعني والده الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام.

«٧» الغيبة، الطوسيّ «ت: ٤٦٠ هـ»: تحقيق: عباد الله الطهرانيّ، وعلي أحمد ناصح، منشورات مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، قم ـ إيران، ط. الأولى ١٤١١ هـ ـ ص ٢٦٦.

ثانيا: خزائن الحكم

- وكان الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنبط«١» لي من خزائن الحكم وكوامن العلوم ما إن أشعّت إليك منه جزأً أغناك عن الجملة «٢».

إعلاء الدين

- إعلم يا أبا إسحاق أنَّه قال «صلوات الله عليه»: يا بنَّي إنَّ الله جلَّ ثناؤه لم يكن ليخلي أطباق أرضه، وأهل الجد في طاعته وعبادته، بلا حجَّة يستعلى بها، وإمام يؤتم به، ويقتدي بسبل سننه ومنهاج قصده، وأرجو يا بنيَّ أن تكون أحد من أعدَّه الله لنشر الحق وطي البـــاطل، وإعلاء الدين وإطفاء الضلال «٣».

«١» انبط: وصل حفار البئر إلى الماء.

«٢» كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج٢، ص ١٢١.

«٣» المصدر.

- أنا المهديُّ، وأنا قائم الزمان، وأنا الَّذي أملؤها عدلاً كما ملئت جوراً. إنَّ الأرض لا تخلو من حجَّة ولا يبقى الناس في فترة «١». وهذه أمانة لا تحدِّث بها إلا إخوانك من أهل الحقِّ «٢»، «٣» ، «٤» .

"بعث الحسين بن علي بن بابويه ـ والد الشيخ الصدوق قدس سره مع أبي القاسم الحسين بن روح برقعة إلى صاحب الأمر عليه السلام يسأله فيه الولد، فكتب عليه السلام في الجواب: «قد دعونا الله لك بذلك، وسترزق ولدين ذكرين خيِّرين». فولد له أبو جعفر «الصدوق» وأبو عبد الله من أمِّ ولد. وكان أبو عبد الله الحسين بن عبيد الله يقول: سمعت أبا جعفر «يعني الشيخ الصدوق» يقول: أنا ولدت بدعوة صاحب الأمر عليه السلام ويفتخر بذلك «٥».

«١» الفترة: المقصود بها زمان لا يوجد فيه حجّة.

«٢»ينابيع المودّة لذي القربى، سليمان بن ابراهيم القندوزي البلخي، دار الأسوة للطباعة والنشر، ص٤٦٤.

«٣» ثم جاء في النص ما يلي: وكان في القافلة الأخيرة فسلم بنفسه وقتل من تقدّمه في القوافل الأخرى.

«٤» بحار الأنوار، م.ن: نقلاً عن شيخ الطائفة الشيخ الطوسي قدس سره في كتاب «الغيبة»، ج٥١، ص٢٩٣ قال: حدّثني جماعة عن الحسين بن علي بن بابويه قدس سره وهو والد الشيخ الصدوق رحمه الله قال: حدّثني جماعة من أهل بلدنا المقيمين كانوا ببغداد بالسنة الّتي خرجت القرامطة على الحجّ وهي سنة تناثر الكواكب أن والدي رضي الله عنه كتب إلى الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح يستأذن في الخروج إلى الحجّ فخرج في الجواب... .

- كتب رجل يسأل الدعاء في حمل له فورد عليه الدعاء في الحمل قبل الأربعة الأشهر، فجاء كما قال عليه السلام «١» . بسم الله الرحمن الرحيم يا بن أبي روح أودعتك عاتكة بنت الديراني كيساً فيه ألف درهم بزعمك، وهو خلاف ما تظن، وقد أتيت فيه الأمانة ولم تفتح الكيس، ولم تدر ما فيه، وفيه ألف درهم وخمسون ديناراً، ومعك قرط زعمت المرأة أنَّه يساوي عشرة دنانير. صدقت مع الفصَّين الَّذين فيه، وفيه ثلاث حبات لؤلؤ شراؤها عشرة دنانير... وارجع إلى منزلك فإنَّ عمَّك قد مات، وقد رزقك الله أهله وماله «٢» " «٣» .

هات ما معك. فناولته الرقعة، فقال من غير أن ينظر إليها: قل له لا خوف عليك في هذه العلَّة ويكون ما لابدَّ منه بعد ثلاثين سنة. قال: فوقع عليَّ

«١» م.ن: عن كتاب النجوم.

«٢» ثمّ جاء النص بعد ذلك كما يلي: «قال» فرجعت إلى بغداد، وناولت الكيس حاجزاً، فوزنه فإذا فيه ألف درهم وخمسون دينار فناولني ثلاثين ديناراً، وقال أمرت بدفعها إليك لنفقتك، فأخذتها وانصرفت إلى الموضع الّذي نزلت فيه، وقد جاءني من يخبرني أنّ عمي قد مات، وأهلي يأمروني بالانصراف إليهم فرجعت فإذا هو قد مات، وورثت منه ثلاثة آلاف دينار ومائة ألف درهم.

«٣» بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥١، ص ٢٩٥-٢٩٦.

الدَّمع حتى لم أطق حراكاً وتركني وانصرف «١»، «٢». آجرك الله في صاحبك فقد مات، وأوصى بالمال الَّذي كان معه إلى ثقة يعمل فيها بما يجب «٣»، «٤».

«١» ثمّ جاء النص بعد ذلك كما يلي: قال أبو القاسم: فأعلمني بهذه الجملة فلمّا كان سنة سبع وستين «أي: بعد ثلاثين سنة كما قال الإمام المهديّ ﷺ اعتلّ أبو القاسم، وأخذ يأخذ في أمره وتحصيل جهازه إلى قبره، فكتب وصيّته، واستعمل الجدّ في ذلك، فقيل له: ما هذا الخوف؟ وترجو أنْ يتفضّل الله بالسلامة، فما عليك بمخوفة فقال: هذه السنة الّتي خوفت فيه، فمات في علّته.

«٢» كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، الشيخ علي بن عيسى الأربلي، ج٣، ص٤١١.

«٣» وجاء بعده النصُّ كما يلي: وأُجيب عن كتابه وكان الأمر كما قيل له.

«٤» بحار الأنوار، العلّامة المجلسي، ج ٥١، ص ٢٩٩، نقلاً عن الإرشاد عن أبي قولويه عن الكليني، عن علي بن محمّد، عن الحسن بن عيسى العريضي قال: لمّا مضى أبو محمّد الحسن بن علي عليه السلام ورد رجل من مصر بمال إلى مكّة لصاحب الأمر عليه السلام فاختُلف عليْه، وقال بعض الناس: إنّ أبا محمّد قد مضى من غير خلف، وقال آخرون: الخلف من بعده ولده، فبعث رجلاً يكنّى أبو طالب إلى العسكر - يعني: سامرّاء - يبحث عن الأمر وصحّته، ومعه كتاب، فصار الرجل إلى جعفر، وسأله عن برهان. فقال له جعفر: لا يتهيّأ لي في هذا الوقت، فصار الرجل إلى الباب، ونفذ الكتاب إلى أصحابنا الموسومين بالسفارة فخرج إليه... .

شخصيات لامعة في الحركة المهدوية

أولا: اليماني والحسني

فقد ورد في جملة من الروايات منها: ما رواه النعماني بسنده عن أبي بصير عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليهما السلام أنّه قال في حديث يذكر عليه السلام فيه علامات الظهور الحتميّة، كالصيحة لجبرئيل في شهر رمضان، ثمّ صوت إبليس اللعين، وخروج السفياني والخراساني كفرسي رهان يستبقان إلى الكوفة، ثمّ قال: خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضاً، فيكون البأس من كلّ وجه، ويل لمن ناواهم، وليس في الرايات أهدى من راية اليماني، هي راية هدى، لأنّه يدعو إلى صاحبكم، فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على النّاس وكلّ مسلم، وإذا خرج اليماني فانهض إليه، فإنّ رايته راية هدى، ولا يحلّ لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النّار، لأنّه يدعو إلى الحقّ وإلى صراط مستقيم «١».

وفي الرواية جملة نقاط:

«١» الغيبة، النعماني: ٢٩٤، باب ١٦، ح ١١.

الأولى: أنّها تحدّد علامة اليماني بعلامة الظهور الحتميّة، وهي الصيحة السماوية، وقد ذكر في أوصاف تلك الصيحة، والتي هي نداء جبرئيل من السماء أنّه يسمعه أهل الأرض، كلّ أهل لغة بلغتهم، واستيلاء السفياني على الشام، وهكذا التحديد للخراساني الذي قد يعبّر عنه في روايات اُخرى بالحسني. وهذا التحديد يقطع الطريق على أدعياء هذين الاسمين قبل الصيحة والنداء من السماء، وقبل استيلاء السفياني على الشام. وبعبارة اُخرى: التحديد لهما هو بسنة الظهور وعلاماتها من الصيحة والخسف بالبيداء وخروج السفياني.

الثانية: أنّ مقتضى تعليل الرواية لراية اليماني بأنّها راية هدى، لأنّه يدعو إلى صاحبكم، هو إبداء التحفّظ على راية الحسني، وعدم خلوص دعوته إلى المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف ، ويظهر من روايات اُخرى أنّ ذلك لتضمّن جيشه جماعة تقول إنّ الإمام والإمامة هي لمن يتصدّى علناً بقيادة اُمور المسلمين وإصلاحها لا أنّها بالنصّ الإلهي، وقد اصطلحت الروايات عليهم بالزيديّة، والمراد باللفظة المعنى النعتي والإشارة إلى ذلك المقال والمعتقد لا المسمّين بالزيديّة كاسم علم. وبعبارة اُخرى: أنّ الحسني يتبنّى الإمامة بالتصدّي للأمور والإصلاح العلني، بينما يتبنّى اليماني أنّ الإمامة بالنصّ الإلهي على الاثني عشر آخرهم المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

الثالثة: أنّ الرواية تعلّل حرمة الالتواء على اليماني بأنّه يدعو إلى الحق والصراط المستقيم وإلى المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فالمدار في مناصرته على توفّر الميزان والحدود الشرعيّة. وبعبارة أدقّ: الرواية تدلّ على حرمة العمل المضادّ لحركته لإفشالها، ففرق بين التعبير بالإلتواء عليه والالتواء عنه، فكلمة «عليْه» تفيد السعي المضاد لحركته لا

صرف المتاركة لحركته بخلاف كلمة «عنه»، فإنّها تفيد الانصراف والابتعاد عن حركته. نعم الأمر بالنهوض إليه يفيد المناصرة، والظاهر أنّ مورده لمن كان في معرض اللقاء به والمصادفة لمسيره، إذ سيأتي استعراض طوائف من الروايات تحثّ على النهوض والتوجّه إلى مكّة المكرّمة للانخراط في الإعداد لبيعة الحجّة في المسجد الحرام.

ويتحصّل أنّ الرواية لا يستفاد منها أنّ اليماني من النوّاب الخاصّين والسفراء للإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ولا تشير إلى ذلك من قريب ولا بعيد، ولا دلالة لها على وجود ارتباط واتّصال له مع الحجّة عليه السلام، وإنّما تجعل المدار على كون البرنامج الذي يدعو اليه هو على الميزان الحقّ لأهل البيت عليهم السلام، وأنّه لا ينادي إلى تشكيل دولة هو يترأّسها، بل يواكب خروجه زمان الصيحة والنداء من السماء الذي يدعو إلى نصرة المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فيكون خروج اليماني على ضوء برنامج الصيحة السماويّة ونداء جبرئيل.

كما أنّ ظاهر الرواية دالّ على كون خروج الخراساني من خراسان، وهو وجه تسميته تارة بالخراساني، واُخرى بالحسني، كما في هذه الرواية ... «حتّى يخرج عليهم الخراساني والسفياني، هذا من المشرق وهذا من الغرب، يستبقان إلى الكوفة كفرسي رهان: هذا من هنا وهذا من هنا حتّى يكون هلاك بني فلان على أيديهما».

والحاصل: أنّ أهمّ ما ورد في اليماني لا يرقى إلى إثبات نيابته الخاصّة عن الحجّة، وكونه سفيراً لناحيته المقدّسة، بل غاية الأمر كون دعوته هي إلى الحقّ، وهو

منهاج أهل البيت عليهم السلام وولايتهم وولاية المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، ولا يدعو إلى برنامج إصلاحي يترأّس هو فيه، ويعيّن فيه نفسه للقيادة. ...

واما ما ورد في الحسني الخراساني الذي يخرج من خراسان، فإنّه قد مرّ ورود التعريض برايته من حيث شعارها وبرنامجها ووسط القاعدة الشعبيّة الذي يتشكّل منه جيشه، وإن انضمّ ذلك إلى مديح لبعض الفئات المشاركة في نهضته ولشخصه عندما يسلّم الأمر إلى المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، وباعتبار مقاومته للظالمين، ولكن ليس فيها إعطاء أيّة صفة رسميّة للحسني لا كنائب خاصّ، ولا كسفير للناحية المقدّسة. هذا مع تحديد الروايات لخروجه بنفس سنة الظهور وعلاماتها الحتميّة من الصيحة السماويّة، واستيلاء السفياني على بلاد الشام، وخسف فرقة من جيشه ببيداء المدينة المنوّرة.

ثانيا: ذو النفس الزكية والمقتول بين الركن والمقام

ذو النفس الزكيّة، ورد التعبير به عن شخصيّتين: إحداهما وهي الأقلّ وروداً في الروايات على شخصيّة يقتل بظهر الكوفة، وثانيها: الذي يُقتل بين الركن والمقام، بل في بعض روايات الأدعية الواردة عنهم إطلاق النفس الزكيّة على المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف . وقد روى الشيخ المفيد في الإرشاد في علامات الظهور ممّا قد جاءت به الآثار: «وقتل نفس زكيّة بظهر الكوفة في سبعين من الصالحين، وذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام»«١» .

«١» بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٥٢، الصفحة ٢٢٠.

فذكر كلّ منهما، ولكنّ الثاني أكثر وروداً في الروايات، وفي جملة منها أنّ قتله بين الركن والمقام من العلامات الحتميّة، وانّ اسمه محمّد بن الحسن، وأنّه من ذرّيّة الحسين عليه السلام ، وأنّه من خواص أصحاب المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، لكنّ خروجه في مكّة مرتبط بفاصل أيّام وبينه وبين ظهور الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف للبيعة عند الركن خمسة عشرة ليلة، ففي صحيح عمر بن حنظلة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «خمس علامات قبل قيام القائم: الصيحة، والسفياني، والخسف، وقتل النفس الزكيّة، واليماني»، فقلت: جعلت فداك، إن خرج أحد من أهل بيتك قبل هذه العلامات أنخرج معه؟ قال: «لا»، فلمّا كان من الغد تلوت هذه الآية:﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٤] ، فقلت له: أهي الصيحة؟ فقال: «أما لو كانت خضعت أعناق أعداء الله عزّ وجلّ »«١» ، فيظهر من الصيحة أنّ قتل النفس الزكية، والمراد به الذي يقتل في الكعبة بين الركن والمقام، من العلامات الحتميّة للظهور، كما أنّ في الصيحة تحذيراً أكيداً، وتنبيهاً بالغاً على عدم الانخداع وراء أدعياء أسماء الظهور قبل تحقّق العلامات الحتميّة من الصيحة والسفياني والخسف لجيشه في صحراء المدينة المنوّرة، وإنّ من أهمّ علامات الظهور الصيحة والنداء من السماء.

«١» بحار الأنوار، العلامة المجلسي،ج ٥٢، ص ٣٠٤.

روى الصدوق أيضاً في إكمال الدين، بإسناده عن صالح مولى بني العذارء، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: «ليس بين قيام آل محمّد وبين قتل النفس الزكيّة إلاّ خمس عشرة ليلة»«١» . ورواه الشيخ في الغيبة، والمفيد في الإرشاد.

ومفاد الرواية أنّ قتل النفس الزكيّة في المسجد الحرام من العلامات البارزة الجليّة الظهور، كما تؤكّد الرواية كما مرّ في غيرها على الحذر الشديد، واليقظة البالغة من الانجرار والانجراف وراء أدعياء رايات الظهور، وشعارات الإصلاح، وقد جعل العلامات الفاصلة بين الملتبس المشتبه وبين الظهور الحقيقي هو الصيحة السماويّة.

وروى السيّد عليّ بن عبد الحميد يرفعه إلى أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال: «يقول القائم عليه السلام لأصحابه: يا قوم، إنّ أهل مكّة لا يريدونني، ولكنّي مرسل إليهم لأحتجّ عليهم بما ينبغي لمثلي أن يحتجّ عليهم، فيدعو رجلاً من أصحابه فيقول له: امض إلى أهل مكّة فقل: يا أهل مكّة، أنا رسول فلان إليكم، وهو يقول لكم: إنّا أهل بيت الرحمة، ومعدن الرسالة والخلافة، ونحن ذرّيّة محمّد، وسلالة النبيّين، وإنّا قد ظلمنا واضطهدنا وقهرنا وابتزّ منّا حقّنا منذ قبض نبيّنا إلى يومنا هذا، فنحن نستنصركم فانصرونا، فإذا تكلّم هذا الفتى بهذا الكلام أتوا إليه فذبحوه بين الركن والمقام، وهي النفس الزكيّة، فإذا بلغ ذلك

«١» المصدر، ج ٥٢ / ص ٢٠٣، ح ٣٠ .

الإمام قال لأصحابه: ألا أخبرتكم أنّ أهل مكّة لا يريدوننا فلا يدعونه حتّى يخرج فيهبط من عقبة طوى في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً...»«١» .

ويظهر من هذه الرواية أنّ ذا النفس الزكيّة «محمّد بن الحسن» الحسيني له نيابة خاصّة من الحجّة ﷺ لإبلاغ رسالته إلى أهل مكّة، ولكنّ ذلك بعد الصيحة السماويّة، أي في الظهور الأوّل الأصغر الذي يبتدأ بعد الصيحة السماويّة في رجب، أو في شهر رمضان بحسب تعدّد لسان الروايات. وأمّا الظهور الأكبر فهو يبتدأ عندما يسند ظهره الشريف إلى الركن من الكعبة لأخذ البيعة في ابتداء دولته العالميّة.

ثالثا: شعيب بن صالح والسلمي

وروى الطوسي في الغيبة عن حذلم بن بشير، قال: قلت لعليّ بن الحسين: صف لي خروج المهدي، وعرّفني دلائله وعلاماته؟ فقال: «يكون قبل خروجه خروج رجل يقال له عوف السلمي بأرض الجزيرة، ويكون مأواه تكريت، وقتله بمسجد دمشق، ثمّ يكون خروج شعيب بن صالح من سمرقند، ثمّ يخرج السفياني الملعون من الوادي اليابس».

ويظهر من هذه الرواية أنّ بدء طلوع اسم شعيب بن صالح هو من مدينة سمرقند. وأمّا عوف السلمي فيحتمل من الرواية أنّه من غير الموالين لأهل البيت عليهم السلام ، حيث يكون مأواه تكريت وساحة حركته في المدن غير الموالية.

«١» بحار الأنوار ٥٢: ٣٠٧/ الرواية ٨١، هذا الحديث مرفوع.

وروي في مختصر بصائر الدرجات في حديث الظهور عن الحسين بن حمدان بإسناده عن المفضّل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام عند ذكره لخروج الحسني الفتى الصبيح من الديلم، وأنّه تجيبه كنوز الله بالطالقان، وهي الرجال كزبر الحديد، وفيه: «لكأنّي أنظر إليهم على البراذين الشهب، بأيديهم الحراب، يتعاوون شوقاً إلى الحرب كما تتعاوى الذئاب، أميرهم رجل من بني تميم يقال له شعيب بن صالح... ثمّ يسير أي الحسني بتلك الرايات كلّها حتّى يرد الكوفة، وقد جمع بها أكثر أهل الأرض يجعلها له معقلاً...»«١» .

وهذه الرواية ترسم أن حركة شعيب بن صالح من سمرقند ونهضته حينما تقبل إلى شمال إيران «الديلم» تلتحم بحركة الحسني ويكون شعيب بن صالح أميراً لجيش الحسني، ولا بدّ أنّ شعيب بن صالح لا يبقى طويلاً مع الحسني بعدما تقع الصيحة السماويّة ونحوها من العلامات الحتميّة، بل يلتحق بمكّة المكرّمة للالتحاق بجيش المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف ؛ فالرواية هذه تفصح عن نسب شعيب بن صالح أنّه من بني تميم، ولعلّه من مواليد الديلم حيث يكون بدأ حركته منها، كما هو الحال في الحسني، لعلّه من مواليد سمرقند بعد كون بدأ حركته من الديلم، وهي شمال ايران هذا، ولعلّ شعيب بن صالح الذي يكون على لواء جيش الامام المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف يغاير الذي يخرج من سمرقند، ويكون أميراً لجيش الحسني، كما احتمل ذلك الراوندي في «الخرائج والجرائح»، حيث روى عن ابن بابويه

«١» بحار الأنوار ، العلامة المجلسي ،ج ٥٣ ، ص ١٥.

بإسناده عن الحسين عليه السلام، قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أُبي بن كعب، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: «مرحباً بك يا أبا عبد الله، يا زين السماوات والأرض...»، ثمّ ذكر المهدي من ولده وخروجه: «يخرج وجبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وشعيب بن صالح على مقدّمته»«١» .

توصيات

التوصية الأولى:

أنّ الحاسم للشبهة والقاطع للريب في صيحات أدعياء حركة الظهور هو الصيحة السماويّة والنداء من السماء باسم المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، والأنباء بأنّه قد ظهر، وخروج السفياني واستيلاءه على الشام.

التوصية الثانية:

عدم تصريح الروايات الواردة عنهم عليهم السلام في اليماني أو الحسني أو شعيب بن صالح، لكونهم يحملون صفة نيابة خاصّة أو تمثيل رسمي من قِبل الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، عدا ذو النفس الزكيّة وتمثيله عن الحجّة عجل الله تعالى فرجه الشريف هو بعد الصيحة وخروج السفياني، وفي غضون خمس عشرة ليلة.

«١» الخرائج والجرائح، للقطب الراوندي، كمال الدين وتمام النعمة، للشيخ الجليل الأقدم الصدوق، ج ١، ص ٢٩٣.

التوصيّة الثالثة:

أنّ هناك سلسلة ومجموعات سوف تنتحل وتتقمّص اسم المهدويّة والأسماء المشاركة في حدث الظهور، وظاهر الروايات أنّ الانتحال تارة بنحو الاسم العلمي، وأُخرى الاسم النعتي والوصفي، منها:

ما رواه الصدوق في إكمال الدين بسند معتبر عن المفضّل بن عمر الجعفي، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال: سمعته يقول: «إيّاكم والتنويه، أما والله ليغيبنّ إمامكم سنيناً من دهركم، وليمحّص حتّى يقال مات أو هلك، بأيّ وادٍ سلك، ولتدمعنّ عليه عيون المؤمنين، ولتكفأنّ كما تكفأ السفن في أمواج البحر، فلا ينجو إلاّ من أخذ الله ميثاقه، وكتب في قلبه الإيمان، وأيدّه بروح منه، ولترفعنّ اثنتا عشرة راية مشتبهة، لا يدري أيّ من أيّ»، قال: فبكيت، فقال لي: «ما يبكيك يا أبا عبد الله؟»، فقلت: وكيف لا أبكي وأنت تقول: ترفع اثنتا عشر راية مشتبهة لا يدري أيّ من أي، فكيف نصنع؟ قال: فنظر إلى شمس داخلة في الصُّفّة، فقال: «يا أبا عبد الله، ترى هذه الشمس؟»، قلت: نعم، قال: «والله! لأمرنا أبين من هذه الشمس»«١» .

ورواه الطوسي في الغيبة بسنده أيضاً، والنعماني بطريقين آخرين، ومفاد الرواية ظاهر بيّن في نشوء حركات ترفع شعار الإصلاح، وتتقمّص مشروع المهدويّة

«١» بحار الأنوار ، العلامة المجلسي ،ج ٥٢ ، ص ٢٨١، ح٩ .

اسماً أو وصفاً، ومن ثمّ يشتبه الحال والأمر فيها، إلاّ أنّه عليه السلام حدّد ضابطة في استعلام نهضتهم عليهم السلام ، وهو ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف هو وضوحها وعدم حصول الالتباس فيها، وذلك لتقاربها مع العلامات الإلهيّة والآيات، كالصيحة السماويّة، والخسف بالبيداء لجيش السفياني بعدما يستولي السفياني على الشام، كما أنّ الرواية تنذر بوقوع الامتحان والتمحيص في أتباع أهل البيت عليهم السلام في عصر الغيبة، وأنّه لن يبقى على ولايتهم عليهم السلام إلاّ من كتب الله تعالى له الاستقامة.

ومنها: ما رواه الشيخ الطوسي في الغيبة في المعتبر عن أبي خديجة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لا يخرج القائم حتّى يخرج أثني عشر من بني هاشم، كلّهم يدعو إلى نفسه»«١» . ورواه المفيد في الإرشاد أيضا.

ولا غرابة في نهوض حركات يقودها إصلاحيون منتسبون إلى بني هاشم، إلاّ أنّ واقع مسيرتهم هي للقبضة والسيطرة على الحكم، كما حصل من قبل من بني العبّاس، فإنّهم منتسبون إلى بني هاشم، وكان شعارهم هو الرضا من آل محمّد عليهم السلام ، أي مقاومة الظلم الجاري على أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، إلاّ أنّهم لّما سيطروا على الحكم أصبحت حاكميّتهم ونظام حكمهم هو المحور والمدار والهدف الأقصى، ولا يتقدّم على أهمّيته أيّ شيء آخر. ومن المفارقات العجيبة أن يشاهد أنّ المنصور الدوانيقي العبّاسي المعروف بالفتك والبطش بالعلويّين

«١» بحار الأنوار ،العلامة المجلسي ،ج ٥٢ ، ص ٢٠٩، ح٤٧ .

وبأهل البيت عليهم السلام لخوفه من نفوذهم الذي يضعف حكومته ونظامه السياسي ينادي بشعار نصرة المهدي من أهل البيت عليهم السلام ، ويقوم بنشر علائم ظهوره، فقد روى الطوسي في الغيبة، والمفيد في الإرشاد، والكليني في الكافي بطرقهم عن إسماعيل بن الصباح، قال: سمعت شيخنا يذكره عن سيف بن عميرة، قال: كنت عند أبي جعفر المنصور، فسمعته يقول ابتداءً من نفسه: «يا سيف بن عميرة، لا بدّ من منادٍ ينادي باسم رجل من ولد أبي طالب من السماء»، فقلت: يرويه أحد من النّاس؟

قال: «والذي نفسي بيده، لسمع أُذني منه يقول: لا بدّ من منادٍ ينادي باسم رجل من السماء»، قلت: يا أمير المؤمنين، إنّ هذا الحديث ما سمعت بمثله قطّ، فقال: «يا سيف، إذا كان ذلك فنحن أوّل من يجيبه، أما إنّه أحد بني عمّنا»، قلت: أي بني عمّكم؟ قال: «رجل من ولد فاطمة عليها السلام »، ثمّ قال: «يا سيف، لولا أنّي سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ يحدّثني به ثمّ حدّثني به أهل الدنيا ما قبلت منهم، ولكنّه محمّد بن عليّ»«١» . فترى المنصور العبّاسي مع استبداده في حكمه السياسي يتقمّص شعار أنصار الظهور.

«١» بحار الأنوار ،العلامة المجلسي ،ج ٥٢، ص ٣٠٠، ح٦٥ .

التوصية الرابعة:

الواردة في روايات الظهور: النهي عن التوقيت، وتكذيب من يوقّت، وأنّ وقت الظهور هو من الغيب المستور، بل إنّ في جملة من الروايات الأُخرى أنّ العلامات الحتميّة أيضاً ممّا قد يقع فيها البداء، أي وإن وقعت فقد لا تكون علامة موقتة لظهوره بخلاف أصل ظهور المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف ، فإنّه لا بداء فيه لأنّه من الميعاد.

وهذا ممّا يبطل شعار أدعياء فرسان الظهور، ويحبط دجل المتقمّصين لأسماء مسرح الظهور، إذ التوقيت وضرب الموعد من الأُمور المحرجة لمن يدّعي تلك الأسماء، إذ بتوسّط فخّ التوقيت يصطاد السذّج، ويطلي الحيلة على المغفّلين، وبذلك يوقع المدّعي نفسه في الفخّ.

و صريح الروايات المستفيضة بأنّ عدم التوقيت لظهور المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف من الأُمور الثابتة في مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وأنّ تحديد الظهور منحصر بالعلامات الحتميّة للظهور فقط، وأبرزها الصيحة السماويّة، وخروج السفياني في الشام.

... ما رواه النعماني أيضاً في الغيبة بسنده عن داود بن أبي القاسم، قال: كنّا عند أبي جعفر محمّد بن عليّ الرضا عليه السلام فجرى ذكر السفياني وما جاء في الرواية من أنّ أمره من المحتوم، فقلت لأبي جعفر عليه السلام : هل يبدو لله في المحتوم؟ قال: «نعم»، قلنا له: فنخاف أن يبدو لله في القائم، قال: «القائم من الميعاد»«١» .

«١» بحار الأنوار ، العلامة المجلسي ،ج ٥٢ ، ص ٢٥٠، ح١٣٨ .

التوصية الخامسة:

لزوم الثبات والاستقامة في أدوار التمحيص والامتحان في الغيبة: منها: ما رواه النعماني بسنده عن أبي بصير، قال: سمعت أبا جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام يقول: «والله! لتميّزنّ، والله لتمحّصنّ، والله لتغربلنّ كما يغربل الزؤان من القمح، والزّؤان هو الحبّ الذي يشبه الحنطة ويصغر عنه حجماً ينبت بين الحنطة»«١» .

وروي عن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سمعه يقول: «ويل لطغاة العرب من شرّ قد اقترب»، قلت: جعلت فداك، كم مع القائم من العرب؟ قال: «شيء يسير»، فقلت: والله إنّ من يصف هذا الأمر منهم لكثير، فقال: «لا بدّ للنّاس من أن يمحّصوا ويميّزوا ويغربلوا ويخرج من الغربال خلق كثير»«٢».

وفي رواية أُخرى لمّا قيل له: إنّ شيعته كثير، فقال أبو عبد الله عليه السلام : «أما لو كملت العدّة الموصوفة ثلاثمائة وبضعة عشر كان الذي تريدون، ولكنّ شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه، ولا شحناؤه بدنه، ولا يمدح بنا معلناً، ولا يخاصم بنا قالياً، ولا يجالس لنا عايباً، ولا يُحدِّث لنا ثالباً، ولا يحبّ لنا مبغضاً، ولا يبغض لنا محبّاً»، فقلت: فكيف أصنع بهذه الشيعة المختلفة الذين يقولون إنّهم يتشيّعون؟ فقال: «فيهم التمييز، وفيهم التمحيص، وفيهم التبديل، يأتي عليْهم سنون

«١» المصدر، ج ٥٢ ، ص ١١٤، ح٣٢ .

«٢» المصدر، ج ٥، ص ٢١٩، ح١٣ .

تفنيهم، وسيف يقتلهم، واختلاف يبدّدهم، إنّما شيعتنا من لا يهرّ هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل النّاس بكفّه، وإن مات جوعاً»«١» .

وهذه الرواية حاسمة في بيان علامة الاستقامة على ولاية أهل البيت عليهم السلام ، والرواية تنبأ عن مروق كثير من الشيعة من التشيّع لتولّيهم المخالفين ومعاداتهم للموالين تحت شعارات خدّاعة، وعناوين ملتبسة تنطوي على شرائح كثيرة لا تبصر الحقيقة من الدجل.

التوصية السادسة:

التحذير عن الخفّة والانزلاق وراء أدعياء الإصلاح المواكب للإصلاح الشامل المهدوي. فقد مرّت رواية العيّاشي عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام يقول: «إلزم الأرض لا تحرّكنّ يدك ولا رجلك أبداً حتّى ترى علامات أذكرها لك في سنة» ثمّ ذكر العلامات المحتومة مع تفاصيل كلّ منها، وقال: «وإيّاك وشذاذ من آل محمد عليهم السلام ، ولا تتّبع منهم رجلاً أبداً حتّى ترى رجلاً من ولد الحسين معه عهد نبيّ الله ورايته وسلاحه...»«٢» .

وروى النعماني بإسناده عن عمر بن سعد، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يقوم القائم حتّى تفقأ عين الدنيا، وتظهر الحمرة في السماء، وتلك دموع حملة العرش على أهل الأرض، وحتّى يظهر فيهم قوم لا خلاق لهم، يدعون لولدي وهم براء

«١» المصدر، ج ٦٥ ،ص ١٨٠، ح٣٩ .

«٢» المصدر، ج ٥٢ ، ص ٢٢٢، ح٨٧ .

من ولدي تلك عصابة رديئة لا خلاق لهم، على الأشرار مسلّطة، وللجبابرة مفتنة، وللملوك مبيرة »«١» .

وروى النعماني أيضاً بسنده عن جابر، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «يا جابر، إلزم الأرض ولا تحرّك يداً ولا رجلاً حتّى ترى علامات أذكرها لك إن أدركتها»، ثمّ ذكر عليه السلام العلامات الحتميّة للظهور«٢» .

وروى النعماني بسنده عن أبي خالد الكابلي، عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «كأنّي بقوم خرجوا بالمشرق، يطلبون الحقّ فلا يعطونه، ثمّ يطلبونه فلا يعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم، فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتّى يقوموا، ولا يدفعونها إلاّ إلى صاحبكم، قتلاهم شهداء، أما إنّي لو أدركت ذلك لأبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»«٣» .

والظاهر من هذه الرواية انطباقها على خروج الحسني الخراساني حيث إنّه يظهر من المشرق من خراسان أو الديلم، كما في ألسنة الروايات المختلفة، وهو الذي يسلّم الراية، أي راية وقيادة جيشه، إلى المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف في الكوفة، كما في روايات اُخرى، وأنّ في جيش الخراساني بعض أصحاب القائم في بعض الروايات، وأنّه

«١» المصدر ،ج ٥٢ ، ص ٢٢٦، ح٩٠ .

«٢» المصدر ،ج ٥٢ ، ص ٢١٢، ح٦٢ .

«٣» المصدر ، ج ٥٢ ، ص ٢٤٣، ح١١٦ .

يصفّي الأرض التي يمرّ بها من الظلم إلى أن يصل إلى الكوفة، كما في روايات أُخرى مرّت الإشارة إليها، لكن مع ذلك يوصي عليه السلام بالإبقاء على النفس والمحافظة عليها لنصرة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف نفسه، أي تجنّب المشاركة في جيش الحسني الخراساني، وقد بيّنت بعض الروايات الأُخرى أنّ في جيشه شريحة من الزيديّة وصفاً وسلوكاً لا اسماً، يستعصون عليه في التسليم والانقياد للمهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ممّا يدلّل على أنّ المسار العام لجيش الحسني هو تبنّي الإمامة لمن يتصدّى علناً لتدبير الأُمور وإصلاحها، ويدلّ على ذلك أيضاً ما مرّ في بعض الروايات أنّ راية اليماني أهدى، لأنّ اليماني يدعو إلى صاحبكم، أي المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، أي أنّ اليماني تبنّى أنّ الإمامة بالنصّ المحدودة بالاثني عشر، بخلاف مسار ومرام الحسني فإنّه يتبنّى أنّ الإمامة بالتصدّي لإصلاح الأُمور والوضع العامّ، ومن ثمّ كنّي عن ذلك بوجود الزيديّة في جيشه أي مرام وسلوك الزيديّة لا التسمّي بذلك الاسم.

وروي في البحار عن كتاب سرور أهل الإيمان بإسناده عن أحمد بن محمّد الأيادي، رفعه إلى بريد، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال: «يا بريد، اتّق جمع الأصهب»، قلت: وما الأصهب؟ قال: «الأبقع»، قلت: وما الأبقع؟ قال: «الأبرص، واتّق السفياني، واتّق الشريدين من ولد فلان يأتيان مكّة، يقسمان بها الأموال، يتشبّهان بالقائم عليه السلام ، واتّق الشذاذ من آل محمّد»«١» .

«١» المصدر، ج ٥٢، ص ٢٦٩، ح١٦٠.

قال المجلسي قدس سره في ذيلها: قلت: ويريد بالشذاذ الزيديّة، لضعف مقالتهم، وأمّا كونهم من آل محمّد لأنّهم من بني فاطمة.

وعلى أي تقدير، فيظهر من الروايات أنّ الحركات التي تقوم بالشام من الأصهب والسفياني تحمل وترفع شعارات برّاقة منادية للإصلاح والرشاد في ظاهر حالها ممّا يوجب الانخداع والاغترار بها، هذا فضلاً عمّن يقوم بالحركات الأُخرى التي تضمّن في شعاراتها مزاعم الصلة بحركة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الإصلاحيّة.

وروى الكليني بسنده عن الفضل الكاتب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فأتاه كتاب أبي مسلم، فقال: «ليس لكتابك جواب، اخرج عنّا»، فجعلنا يسارّ بعضنا بعضاً، فقال: «أي شيء تسارّون يا فضيل؟ إنّ الله عزّ ذكره لا يعجل لعجلة العباد، ولإزالة جبل عن موضعه أيسر من زوال ملك لم ينقض أجله»، ثمّ قال: «إنّ فلان ابن فلان» حتّى بلغ السابع من ولد فلان قلت: فما العلامة فيما بيننا وبينه جعلت فداك؟ قال: «لا تبرح الأرض يا فضيل حتّى يخرج السفياني، فإذا خرج السفياني فأجيبوا إلينا يقولها ثلاثاً وهو من المحتوم» «١» ، والرواية تستعرض مسرح أحداث حركة أبي مسلم الخراساني المروزي الذي قاد الثورة على الأمويّين وتوافق مع العبّاسيّين بعد أن راسل الامام الصادق عليه السلام وبني الحسن، فآيس من إجابتهم لدعوته.

«١» المصدر، ج ٤٧، ص ٢٩٧، ٢٠.

ومن مجموع هذه الوصايا التي أمروا عليهم السلام بها، يتبيّن تأكيدهم عليهم السلام على عدم الاغترار وراء الحركات والنهضات المتشدّقة بشعارات الإصلاح التي هي شعار الإصلاح المهدوي عند ظهوره، وأنّه لا نيابة خاصّة للأسماء اللامعة في سنة الظهور.

وأنّ العلامة الأكيدة الحتميّة لانقطاع الغيبة ولمبدأ ظهوره في المدينة المنوّرة، ومن ثمّ ظهوره الأكبر العلني العالمي في مكّة المكرّمة هو الصيحة السماويّة لجبرئيل، وهو النداء من السماء، وقد حدّد في الروايات في شهر رجب وفي بعضها في شهر رمضان، وأنّه بعبارات متعدّدة.

والعلامة الثانية المحتّمة هي تحرّك السفياني في بلاد الشام واستيلائه عليها، وإرساله سرّية من جيشه إلى العراق، وأُخرى إلى المدينة المنوّرة لمواجهة المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف، فيخسف بذلك الجيش في بيداء المدينة.

وإنّ توقيت ظهور المهدي عجّل الله تعالى فرجه الشريف بغير ذلك من التحديد الزماني ما هو إلاّ خداع وتحايل على السذّج والبسطاء تغريراً بهم لاستمالتهم ولتسخيرهم حطباً ووقوداً لإنجاز مآرب الأدعياء المتقمّصين يصلون بهم إلى رئاستهم الباطلة.

وإنّ اللازم على الموالين المؤمنين في عصر الغيبة المتطاولة حتّى الظهور هو الثبات على الاعتقاد بإمامة الأئمّة الاثنى عشر، أي إمامة المهدي الحيّ الحاضر الشاهد لأحداث البشريّة والتدين بولايته الفعليّة وتولّي الموالين لأهل البيت عليهم السلام، والتبرّي القلبي، وفي النموذج السلوكي العملي من أعداءهم، والتمسّك بالثوابت من أحكام أهل البيت عليهم السلام، وعدم الافتتان بالشعارات البرّاقة الخدّاعة

المؤدّية إلى التخلّي عن التولّي والتبرّي وللمروق من معالم أحكام فقه أهل البيت ﷺ ومعارفهم.

الموضوع السابع: اثبات القضية المهدوية

المهديّ عليه السلام في القرآن

تمهيد

جلّ ما ورد بشأن المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف في القرآن الكريم، هي من دلالة باطن الآية الذي هو تأويلها دون تنزيلها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما في القرآن آية إلاّ ولها ظهر وبطن.

سُئل الإمام أبو جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام عن ذلك، فقال: ظهرُها تنزيلها وبطنها تأويلها.

والبطن والتأويل، عبارة عن المفهوم العام المنتزع عن الآية، بعد إلغاء الخصوصيّات المكتنفة، لتصبح الآية صالحة للانطباق على موارد مشابهة لمورد النزول، على مرّ الأيّام. الأمر الذي ضمن للقرآن بقاءه وشموله مع الخلود.

دلالات القرآن

١. دلالة بحسب ظاهره، مما يرتبط وشأن نزول الآية.

٢. ودلالة اخرى عامة صالحة للانطباق على الموارد المشابهة حسبما يأتى من زمان.

وبذلك أصبح القرآن حيّاً مع الأبد، وكان شفاء للناس ودواءً لأدوائهم في مختلف الازمان والعصور.

فمن الآيات التي ورد تأويلا بشـــأن المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ ﴾ [القصص: ٥]

هذه الآية نزلت بشأن قصّة فرعون وموسى وبنى اسرائيل.

ولكنّها عامة، إنها سنة الله جرت في الخلق، أنّ الله تعالى سوف يأخذ بيد المستضعفين ليرفعهم على المستكبرين، ويورثهم ارضهم وديارهم.

ففي حديث مفضَّل بن عُمَر، قال: سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول: انّ رسول الله صلى الله عليه وآله نظر الى علىّ والحسن والحسين عليه السلام فبكى، وقال: أنتم المستضعفون بعدى. قال المفضَّل: قلت: ما معنى ذلك؟ قال: معناه أنكم الأئمة بعدى، انّ الله عز وجل يقول: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ ﴾ [القصص: ٥] قال عليه السلام : فهذه الآية جارية فينا الى يوم القيامة.

وفي نهج البلاغة: لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها «١» عطف الضروس«٢» على ولدها.

وتلا عقيب ذلك: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ ﴾ [القصص: ٥].

قال ابن ابى الحديد: والأمامية تزعم أن ذلك وعد منه بالإمام الغائب الذي يملك الارض في آخر الزمان. واصحابنا يقولون: إنه وعد بإمام يملك الأرض ويستولى على الممالك، ولا يلزم ان يكون موجوداً. بل يكفي في صحة هذا الكلام أنه يخلق في آخر الوقت.

قلت، فقد اتفقت الكلمة بأن في الآية وعداً بإمام يملك الارض ويستولى على البلاد، قبل ان تقوم الساعة. إنما الإختلاف في أنه موجود الآن أم سوف يولد لوقته. لكنه من ولد على عليه السلام على أي حال.

وفي قوله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

والمراد من الزبور: زبور داود، جاء في سورة النساء ﴿ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ۝١٦٣ ﴾ [النساء: ١٦٣].

«١» الشماس: مصدر شمس الفرس، اذا منع من ظهره.

«٢» والضروس: الناقة السيّئة الخلق تعضّ حالبها، عطفا على ولدها.

وهو: كتاب المزامير، الوارد ضمن كتاب العهد القديم. جاء فيه: كُفَّ عن الغضب واترك السُّخط، ولا تَغَرْ لفعل الشّر، لان عاملي الشرّ يُقطعون.

والذين ينتظرون الربّ هم يرثون الأرض.

اما الوُدَعاء فيرثون الأرض ويتلذّذون في كثرة السلامة.

لان المباركين منه يرثون الارض، والملعونين منه يُقطعون.

الصدّيقون يرثون الأرض ويسكنونها الى الأبد.

وهكذا جاء في سورة النور: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴾ [النور: ٥٥] وهذا الوعد بالتمكين في الأرض بصورة مستوعبة ومستمرة مع الأبد، لم يتحقق للامّة المسلمة في أي وقت، سوى أنه وعد حتم يتحقق بظهور المهدى المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وجاء بشأن عيسى بن مريم عليهما السلام ورجوعه الى الدنيا في آخر الزمان واتباعه للإمام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٧-٥٨].

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٩]ـ الى قوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

[الزخرف: ٦١] قال ابن حجر الهيثمي: قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسّرين: انّ هذه الآية نزلت في المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف.

قال: وستأتي الأحاديث المصرّحة بأنه من اهل بيت النبوي. ففي الآية دلالة على البركة في نسل فاطمة وعلى عليهما السلام وان الله ليخرج منهما كثيراً طيّباً، وان يجعل نسلهما مفاتيح الحكمة ومعادن الرحمة. وسرّ ذلك انه صلى الله عليه وآله اعاذها وذرّيتها من الشيطان الرجيم، ودعا لعلى بمثل ذلك...

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : كيف أنتم إذا نزل ابن مريم و امامكم منكم" قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٦١] أي من علائم الساعة، حيث نزوله في آخر الزمان«١».

«١» من أبحاث العلامة هادي معرفت.

المهدىّ ﷺ في الحديث

جاء في مسند الامام احمد بن حنبل بالإسناد الى الصحابي الكبير عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: لا تقوم الساعة حتى يلي رجل من اهل بيتى، يواطئ إسمه اسمي «١».

وهكذا رواه ابو داود في السنن «٢» والترمذي في جامعه «٣».

واخرج ابو نعيم الأصبهاني في صفة المهدى ﷺ بإسناده الى حذيفة بن اليمان، قال: خطبنا رسول الله ﷺ بما هو كائن، ثم قال، "لو لم يبق من الدنيا الايوم واحد لطوّل الله ﷻ ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلاً من ولدى اسمه أسمي. فقام سلمان الفارسي ؓ ، فقال: يا رسول الله، من أي ولدك؟ قال: هو من وَلَدى هذا، و ضرب بيده على الحسين ؑ .

روى الصدوق ؓ في عيون اخبار الرضا ؑ بإسناده الى التميمي عن الإمام على بن موسى الرضا ؑ عن آبائه ؑ قال: قال رسول الله ﷺ : "لا تقوم

«١» ج ١، ص ٣٧٦ .

«٢» كتاب المهدى، ج ٤، ص ١٠٦، برقم «٤٢٨٢».

«٣» ج ٤، ص ٥٠٥، برقم «٢٢٣١».

السّاعة حتى يقوم القائم الحق منّا، و ذلك حين يأذن الله ﷻ له، ومن تبعه نجا، و من تخلّف عنه هلك ألله اللهَ عبادَ الله، فأتوه و لو على الثلج، فانه خليفة الله ﷻ وخليفتى.

المهدى ﷺ هو الإمام الثاني عشر

قد ورد متواتراً عن النبى ﷺ : انّ الأئمة اثنا عشر على عدد نقباء بنى اسرائيل كلهم من قريش.

فقد أخرج الترمذي في جامعه «١» و أبو داود في سننه «٢» عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ : لا يزال هذا الدين قائماً ـ او عزيزاً ـ حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش.

سؤال: من هؤلاء الأئمة الاثنا عشر، الذين هم خلفاء الرسول مَن بعده؟

وللإجابة على هذا السؤال، نجد حديثاً رواه ابو نعيم في حليته، يوضّح انهم من عترته: روى بإسناده الى ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: من سرّه ان يحيى حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن غرسها ربى، فليوال عليّاً من بعدى وليوال وليّه، وليقتد بالأئمّة من بعدى، فإنّهم عترتي، خلقوا من طينتى، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتى، القاطعين فيهم صلتي، لا أنا لهم الله شفاعتى.

«١» ج ٤، ص ٥٠١.

«٢» ج ٤ ، ص ١٠٦.

قال أبو نعيم ـ تعقيباً على ذلك: فالمحققون بموالاة العترة الطيّبة، هم الذبل الشفاه، المفترشو الجباه، الأذلاّء في نفوسهم الفُناة، المفارقون لمؤثري الدنيا من الطغاة، هم الذين خلعوا الراحات، وزهدوا في لذيذ الشهوات، انواع الأطعمة وألوان الأشربة، فدرجوا على منهاج المرسلين والأولياء من الصّديقين، ورفضوا الزائل الفاني، ورغبوا في الزائد الباقي، في جوار المنعم المفضال، ومولى الأيادي والنوال.

وإذا كانت الأئمة من بعده صلى الله عليه وآله من عترته، فهم الأئمة من ولد فاطمة عليها السلام الذين اعترفت الأمة بإمامتهم، وعلمهم وفضلهم.

اولهم بعد الامام امير المؤمنين عليه السلام الامام الحسن ثم الامام الحسين، ثم على بن الحسين، ثم محمد بن على الباقر، ثم جعفر بن محمد الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم، ثم على بن موسى الرضا، ثم محمد بن على الجواد، ثم على بن محمد الهادي ثم الحسن بن على العسكري عليهم السلام. وآخرهم. وهو الامام المنتظر، هو المهدى القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف . والتعبير بالعترة، تغليب، حيث أحد عشر منهم من ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وكلهم من ولد علي عليه السلام فكان هو اولهم وآخرهم المهدى المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف

ولا سبيل الى معرفة الأئمة الاثنى عشر، الذين نوّه عنهم الرسول الاعظم، سوى الأئمة الذين انتسبت إليهم الأمامية الاثنا عشرية.

فلا تزال هذه العقيدة «الاعتقاد بالأئمة الاثنى عشر» هي العقيدة الثابتة، المعتمدة على نصّ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

ولولا أنّ المهدى هو الامام الثاني عشر، لم يكن للأحاديث المأثورة بهذا الشأن مفهوم معقول.

فالعقيدة التي رسمتها الشيعة الاثنا عشرية ـ نظراً لوجود المهدى عجّل الله تعالى فرجه الشريف وبقائه طول الغيبة ـ هي العقيدة المنطبقة على صحيح الروايات المأثورة عن الرسول الاكرم صلّى الله عليه وآله.

وهكذا ذكر الامام محيي الدين ابن عربي نسب الامام المهدى عجّل الله تعالى فرجه الشريف وانه ابن الامام الحسن العسكري وذكر آباءه الى على وفاطمة واحداً بعد واحد.

قال: وعبارة الشيخ محيى الدين: واعلموا انه لابدّ من خروج المهدى عليه السلام لكن لا يخرج حتى تمتلئ الأرض جوراً و ظلماً، فيملؤها قسطاً وعدلاً، و لو لم يكن من الدنيا الا يوم واحد لطوّل الله تعالى ذلك اليوم حتى يلى ذلك لخليفة، وهو من عترة رسول الله صلّى الله عليه وآله من ولد فاطمة، جدّه الحسين بن على بن ابى طالب، و والده الحسن العسكري ابن الامام على النقي ابن الامام محمد التقى ابن الامام على الرضا ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام زين العابدين على ابن الامام الحسين ابن الامام على بن ابى طالب عليه السلام يواطئ اسمه اسم رسول الله يبايعه المسلمون بين الركن و المقام يشبه رسول الله صلّى الله عليه وآله في الخَلْق وينزل عنه في الخُلق. ثم يذكر او صافه وعدله بين الناس" هذا. ولكن يد الخيانة حرفت من نصّ الفتوحات هنا فشوهت الكلام ... فراجع «١».

«١» الفتوحات المكيّة لابن عربي.

والمتلخص من هذه الاحاديث: أن الأئمة الذين يحكمون الأمة بإمامتهم العادلة، سواء أكانوا ظاهرين ام مستورين، اثنا عشر إماماً من ولد على و فاطمة، هم عترة رسول الله ﷺ ، واذ قد عرفنا احد عشر منهم، بأعيانهم واشخاصهم كانوا بين اظهر المسلمين، سادة علماء يأتم بهم المسلمون عبر حياتهم المجيدة. وقد تواصلت حياتهم لمدة قرنين ونصفاً.

اذن بقي علينا ان نعرف الامام الثاني عشر، الذي هو آخر الائمة الاثنى عشر.

وليس سوى المهدى المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف ، ولابدّ أن تستمر إمامته منذ فارق الإمام الحادي عشر الحياة، و هو سنة «٢٦٠ هـ» الى ما بقى من الزمان.

"اذ لا تخلو الأرض من حجّة".

وقد صرّح النبى الكريم ﷺ ، بان الائمة اثنا عشر، فلابد من طول امامة الامام الثاني عشر. وقد قال ﷺ : بنا فتح الله دينه وبنا يختم.

اخرج أبو نعيم وغيره من الحفاظ بأسنادهم الى الامام امير المؤمنين عليه السلام قال: قلت يا رسول الله ﷺ، أمنّا المهديّ أم من غيرنا؟

فقال ﷺ: بل منّا، يختم الله به الدين، كما فتحه بنا.

فقد تحصّل من مقدمات ثلاث:

الاولى: أنّ الأئمة من عترة النبى ﷺ اثنا عشر اماماً.

الثانية: أنّ امامتهم متواصلة، حسب ظاهر التعبير.

الثالثة: أنّ البدء بالنبي ﷺ والختم بالمهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف.

أما إمامته فكانت بعد وفاة ابيه عام ٢٦٠ هـ حيث بلغ عمره الشريف خمس سنين «١».

«١» من أبحاث العلامة هادي معرفت.

سؤالان: العمر الطويل، الامامة المبكرة

السؤال الاول: كيف يستطيع الانسان أن يُعمَّر في هذا الطول من العمر؟

طول العمر: فهو امر ممكن الوقوع، حسبما جاء في القرآن الكريم بشأن نوح عليه السلام وفي الناس من المعمَّرين كثير. قال تعالى: ﴿ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٤] وقد عاش بعد ذلك سنين طويلة.

وكان بإمكان الإنسان إذا كان عايشاً بعيداً عن ضوضاء البلاد، مجتنباً غوغاءها، ان يعمّر مآت من السنين قويّاً سليماً عن الأمراض والأدواء الموجبة لقصر العمر. فان النوع الإنساني إذا لم يحمل هموماً ولم تعتوره الأمراض المختلفة ولم تنهك قواه الأطعمة التي لا يقدر على هضمها، فكان من المعقول ان يعيش طويلاً.

وعند العلماء بالطب والأحوال الاجتماعية أنّ الإنسان قواه محدودة، والحياة العريضة نستنفدها بسرعة، بخلاف الحياة الساذجة ولا سيما البدائية البسيطة، فانها تكون طويلة، لقلة ما يستنفد من قوى الأجسام بتلك الحياة.

يقول الأطباء: سبب تعجيل الموت في الانسان العائش وسط الاجتماعات المتحضّرة، هو عروض امراض طارئة مفاجئة، ولا سيّما الباطنة، ولا يحسّ بها

الانسان الابعد فترة طويلة، اوجبت رسوخ المرض ورسوب جذوره بما لم يدع مجالاً للعلاج.

ومن ثم فلو عاش انسان في مراقبة تامة عن احواله والمواظبة على طوارئ الجسد ولا سيّما الداخلية ـ الامر الذي عجزت عنه الوقاية العامة ـ لأمكنه ان يعيش مآت من السنين.

وان ظاهرة الإحراق والتعويض، في خلايا جسد الانسان، لتومنّ عليه امكان تداوم حياته قوياً منيعاً احقاباً من الزمان، لولا عروض طوارئ وهجوم الأمراض التي يجلب الانسان على نفسه على أثر سوء تصرّفه في الحياة.

أمّا النابهون، المنعمون بعناية الله، والذين حرستهم رعايته الكريمة، فبإمكانهم التعيش الى آماد طويلة.

وهذا يونس النبى عليه السلام جاء بشأنه: ﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٢-١٤٨].

وهكذا ورد بشأن عيسى المسيح عليه السلام ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٩].

قوله: ﴿ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ [النساء: ١٥٩]. يدل على انه لم يمت موته الطبيعى. وانما يموت بعد نزوله من السماء عند ظهور المهدى الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وعن النبى صلى الله عليه وآله: ان عيسى بن مريم لم يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة.

قال الطبرسي: و قد صحّ عن النبى صلى الله عليه وآله انه قال: كيف انتم اذا نزل ابن مريم فيكم و امامكم منكم يعنى المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف.

السؤال الثاني: كيف تصّح إمامة الصّبى وهو طفل لم يبلغ اشدّه؟

الإمامة قبل بلوغ الأشدّ. فلا غرو بعد وقوع مثله في انبياء عظام: قال تعالى بشأن يحيى عليه السلام: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ [مريم: ١٢] وقال بشأن عيسى بن مريم عليهما السلام: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [مريم: ٢٩-٣١]، ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [المطففين: ٢٦].

هنا نكتة دقيقة لابدّ من التنبّه لها: هي ضرورة وجود الحجة في الأرض ليكون إماماً للناس واسوة في كافّة شؤونهم. من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهليّة.

اومن مات ولا إمام له مات ميتة جاهليّة. او من مات وليس عليه طاعة امام فميتته ميتة جاهلية. وامثالها من تعابير، صحت عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فيجب على مسلم صالح أن يعتقد بطاعة امام زمانه اماماً معصوماً من الخطأ والخطل، كما كان رسول الله معصوماً. لأنه اسوة، ولا ينبغي للأسوة أن يخطأ او يزلّ.

وهذا ما ذهب اليه الإمامية في معتقدهم بضرورة وجود الامام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف .

ونكتة أدقّ: هي ضرورة وجود واسطة الفيض، وإلاّ لساخت الارض بأهلها، انهم عليهم السلام ابواب رحمته تعالى ومنابع بركاته الى الخلائق.

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة: ٣٥].

وقال سبحانه ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

روى الصدوق بإسناده الى سليمان بن جعفر قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت: تخلو الارض من حجة؟ فقال: لو خلت الارض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها.

وعن الامام ابى جعفر الباقر عليه السلام: لو بقيت الأرض يوماً بلا إمام منّا لساخت باهلها، ولعذبهم الله بأشد عذابه. ان الله تبارك وتعالى جعلنا حجة في أرضه، وأماناً في الأرض لأهلها، لن يزالوا في أمان من ان تسيخ بهم الارض ما دمنا بين أظهرهم.

اذن فكما أنهم عليهم السلام وسائط رحمته تعالى في إفاضة شريعة الحق، كذلك هم وسائط بركات السماء والأرض.

وهذا باب عريض لا يدخله الا ذو حظّ عظيم «١».

هذا، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيّبين

«١» من أبحاث العلامة هادي معرفت.

لماذا لم يذكر اسم الإمام المهدي عليه السلام في القرآن الكريم؟

سؤال: لماذا لم يرد ذكر أو اسم لهذا الإمام الغائب في القرآن الكريم؟

وهل ما ذكره القرآن تفصيلاً من شأن رجال مضوا كلقمان وذي القرنين مرّت عليهم مئات السنين هو أهمّ شأناً من ذكر إمام عظيم غاب عن المسلمين وهم يتطلعون لظهور دولته ليلاً ونهاراً؟

ثمّ هل يقوم منهج الهداية في القرآن على ذكر أشياء ذات شأن ضئيل ويهمل ذكر أمور أهم؟

وهل يليق بمقام الكتاب أن يوضح أموراً عادية على نحوٍ مفصّل ويصمت تماماً عن أمور أساسية؟

الجواب: ثمة آيات قرآنية كثيرة إذا جمعت إلى بعضها البعض أو تدبّرنا بها جيداً، يوفّر لنا مدلولها فهماً لخصوصيات ظهور الإمام الغائب عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

نظير ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ﴾ [النور: ٥٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وقوله تعالى: ﴿ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ [التوبة: ٣٣]٤.

إنّ حاصل الجمع بين هذه الآيات وغيرها يدلّ على المعنى.

وقد جاء في كتاب الاحتجاج للطبرسي رحمه الله في جواب الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام عن شبهة مماثلة أنّ الله «سبحانه» لو ذكر الأئمة عليهم السلام صراحة في القرآن الكريم، لسعى أعداء أهل البيت عليهم السلام لإسقاط ذلك بكلّ وسيلة، ما يجعل كتاب الله عُرضة للتحريف.

ولأنّ الله عزّ وجلّ وعد صراحة بحفظ القرآن وصيانته من التحريف، فقد جاءت مسألة الإمام مبثوثة في ثنايا الكتاب، ولم تذكر صراحة، وهي بذلك بحاجة إلى تدبّر في الآيات لاستظهارها.

ومع ذلك فإنّ الإشكال بنفسه يرجع إلى الكاتب نفسه. فعدم ذكر الإمام الغائب صراحة في القرآن لا يقتصر عليه وحده، وإنما يعمّ جميع الأئمة، وحينئذٍ سيكون السؤال: لماذا لم يأت ذكر معيّن وصريح للإمامة رغم ما ينطوي عليه الموضوع من أهمية آثاره خطيرة؟

يعرف الجميع أنّ العالم الإسلاميّ انشقّ أثر قضية الإمامة إلى سنّة وشيعة، وكان لهذا الاختلاف بين الفريقين آثاره المرّة، أفلم يكن يحسن بالقرآن صوناً للأمة من الدماء التي أُريقت والفتن التي اشتعلت والضربات التي أحاطت مسيرة الإسلام، أن يذكر صراحة أنّ الإمامة ليست انتخاباً من الله؟

ليس هذا وحده وحسب، بل ألم ينبغِ للنبيّ الأكرم ﷺ أن تتضمّن سُنّته ما ينفي أن تكون الإمامة أمراً منصوصاً عليه من قبل الله بواسطة النبيّ؟

وإذ نعرف أنّ القرآن والسنّة لم يفعلا ذلك صراحة، وأنّ ليس فيهما ما ينفي أن تكون الإمامة نصاً وانتخاباً من قبل الله، فإنّ الإشكال حينئذٍ سيكون مشتركاً ويرتدّ إلى الكاتب نفسه، حيث يستوي الأمر بين النفي والإثبات.

وإلّا هل يمكن أن نتصوّر أنَّ أهمية نفي الخلافة «الإمامة» القائمة على النصّ والانتخاب الإلهيّ أقلّ شأناً من إثباتها في كتاب الله، هذا على فرض صحة النفي ومشروعيته؟

ثمّ إذا أردنا أن نساير الطريقة التي يفكّر بها الكاتب ألا يحقّ له أن يدّعي أنّ الخليفة الأوّل كان أعقل -معاذ الله -من الله ورسوله حين ثبت في وصيته أن تؤول الخلافة إلى الخليفة الثاني دون أن تخضع لانتخاب النّاس ورأيهم، وبالتالي أمن النّاس من الاختلاف حيث لم يقع أيّ خلاف في خلافة عمر، بينما انتهى سكوت رسول الله ﷺ على افتراض وقوع هذا السكوت -إلى اشتعال أوار الفتنة بين أمته؟

نخلص ممّا ذكر إلى أنّ بيان نفي أو إثبات الخلافة «الإمامة» القائمة على النص والانتخاب الإلهيّ صراحة في القرآن يستوي في الأهمية بين الطرفين، وبذلك لا يصحّ الإيراد على جهة الإثبات دون جهة النفي، وإنّما الإشكال مشترك وارد على الجهتين «١» .

«١» من كتاب أمل الإنسان، سلسلة المسابقات الثقافية، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

الموضوع الثامن: التغيير في يوم الظهور

كيف تتمّ عملية التغيير في اليوم الموعود؟

سؤال: ما هي الطريقة التي مكن أن نتصوّر من خلالها ما سيتمُّ على يد ذلك الفرد من انتصار حاسم للعدل، وقضاء على كيانات الظلم المواجهة له.

الجواب المحدّد عن هذا السؤال يرتبط بمعرفة الوقت والمرحلة التي يقدّر للإمام المهديّ عليه السلام أن يظهر فيها على المسرح، وإمكان افتراض ما تتميز به تلك المرحلة من خصائص وملابسات لكي تُرسم في ضوء ذلك الصورة التي قد تتّخذها عملية التغيير، والمسار الذي قد تتحرك ضمنه. وما دمنا نجهل المرحلة ولا نعرف شيئاً عن ملابساتها وظروفها فلا يمكن التنبّؤ العلميّ بما سيقع في اليوم الموعود، وإن أمكنت الافتراضات والتصوّرات التي تقوم في الغالب على أساس ذهنيّ لا على أسس واقعية عينية. وهناك افتراض أساسيّ واحد بالإمكان قبوله على ضوء الأحاديث التي تحدثت عنه«١»، والتجارب التي لوحظت لعمليات التغيير

«١» إشارة إلى علامات الظهور أو الملابسات والأحداث والوقائع التي تسبق ظهوره المبارك أو ترافق ظهوره كما صوّرتها الروايات ووردت بها الآثار الصحيحة، وقد بُسّطت تفصيلاً في «عصر

الكبرى في التاريخ، وهو افتراض ظهور المهديّ عليه السلام في أعقاب فراغ كبير يحدث نتيجة نكسة وأزمة حضارية خانقة«١». وذلك الفراغ يتيح المجال للرسالة الجديدة أن تمتدّ، وهذه النكسة تهيّئ الجوّ النفسيّ لقبولها، وليست هذه النكسة مجرّد حادثة تقع صدفة في تاريخ الحضارة الإنسانية، وإنّما هي نتيجة طبيعية لتناقضات التاريخ المنقطع عن الله - سبحانه وتعالى - التي لا تجدُ لها في نهاية المطاف حلاًّ حاسماً فتشتعل النار التي لا تُبقي ولا تذر، ويبرز النور في تلك اللحظة، ليطفئ النار ويقيم على الأرض عدل السماء"«٢».

الظهور» للسيد محمد الصدر قدس سره. وراجع: الإرشاد، الشيخ المفيد: ص٣٥٦ وما بعدها. وراجع أيضاً: الإشاعة لأشراط الساعة، محمد بن رسول الحسينيّ البرزنجيّ.

«١» وفيه إشارة إلى ما يمكن أن تجرّ إليه الإنسانية من أزمة حضارية بسبب التنافسات والصراعات بين الحضارات المادية والكيانات السياسية، وفشلها في تحقيق الأمن والاستقرار والسعادة للإنسان، ولقد بدأت بوادر مثل هذا الفراغ تظهر وتتّسع شيئاً فشيئاً في عصرنا الراهن في شرق الأرض وغربها، وكلّ متتبع للأخبار والتقارير الصحفية والتحقيقات الخبريّة يعرف ذلك جيّداً. وما اليوم الموعود ببعيد.

«٢» السيد الشهيد محمد باقر الصدر قدس سره، بحث حول المهديّ، ص٨٨-٩٠.

دولة الإمام المنتظر عليه السلام

قال تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥].

قد يثير هذا العنوان «دولة الإمام» شيئاً من التساؤل حول التطرق لموضوعه، وبخاصة وان دولة الإمام المنتظر عليه السلام بعد لما تقع، ولما تعش الواقع التاريخي.

فلما هذا الحديث حول الموضوع إذن؟!

وفي مقام الجواب:

دولة الإمام عجل الله فرجه هي دولة الإسلام

إن دولة الإمام المنتظر عليه السلام هي دولة الإسلام. تلك الدولة التي تتجسد في واقعها الموضوعي تطبيقات التشريع الإسلامي كاملة عادلة، وفي مختلف مجالات الحياة: لدى الفرد، وفي الأسرة، وفي المجتمع، وفي الدولة.

والتي تمثلت في حكم نبينا محمد صلى الله عليه وآله ، حينما أقام الدولة الإسلامية الأولى في المدينة المنورة.

بين دولة النبي ﷺ ودولة الإمام ؑ:

وهنا. قد يتساءل: إن الظروف -زماناً ومكاناً -التي عاشتها دولة النبي ﷺ، وأحاطت بها، ولابستها، ربما اختلفت وظروف دولة الإمام المنتظر ؑ، ألا يستدعي هذا النوع من الاختلاف، شيئاً من الاختلاف بين الدولتين؟

وهو تساؤل ينطوي على كبير من الوجاهة، وبخاصة وأن التشريع الإسلامي المدوّن لم يحتو في الكثير من أنظمته التفاصيل الوافية في بيان وسائل وأساليب التطبيقات للأحكام التشريعية في مجال الدولة. ولم يتضمن في كثير من مواده -دستورية ونظامية -إلاّ الأحكام الكلية والخطوط العامة.

وإن الحياة قد قفزت في تطوراتها المدنية، قفزات هائلة وبعيدة، عادت معها تلكم الوسائل والأساليب للقرون السالفة غير ذات أهمية ونفع.

أقول: إنه تساؤل وجيه لما تقدم. غير أننا متى أدركنا أن للإمام ؑ وظيفة التشريع كما هي للنبي ﷺ، وليست المسألة لديه مسألة اجتهاد قد يصيب الواقع وقد يخطئ، وإنما هي مسألة إدراك الأحكام الشرعية بواقعها «١».

ولعله إلى هذا تشير الأحاديث المتضمنة دعوة الإمام المنتظر ؑ الناس إلى الإسلام جديداً، وهديهم إلى أمر قد دثر فضلّ عنه الجمهور «٢».

إننا حينما ندرك ذلك لا يبقى لدينا أي مجال لأمثال هذا التساؤل.

«١» يقرأ: محمد تقي الحكيم، ص ١٨٤.

«٢» يقرأ: موضوع «الغيبة الكبرى» من الكتاب.

على أن الوسائل والأساليب خاصة، هي موضوعات، والموضوعات تختلف تبعاً لتطور الحضارة والمدنية، فتتغير أحكامها وفقاً لتغيرها. وتغير الحكم تبعاً لتغير الموضوع شيء طبيعي في كل تشريع، إسلامي أو غير إسلامي.

نعم. هناك فرق واحد بين دولة النبي ﷺ ودولة حفيده الإمام المنتظر عليه السلام، يرجع إلى طبيعة الظروف أيضاً، ومساعدتها في إعداد الأجواء الكافية للتطبيق، وهو في اتساع نفوذ الدولة السياسي.

ففي دولة النبي ﷺ لم يتسع نفوذها السياسي اتساعاً يشمل كل العالم، وإن كانت دولة النبي ﷺ عالمية في أهم خصائصها، إلا أن الأجواء الاجتماعية والسياسية آنذاك لم تواتها ظروفهما لتحقيق عالميتها.

عالمية النفوذ السياسي

أما في دولة الإمام المنتظر عليه السلام، فالذي نقرأه في الأحاديث التنبؤية عن المعصومين عليهم السلام: إنها سيشمل نفوذها السياسي العالم كله، تحقيقاً لوعد الله تعالى بعالمية الإسلام، في أمثال قوله تعالى:

- ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّـٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].
- ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥].

- ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣ ﴾ [التوبة: ٣٣].

ففي المروي عن الإمامين زين العابدين والباقر عليهما السلام: «إن الإسلام قد يظهره الله على جميع الأديان عند قيام القائم عليه السلام».

وفي المروي عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه الإمام الباقر عليه السلام: «لم يجيء تأويل هذه الآية «يعني قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ ٣٦ ﴾ [التوبة: ٣٦] ولو قد قام قائمنا سيرى من يدركه ما يكون تأويل هذه الآية، وليبلغن دين محمد صلى الله عليه وآله ما بلغ الليل».

وعن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «إذا قام القائم المهدي لا تبقى أرض إلا نودي فيها شهادة ألاّ إله إلا الله وأن محمداً رسول الله».

وليست عالمية النفوذ السياسي هي وحدها أبرز معالم دولة الإمام المنتظر عليه السلام فهناك من خصائصها ومعالمها البارزة، غير هذا، مما نقرأه في النصوص التنبؤية الواردة عن المعصومين عليهم السلام.

وربما كان أهمها ما يأتي:

١. عالمية العقيدة الإسلامية «عقيدة التوحيد»، وعمومها لكل فرد من البشر، وتطهير الأرض من كل عقائد الشرك والكفر والضلال والنفاق.

فمما يروى في هذا المجال:

- ما عن محمد بن مسلم: قال: قلت للباقر عليه السلام: ما تأويل قوله تعالى في الأنفال ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

قال: لم يجئ تأويل هذه الآية، فإذا جاء تأويلها يقتل المشركون حتى يوحدوا الله عز وجل وحتى لا يكون شرك، وذلك في قيام قائمنا.

- وعن رفاعة بن موسى: قال: سمعت جعفر الصادق عليه السلام يقول في قوله تعالى ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٣]. قال: إذا قام القائم المهدي لا تبقى أرض إلا نودي فيها شهادة: إلاّ إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله.

- عن عمران بن ميثم عن عباية: أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة: ٣٣]. أظَهَرَ بعد ذلك؟ قالوا: نعم. قال: كلا. فو الذي نفسي بيده، حتى لا تبقى قرية إلا وينادي فيها بشهادة أن لا إله إلا الله، بكرة وعشياً.

٢. عموم العدل والأمن والرخاء.

ومن النصوص المشيرة إليه ما يلي:

- إذا قام القائم عليه السلام حكم بالعدل، وارتفع في أيامه الجور، وأمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها، ورد كل حق إلى أهله، ولم يبق أهل دين حتى يظهروا الإسلام، ويعترفوا بالإيمان.

أما سمعت الله – سبحانه – يقول: ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٣].

وحكم بين الناس بحكم داود عليه السلام وحكم محمد صلى الله عليه وآله

فحينئذ تظهر الأرض كنوزها، وتبدي بركاتها، ولا يجد الرجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته، ولا بره، لشمول الغنى جميع المؤمنين.

٣. انتشار الثقافة والعلم.

روي عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث له: «وتؤتون الحكمة في زمانه، حتى أن المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله .

وحدة سيرة النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام

ومما تقوله النصوص في هذا المجال: وحدة سيرة الإمام المنتظر عليه السلام في دعوته، وسيرة جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في دعوته، بسبب تشابه ظروف الدعوتين الاجتماعية، في طريق التمهيد لتأسيس الدولة.

ومن تلكم النصوص ما يأتي:

- عن عبد الله بن عطاء المكي عن شيخ من الفقهاء «يعني أبا عبد الله الصادق عليه السلام »:قال: سألته عن سيرة المهدي، كيف سيرته؟.

فقال: يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله يهدم ما كان قبله، كما هدم رسول الله أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام جديداً.

- عن عبد الله بن عطاء: قال: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام فقلت: إذا قام القائم بأي سيرة يسير في الناس؟

فقال: يهدم ما قبله كما صنع رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ويستأنف الإسلام جديداً.

- وعن أبي بصير: قال: سمعت أبا جعفر الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: في صاحب هذا الأمر شبه من أربعة أنبياء: شبه من موسى، وشبه من عيسى، وشبه من يوسف، وشبه من محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

فقلت: ما شبه موسى؟

قال: خائف، يترقب.

قلت: وما شبه عيسى؟

فقال: يقال فيه ما قيل في عيسى.

قلت: فما شبه يوسف؟

قال: السجن والغيبة.

قلت: وما شبه محمد صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟

قال: إذا قام سار بسيرة رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلا أنه يبيّن آثار محمد.

- وفي حديث عبد الله بن عطا مع الإمام الباقر عَلَيْهِ السَّلَامُ: قلت: بما يسير؟

فقال: بما سار به رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هدر ما قبله واستقبل «١»

«١» دولة القائم المنتظر ، العلامة عبد الهادي الفضلي ،بتصرف يسير.

من خصائص المجتمع المهدويّة

إنّ المجتمع المهدويّ هو ذلك العالم الّذي يأتي فيه إمام الزَّمان ليصلحه، وهو نفس المجتمع الّذي ظهر من أجله جميع الأنبياء عليهم السلام . أي أنّ كلّ الأنبياء كانوا مقدّمة لذلك المجتمع الإنسانيّ المثاليّ، والّذي سيتحقّق في نهاية الأمر بواسطة وليّ العصر والمهديّ الموعود. مثل بناءٍ شامخٍ، يأتي شخصٌ فيسطّح الأرض ويزيل منها الأشواك والعوائق ثمّ يأتي شخصٌ آخر من بعده ويصنع فيها الأسس، ثمّ يأتي شخصٌ آخر ليضع فيها الأعمدة والأركان، وهكذا شخصٌ بعد آخر، يأتون لعمارة الجدران حتّى يصل هذا القصر المرتفع، وهذا البنيان الرفيع إلى شكله النهائيّ. لقد جاء الأنبياء الإلهيّون، ومنذ بداية تاريخ البشرية، واحدٌ بعد آخر، من أجل أن يقرّبوا المجتمع والبشريّة خطوةً خطوة نحو ذاك المجتمع المثاليّ وذاك الهدف النهائيّ. لقد نجح جميع الأنبياء ولم يفشل أيّ واحدٍ من رسل الله على هذا الطريق، وفي هذا المسير، لقد كان حملاً على عاتق هؤلاء المأمورين الشامخين، وكلّ واحدٍ منهم تقدّم به خطوةً نحو المقصد والهدف النهائيّ وسعوا بكلّ جهدهم من أجل القيام بهذا العمل. وعندما كانوا يصلون إلى آخر حياتهم كان هناك من يأتي من بعدهم ليضع هذا الحمل على عاتقه ويتقدّم به مسافةً أخرى، مقترباً بذلك

من ذلك الهدف. ووليّ العصر ﷺ، هو وارث جميع الأنبياء الإلهيين، فعندما يأتي ستكون الخطوة الأخيرة على طريق إيجاد ذلك المجتمع الإلهيّ.

بالطبع، لو أنّكم دقّقتم في الكتب الإسلامية وفي المصادر الإسلاميّة الأساسيّة للاحظتم جميع خصائص ذلك المجتمع. فدعاء النّدبة هذا الّذي تُوفّقون بإذن الله لقراءته أيّام الجمعة، يذكر خصائص ذلك المجتمع. فعندما يقول:

«**أين معزّ الأولياء ومذلّ الأعداء**» مثلاً، فذلك المجتمع هو مجتمعٌ يكون فيه أولياء الله أعزّاء وأعداء الله أذلّاء، أي أنّ القيم والمعايير الحاكمة في ذلك المجتمع تكون هكذا.

«**أين المُعدّ لإقامة الحدود**»، ففي هذا المجتمع تُطبّق الحدود الإلهيّة وتُراعى كلّ الحدود الّتي عيّنها الله تعالى والإسلام في مجتمع إمام الزَّمان. فعندما يظهر إمام الزَّمان يصنع مجتمعاً له باختصار مثل هذه الخصوصيّة، أذكرها أنا، وأنتم أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء تدقّقون حولها في الآيات وفي الأدعية عندما تقرأونها، فتتفتّح أذهانكم في هذا المجال، وتتّسع، فمجرّد قراءة دعاء النّدبة ليس كافياً، فالمطلوب هو الفهم وأخذ الدُّروس.

إنّ إمام الزَّمان ﷺ، يبني مجتمعه على هذه الخصائص:

الخاصية الأولى: إزالة وقمع وقلع جذور الظلم والطغيان. فلا ينبغي أن يكون في هذا المجتمع الّذي يكون في زمان وليّ العصر ﷺ، أيّ ظلمٍ وجور، لا أنَّ الأمر يكون في إيران فحسب، ولا حتّى في المجتمعات الّتي يقطنها المسلمون، بل في كلِّ العالم. فلن يكون أيّ ظلمٍ اقتصاديٍّ أو سياسيٍّ أو ثقافيٍّ أو أيّ نوعٍ آخر في

ذلك المجتمع. فيجب اقتلاع كلّ الاختلافات الطبقيَّة وكلّ أنواع التمييز وعدم المساواة والتسلُّط والهيمنة. وهذه هي الخصوصيّة الأولى.

الخاصيّة الثانية: إنّ من خصائص المجتمع المثاليّ الّذي يصنعه إمام الزَّمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف ، هو الارتقاء بمستوى الفكر البشريّ، سواء على المستوى العلميّ الإنسانيّ أو المعارف الإسلاميّة.

ففي زمن وليّ العصر، لن تجدوا في كلّ العالم، أيّ أثرٍ للجهل والأميّة والفقر الفكريّ والثقافيّ. هناك يتمكّن النّاس من معرفة الدين معرفة صحيحة، وقد كان هذا، كما تعلمون جميعاً، من الأهداف الكبرى للأنبياء الّذي أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام ، في خطبة نهج البلاغة الشريفة، «ويثيروا لهم دفائن العقول». لقد جاء في رواياتنا أنّه عندما يظهر وليّ العصر، أنَّ المرأة الّتي تبقى في بيتها فإنّها تتمكّن من فتح القرآن واستخراج حقائق الدين منه وفهمها. فماذا يعني ذلك؟ يعني ذلك أنّ مستوى الثقافة الإسلاميّة والدينيّة يرتقي إلى درجة أنّ جميع الأفراد، وكلّ أبناء المجتمع، والنساء اللواتي لا يشاركن في ميدان الاجتماع على سبيل الفرض، ويبقين في بيوتهنّ، فإنّهنّ يتمكّنّ من أن يصبحن فقيهات وعارفات في الدين. فيتمكّنّ من فتح القرآن، وفهم حقائق الدين منه بأنفسهنّ. انظروا أنتم إلى مجتمعٍ يكون فيه الجميع نساءً ورجالاً، وعلى كافّة المستويات، قادرين على فهم الدين والاستنباط من الكتاب الإلهيّ، فكم سيكون هذا المجتمع نورانيّاً، ولن يبقى فيه أي نقطة ظلام وظلمانيّة. فكلّ هذه الاختلافات في وجهات النّظر والتحليل، لن يبقى لها أيّ أثرٍ في ذلك المجتمع.

الخاصيّة الثالثة: في ذلك العصر ستكون جميع القوى الطبيعية وكلّ الطاقات البشرية في حالة انبعاثٍ فلا يبقى أيّ شيءٍ في باطن الأرض ولا يستفيد منه البشر. فكلّ هذه الإمكانات الطبيعيّة المعطّلة، وكلّ هذه الأراضي الّتي يمكن أن تغذّي الإنسان، وكلّ هذه الطاقات والقوى الّتي لم تُكشف بعد، كتلك الطاقات الّتي بقيت عبر قرون التاريخ. مثلاً، القدرة النووية والطاقة الكهربائية كانت وعبر قرون عمر هذا العالم، في باطن الطبيعة ولم يكن البشر يعرفونها، ثمّ بعد ذلك قاموا باستخراجها بالتدريج. فكلّ الطاقات والإمكانات اللامتناهية الموجودة في باطن الطبيعة هي من هذا القبيل، وسوف تُستخرج في زمان إمام الزَّمان.

الخاصية الرابعة: المحور في عصر إمام الزَّمان هو محور الفضيلة والأخلاق. فكلّ من كان صاحب فضيلة أخلاقية أكثر سيكون مقدّماً وسبّاقاً.

الخاصية الخامسة: مؤيّدٌ بالنصر

ففي الروايةٍ: «القائم منّا منصورٌ بالرّعب مؤيّدٌ بالنصر، تُطوى له الأرض وتظهر له الكنوز، يبلغ سلطانه المشرق والمغرب» «١»، ممّا يعني أنّ كلّ الحكومات الظالمة والأجهزة الجائرة ستكون مرعوبةً منه. في ذلك الزمن، سيكون هناك حالةٌ في عصر وليّ العصر أرواحنا فداه، من الشمولية والعموميّة بحيث يمكن أن تحقّق الحكومة العالميّة. «مؤيّدٌ بالنصر»، فنصر الله يؤيّده. و « تُطوى له الأرض»، أي

«١» كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق، ج.١، ص٣٣١.

أنّها ستكون بيده وفي قبضة قدرته. وتظهر تلك الكنوز وتبلغ سلطته مشرق العالم ومغربه.

الخاصية السادسة: اعمار كل خراب في الارض

وبعد عدّة جملٍ يقول، «فلا يبقى خرابٌ إلا قد عمر» «١»، أي أنّ هذه السلطة سوف تُنفق في عمارة الأرض، لا في السيطرة على ثروات البشر وفي استضعافهم. وفي كلّ نقاط العالم لن يبقى أيّ نقطةٍ من الخراب إلا وستُعمّر سواءٌ كانت خرابات حصلت على أيدي البشر أو بسبب جهلهم.

الخاصية السابعة: تطهير القلوب من الرذائل الاخلاقية

رويه عن الإمام الباقر عليه السلام يقول فيها، «حتّى إذا قام القائم جاءت المزايلة «٢» وأتى الرجل إلى كيس أخيه فيأخذ حاجته فلا يمنعه» «٣»، وهي إشارة إلى أخلاق المساواة بين البشر وإلى الإيثار. وتبشّر هذه الرواية بنجاة البشر من تسلّط البخل والحرص الّذي كان أكبر سببٍ لشقاء البشرية. وهذا في الحقيقة علامةٌ على ذلك النظام الإسلاميّ السالم أخلاقياً واقتصاديّاً واجتماعيّاً في ذلك الزّمان. فلا يوجد أيّ قهرٍ وإجبارٍ في البين، بل إنّ البشر أنفسهم ينجون من البخل الإنساني والحرص البشريّ وستتحقّق مثل هذه الجنّة الإنسانيّة. يوجد في روايةٍ أخرى

«١» المصدر، ج.١، ص٣٣١.

«٢» زايله أي فارقه واتصور أي زالت الاخلاق الذميمة ومنها البخل وحل محلها الجود والكرم ...وفي البحار جاءت «المزاملة»: يعنى الرفاقة والصداقة الخالصة.

«٣» وسائل الشّيعة، الحر العاملي، ج.٥، ص١٢١.

أيضاً: «إذا قام قائمنا اضمحلّت القطائع، فلا قطائع» «١»، فتلك المقطوعات الماليّة الّتي تمنحها الحكومات المستكبرة في العالم لأتباعها وحلفائها، وذلك الكرم الحاتميّ الّذي يحصل من جيوب الشعوب سوف يتوقّف تماماً في العالم. وقد كانت القطاعة في الماضي بشكل وهي اليوم بشكل آخر. فقد كانت في الماضي بحيث أنّ الخليفة أو السلطان يمنح أرضاً أو صحراءً أو قريةً أو مدينةً أو حتّى ولايةً لشخصٍ ما، فيقول له اذهب هناك وافعل ما يحلو لك فيها، خذ من أهلها الجبايات والخراج واستعمل مزارعها واستفد منها وكلّ فائدة مادّية هي لك. وكان عليه طبعاً أن يعطي السلطان حظّه.

واليوم، هي بصورة الاحتكارات النفطية والتجارية والصناعيّة والفنّية المختلفة، وكلّ هذه الصناعات الكبرى وهذه الاحتكارات الّتي جعلت الشعوب مسكينةً هي في الواقع في حكم القطائع، الّتي أُشير إليها، وفيها كانت تُمارس كلّ أنواع الرشاوة والمحاباة. إنّ هذا البساط الّذي يقتل البشر ويقضي على الفضيلة سوف يُطوى وسوف توضع أسباب الاستفادة والنفع بيد جميع النّاس.

الخاصية الثامنة: الرفاه الاقتصادي

وفي روايةٍ أخرى ناظرة إلى الوضع الاقتصاديّ يقول: «ويسوّي بين النّاس حتّى لا ترى محتاجاً إلى الزكاة» «٢»، مما يعني أنّه لن يبقى هناك أيّ فقير يحتاج إلى زكاة

«١» جامع أحاديث الشّيعة، البروجردي، ج٢٣، ص١٠١٢.

«٢» بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٥٢، ص٣٩٠.

أموالكم، وبالطبع سيكون لهذه الزكاة مصرفها في الأمور العامّة لا للفقراء، لأنّه لن يبقى هناك أي فقير. ومثل هذه الروايات ترسم الجنّة الإسلاميّة والعالم الواقعيّ. وليس هذا الأمر مشابهاً لتلك المدن الفاضلة الّتي صنعها البعض في خيالاتهم وأوهامهم، كلا. إنّ كلّ تلك الشعارات الإسلامية هي جميعاً قابلة للتطبيق... .

هنا إذا رجعتم إلى الآيات والروايات، وبالتأكيد إنّ المحقّقين والمتتبّعين قد فعلوا ذلك فسوف تجدون خصوصيّات أخرى. المجتمع الّذي لا يوجد فيه أيّة علامةٍ للظلم والطغيان والعدوان، المجتمع الّذي تصل فيه المعرفة الدينيّة والمعرفة العلميّة للبشر إلى حدّها الأعلى، المجتمع الّذي تبرز فيه كلّ هذه البركات والنعم والفضائل والجماليّات وتكون في يد الإنسان، وفي النهاية المجتمع الّذي تكون فيه التقوى والفضيلة والإيثار والأخوّة والعطف والانسجام أصلاً ومحوراً، فانظروا إلى مثل هذا المجتمع، فهو ذاك المجتمع الّذي سيحقّقه مهديّنا الموعود وإمام زماننا، ومحبوبنا التاريخيّ القديم، والّذي يعيش الآن تحت هذه السماء وعلى هذه الأرض وبين النّاس. هذا هو اعتقادنا بإمام الزَّمان«١».

«١» إنسان بعمر ٢٥٠ سنةً، الإمام السيد علي الخامنئي، ص٣٧٦-٣٨٤ / بتصرف يسير.

مفهوم العدل والعدالة في دولة الإمام المهديّ عجّل الله فرجه

إنّ جميع الأنبياء الذين بعثوا من قبل الله سبحانه بين البشر كانوا يسعون وراء هدفين رئيسيين:

الهدف الأول: هو إقامة علاقة صحيحة بين البشر وبين الله ربّهم، وبعبارة أخرى: تخليص البشر من عبادة كلّ موجود سوى الله تبارك وتعالى وهو ما يتلخّص في هذه الكلمة الطيّبة "لا إله إلا الله".

والهدف الثاني: هو إقامة علاقات سليمة بين البشر أنفسهم على أساس العدل والإحسان والسلام والمحبّة والتعاون وخدمة بعضهم البعض.

والقرآن الكريم يبيّن هذين الهدفين حيث يقول فيما يتعلّق بالأوّل وهو يخاطب خاتم الأنبياء صلّى الله عليه وآله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦] ويقول موضحاً الهدف الثاني: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ٢٥ ﴾ [الحديد: ٢٥]. وهكذا نرى أنّ القرآن يقرّر أصل القسط والعدالة في بناء المجتمع البشريّ، ويعتبر العمل بهذا الأصل أحد الأهداف الرئيسيّة لجميع الرسالات السماوية.

وسؤالنا هنا: هل سيأتي يوم على البشرية ترى فيه تطبيق العدالة الكليّة الشاملة، بحيث لا يبقى أي أثر بين النّاس لأنواع الظلم والجور، والاستغلال والحقد والكراهية، والحروب وسفك الدماء، ولا يبقى أثر لما يلازم هذه الأمور من الرذائل الأخلاقية، كالكذب والنفاق والخداع والطمع والبخل... إلخ؟ أم أنّ ذلك مجرّد وهم وخيال لن يتحقّق في يوم من الأيام أبداً؟

قد نجد بين المسلمين المتديّنين من يقول: أنا لا أنكر العدل الإلهيّ وأنّ الله سبحانه خلق كلّ شيء على أساس العدل، ولكنّي أعتقد أنّ دنيانا هذه بلغت درجة من الدناءة والانحطاط، وترسّخت جذور الظلم فيها، بحيث أصبح من المستحيل تطبيق العدالة الواقعيّة بين النّاس، وبالتالي سيادة السلام والمحبّة والإنسانية الحقيقيّة في هذه الدنيا. فالدنيا هي دار الظلم، والعدل الكلّي والتامّ يختصّ بالآخرة فقط حيث يتمّ هناك جبران الظلم الذي وقع في الدنيا، وردّ الحقوق إلى أصحابها. وتوجد هذه الفكرة المتشائمة على نطاق أوسع بين غير المسلمين أهل الأديان السماويّة.

ولكنّ الميزة الأساسيّة للعقيدة الإسلامية -وخصوصاً من وجهة نظر الشّيعة- هي نفي التشاؤم عن البشر، وبيان أنّ عهد الظلام بما فيه من ظلم وجور وبغي، وانحراف فكري وفساد أخلاقي، وما يستتبع ذلك من حروب ونزاعات واختلافات، إنّما هو عهد مؤقّت، حيث سيعقبه عهد النّور، فتصلح الدنيا وتسود العدالة الحقيقية فيها ويقوم النّاس بالقسط.

وإذا تأملنا في القرآن الكريم، فإنّنا نجده يعطي هذه البشارة، حيث يقرّر أنّ مستقبل البشرية في هذه الدنيا هو طيّ بساط الشّر والظلم ومجيء عهد الخير والعدل. وهذه واحدة من الآيات التي تبيّن، ذلك: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ٥٥ ﴾ [النور: ٥٥] وهنا يعطي الله سبحانه وعداً قاطعاً لأهل الإيمان والعمل الصالح بأنّ العاقبة في هذه الدنيا سوف تكون لهم، وأنّ الذي يحكم العالم في النهاية هو شعار «لا إله إلّا الله» ودين الله بكل ما فيه من المعنويات والقيم الصحيحة وعلى رأسها العدالة الحقيقة والتامّة.

وأما التوجّه المادّي، وعبادة المادّيات والأنانيّات وسائر القيم المنحرفة، فسوف يكون مصيرها الزّوال من بين المجتمعات البشرية.

وهكذا نستخلص من القرآن الكريم هذه الفكرة وهي أنّ مسألة التطبيق العمليّ للعدالة الكلّية الشاملة ليست مجرّد أمانيّ وخيالات وهمية، وإنّما هي حقيقة تسير الدنيا باتّجاهها لأنّها سنّة إلهية لا بدّ أن يجريها الله تعالى، فيحكم العدل في هذه الدنيا قروناً وقروناً من الزّمان لا ندري كم هي، يكون الإنسان فيها قد بلغ رشده وتكامل معنوياً بحيث أصبح ينفر بطبعه الفطريّ السليم من الظلم وكلّ أنواع الظلمات المعنويّة.

وبحثنا هنا يدور حول الأساس الذي يستند إليه الإسلام عندما يقرّر أنّ العدالة الشاملة الكليّة سوف تتحقّق في هذه الدنيا. ولبيان ذلك يلزم بيان النقاط الثلاث التالية:

الأولى: ماهيّة العدالة.

والثانية: هل يوجد ميل في فطرة البشر نحو العدالة أم أن الإنسان ينفر منها بفطرته وطبيعته؟ وإذا كان لها أن تطبّق في وقت ما فلا يكون ذلك إلا بالإكراه والإجبار؟

والثالثة: هل أنّ العدالة الكليّة التامّة شيء عمليّ أم هي مجرّد فكرة مثالية؟ وإذا كان لها أن تطبّق عمليّاً فبأيّ وسيلة يكون ذلك؟

تعريف العدالة

قد لا تكون هناك حاجة لتعريف العدالة، فالبشر على أيّ حال يعرفون جيداً ما هو الظلم، وما هي التفرقة والتمييز. والعدالة ما هي إلا النقطة المقابلة لهذه الأشياء. وبعبارة أخرى، فإن النّاس بحسب خلقتهم واستعداداتهم الفطرية، وكذلك بحسب النشاطات والأعمال التي يقومون بها يتمتعون باستحقاقات معيّنة، والعدالة هي أن يعطى كلّ ذي حق حقّه، بعكس حبس الحقوق عن أصحابها، وبعكس التفرقة، وهي عدم المساواة في المعاملة بين الأفراد الذين يتمتعون بنفس المؤهلات والاستعدادات ويقومون بنفس الأعمال.

وقد وجد قديماً بين البشر -امتداداً من عهد الفلاسفة اليونانيين الأوائل إلى سائر العهود الأوروبية اللاحقة -أفراد ينكرون واقعيّة العدالة وكونها أمراً طبيعياً في

المجتمع البشريّ، ويقولون إنّ العدالة هي ذلك الشيء الذي يقرّره القانون الحاكم وتفرضه القوّة.

ولكنّ هذه الفكرة غير صحيحة بالمرّة، فالعدالة لها واقعية لا يمكن إنكارها، لأن العدالة تابعة للحقّ، والحقّ له واقعيّة يكتسبها من أصل الخلقة، فكلّ موجود يتمتّع في أصل خلقته وتكوينه بصلاحيات واستحقاقات معيّنة، والإنسان - إضافة إلى ذلك -يكتسب استحقاقات أخرى بأعماله ونشاطاته، وليست العدالة أكثر من أنْ يأخذ كل ذي حقّ حقّه الطبيعيّ بدون زيادة ولا نقصان. والذي يساعد على ذلك أنّ الطبيعة التي خلقها الله سبحانه، فيها متّسع للعدالة بما أودع فيها من الإمكانات الوفيرة والخيرات الكثيرة، والذين ينكرون واقعيّة العدالة يتوهّمون أنه لو أعطيت الحقوق إلى أصحابها فلن يكفي مخزون الطبيعة لذلك.

هل حبّ العدالة والرغبة فيها شيء فطريّ؟

إنّ الإنسان بفطرته وتكوينه، يحبّ أشياء في الحياة، ولا يملك دليلاً لذلك سوى تركيبه النفسيّ والروحيّ، ومثال ذلك حبّه للجمال، فالإنسان عندما يرى نفسه أمام شيء جميل فإنّه لا يملك إلّا أن يعجب به وينجذب إليه بدون أن تجبره قوّة من الخارج على ذلك. وقس على ذلك حبّ العلم وحب الفضائل الأخلاقية كالشجاعة والبطولة والأمانة والوفاء. إلخ. فهل أن الميل إلى العدالة سواء الفرديّة أو الاجتماعية بغضّ النظر عن حصول المنفعة الشخصيّة جزء من المطالب البشرية؟ وهل يوجد شيء كهذا في فطرة البشر أم لا؟

نظريّة «نيتشه» و«مكيافيللي»

يعتقد أكثر الفلاسفة الأوروبيّين بأنه لا يوجد في فطرة البشر أي ميل نحو العدالة. وقد جرّت فكرتهم هذه الدنيا في نهاية المطاف إلى الدمار، فهم يقولون: إن العدالة من اختراع الضعفاء والعاجزين، وذلك من أجل مواجهة الأقوياء، فهم يدّعون أنّ العدالة شيء حسن، وأنّ الإنسان ينبغي أن يكون عادلاً في تعامله مع الآخرين، وهذا كلام فارغ بدليل أنّ الذين يدافعون عن العدالة ويدعون إليها، ما إن يمتلكون القوة حتّى يفعلوا نفس ما فعل الأقوياء من قبلهم. يقول الفيلسوف الألماني «نيتشه»: كم حدث لي أن ضحكت عندما كنت أرى الضعفاء يتحدثون عن العدالة ويطالبون بها، وكنت أقول لهم: أيّها المساكين، لو كنتم تملكون مخالب لما تفوّهتم بمثل هذا الكلام أبداً!

وهؤلاء الذين لا يؤمنون بأنّ العدالة جزء من الأمور المودعة في طبيعة البشر وفطرتهم ينقسمون إلى فريقين: ففريق يقول إنّه لا ينبغي للإنسان أن يسعى وراء العدالة حتّى ولو بعنوان أمنية من الأماني، بل ينبغي أن يسعى وراء القوّة لا غير. ويأتون بمثلٍ على فكرتهم مفاده أنّ «القرن القصير أفضل من الذنب الطويل» ويرمزون بالقرن هنا إلى القوّة، بينما يرمزون بالذنب إلى العدالة. ومن هذا الفريق «نيتشه» و«مكيافيللي».

نظرية «برتداند رسل»

والفريق الآخر لا يوافق على ذلك بل يقول: ينبغي السعي وراء العدالة، ولكن ليس بصفتها هدفاً، بل لأنّ مصالح الفرد توجد فيها. ومن هؤلاء «برتراند رسل»

الذي يدّعي بهذا النمط من التفكير أنّه -أيضاً -من أنصار الإنسانية وحبّ الإنسان، وهو مجبور على مثل هذا الادّعاء لأنّ فلسفته توجب عليه ذلك.

يقول هذا الفيلسوف البريطاني: إنّ الإنسان مفطور بطبيعته على حبّ المصلحة الشخصيّة، وهذا شيء مفروغ منه ولا يقبل أيّ نقاش. إذن فماذا ينبغي أن نفعل من أجل تطبيق العدالة وسيادتها في المجتمع؟ إنّنا لا يمكننا أن نفرض العدالة فرضاً على النّاس لأنّ طبيعتهم وفطرتهم لا تتلاءم مع ذلك. نعم يمكننا أن نعمل شيئاً آخر، وهو أنْ نقوم بتنمية عقل الإنسان وتقوية علمه إلى أن يصل إلى مرحلة نستطيع أن نقول له فيها: أيها الإنسان، صحيح أنّ المصلحة الشخصيّة هي التي تمتلك الأصالة في الحياة، وليس لأحد أن يحاول صرفك عن السعي وراءها. ولكن اعلم أنّ مصلحتك الفرديّة لا يمكن تأمينها إلا عن طريق إيجاد العدالة في المجتمع، ذلك أنّك لا تمتلك دائماً من القوّة في مقابل الآخرين ما يتيح لك الحصول على كلّ ما تريد عن طريق البغي والعدوان، لأنّهم سوف يردّون على اعتدائك وبالتالي فبدل أن تحصل على المنفعة فسوف تصاب بالضرر.

نقد هذه النظريّة:

واضح أنّ هذه النظرية ليست سليمة، لأنّها تصدق على الضعفاء -فقط -دون الأقوياء. والعلم في هذه النظرية يدفع الفرد إلى الالتزام بالعدالة من أجل تأمين مصلحته الشخصيّة فقط، فإذا امتلك القدرة والقوّة التي تؤمّن حصوله على مصالحه الشخصيّة بطريقة مباشرة، فإنّ معنى العدالة ينعدم تماماً بالنسبة له في هذه الحالة. ولهذا فإنّ فلسفة «برتراند رسل» على النقيض من كلّ شعاراته

الإنسانية، تعطي الحقّ لكل الأقوياء من الدرجة الأولى والذين لا يشعرون بأيّ خوف من الآخرين، في أن يرتكبوا بحقّهم ما شاء لهم من الظلم والعدوان.

النظرية الماركسية

يذهب الماركسيّون إلى أنّ العدالة شيء عمليّ، ولكنّها لا يمكن أن تتحقّق عن طريق الإنسان ذاته، لأنّه لا يملك القدرة على إقامة العدالة. فلا يمكن تربيته بحيث يكون راغباً في العدالة وطالباً لها بمعنى الكلمة، ولا يمكن تنمية عقله وعلمه إلى الحدّ الذي يرى فيه أنّ مصلحته الشخصيّة إنّما توجد في العدالة. إذن كيف تتحقّق العدالة؟ إنّها لا تتحقّق إلّا بواسطة «آلهة» الآلة والماكينة. وبتعبير آخر: أيّها الإنسان. ليس لك أن تطلب العدالة وتسعى وراءها، فهذا ليس من شأنك. وإذا تصوّرت أنّه يمكنك أن تصبح عادلاً فهذا تصوّر كاذب، لأنّك بطبيعتك لست محبّاً للعدالة، وإذا فكّرت بأنّ عقلك يمكن أن يرشدك في يوم من الأيام إلى طريقة لتطبيق العدالة عمليّاً فهذا تفكير باطل، لأنّ الآلة وحدها هي التي تستطيع أن تقود البشر إلى تطبيق العدالة بصورة تلقائية. فالتطوّرات التي تحدثها الوسائل الاقتصاديّة والإنتاجية توصل البشرية إلى دنيا الرأسمالية أولاً، ثمّ يتمّ الانتقال بعد ذلك بصورة طبيعيّة إلى دنيا الاشتراكية حيث تقوم الآلة بإقرار المساواة والعدالة في المجتمع بصورة جبريّة، شاء النّاس أم أبوا، «طبعاً، أثبتت التجارب والأحداث فيما بعد، أن كثيراً من الحسابات التي توصّل إليها الماركسيّون كانت خاطئة وغير عمليّة بالمرّة».

النظريّة الإسلامية

أمّا النظريّة الإسلامية فترى أنّ جميع تلك الأفكار والفلسفات إنّما هي نوع من التشاؤم وسوء الظن بطبيعة البشر وفطرته، فإذا كانت البشريّة اليوم تهرب من العدالة، فذلك لأنّها لم تصل إلى مرحلة الكمال بعد. فالعدالة مرتكزة في أصل خلقة البشر. وإذا رُبيّ الإنسان بصورة صحيحة وعلى يد «مربّ كامل» فإنه حتماً يصل إلى مرحلة يصبح فيها طالباً للعدالة بنفسه وبصورة واقعية، بحيث يفضّل العدالة الجماعيّة على المصلحة الشخصيّة، ويصبح حبّ العدالة عنده شيئاً نابعاً من ذاته كحبّ الجمال مثلاً يندفع إليه بكلّ وجوده بدون أن يجبره أحد أو شيء على ذلك.

والواقع أنّ العدالة من مقولات الجمال ومصاديقه، الجمال المعقول وليس المحسوس طبعاً ويخطئ الذين يزعمون أنّ الإنسان بفطرته ليس مريداً للعدالة ولا طالباً لها، وأنّه لا يتقبّلها إلّا أن تُفرض عليه فرضاً، أو يدّعون أنّ عقل البشر يجب أن يصل إلى مرحلة يرى فيها مصلحته الشخصيّة في العدالة، بصورة تلقائية دون أن يكون للإنسان أيّ دور في ذلك.

كلّا فهناك أفراد بين البشر أثبت التأريخ أنّهم كانوا يتمتّعون بصفة العدل وحبّ العدالة بدون أن يجبروهم شيء على ذلك، أو يكون حافزهم تأمين منافعهم الذّاتية، بل على العكس من ذلك فكثيراً ما دفعتهم هذه الصفة إلى مخالفة هذا الحافز والعمل في اتّجاه مضادّ له. فالعدالة عندهم فكرة وأُمنية وهدف، بل هي أشبه بمحبوب يعشقونه ويضحّون بأنفسهم في سبيله. وهؤلاء كانوا نماذج

للإنسان الكامل في العصور السابقة، وإذا لم يمكن الوصول إلى درجتهم في هذا المجال، فعلى أيّ حال يمكن لأيّ فرد أن يكون نموذجاً مصغراً لهم.

لقد كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام واحداً من أبرز وأشهر تلك النماذج الرائعة، حيث استطاع عمليّاً أن يثبت بطلان كلّ الفلسفات التي تدّعي أنّ العدالة شيء غريب عن فطرة الإنسان. وعندما نضرب مثالاً بأمير المؤمنين عليه السلام فلا يتصوّر البعض أنّ هذا الأمر منحصر في شخص واحد فقط، كلّا، فقد كان عليه السلام أستاذاً لمدرسة تلّقى فيها الكثيرون دروس العدالة وتخرّجوا منها بتفوّق، وساروا على هذا النهج طيلة حياتهم. كما أننا نرى في كلّ العصور والأزمنة، وحتّى في زماننا هذا، أفراداً يؤمنون بالعدالة بصورة واقعيّة، وقد مُزجت فطرتهم بحبّها مزجاً، وسوف يكون إنسان العصور القادمة أيضاً كذلك.

التطبيق العمليّ للعدالة الكلّية وكيفيّته

من البديهيّ أنّ العدالة شيء عمليّ وقابل للتطبيق، لأنها تتلاءم مع فطرة الإنسان أولاً، وتنسجم مع قوانين الكون والطبيعة ثانياً. ولكنّ تحقيق هذا الأمر يحتاج إلى وضع برنامج صحيح والإشراف على إجرائه وتنفيذه بدقّة وكفاءة عالية، ولن يتمّ بصورته الكاملة إلّا في عهد صاحب الزَّمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف فهو ذلك «المربّي الكامل» الذي تنتظره البشرية جمعاء لترى تطبيق العدل الكليّ والعدالة الشاملة على يديه.

والغريب في الأمر أنّ هناك الكثيرين ممّن يتصوّرون أنّ مسألة ظهور الإمام الحجّة عجّل الله تعالى فرجه الشريف هي مسألة مساوية لانحطاط العالم وتقهقر البشريّة. ولكنّ القضية على العكس من ذلك، فهي عنوان الرقيّ الفكريّ والأخلاقيّ والعلميّ للبشر، وذلك

بحكم كلّ الشواهد والأدلّة التي وصلت إلينا عن طريق ديننا الذي يُحدّثنا عن موضوع ظهور الحجّة ﻋﺠﻞ الله تعالى فرجه الشريف وسيادة العدل الكليّ الشامل في طول الدنيا وعرضها. ففي أحاديث "أصول الكافي" نقرأ أنّه عندما يظهر الحجّة ﻋﺠﻞ الله تعالى فرجه الشريف ، فإنَّه يمسح بيده على أفراد البشر فتزداد عقولهم، كما يزداد فكرهم وعملهم، بعد أن تُنزع من نفوسهم طبيعة الشرّ والعدوان، ويكون هناك في الدنيا الرُقيّ الحقيقي، والتكامل الواقعي للإنسان"«١» ،«٢» .

«١» أصالة الروح، العلامة الشهيد الشيخ مرتضى مطهري، ص٢٠٠-٢١٢.

«٢» من كتاب أمل الإنسان، سلسلة المسابقات الثقافية، نشر جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

سيرته عليه السلام القضائية والإدارية والمالية

تمهيد:

المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً كما تواترت بذلك الأحاديث النبوية، وإنجاز هذه المهمة يحتاج الى سيرة قضائية صارمة، لذلك فهو يجسد سيرة جده الإمام علي عليه السلام الشديدة في تتبع حقوق الناس المغصوبة وأخذها من الغاصب حتى لو كانت مخبأة تحت ضرس وحتى لو تزوج بها الحرائر، و: «يبلغ من ردّ المهدي المظالم، حتى لو كان تحت ضرس إنسان شيء انتزعه حتى يرده» «١» فيبلغ من عدله أن «تتمنى الأحياء الأموات» «٢» أي يتمنوا عودة الأموات لينعموا ببركات عدله.

وتذكر مجموعة من الأحاديث الشريفة أنه عليه السلام يحكم بحكم سليمان وداود عليهما السلام في قضائه، أي بالعلم «اللدني» دون الاحتجاج بالبينة «٣» ولعل ذلك انطلاقاً من مهمته في اقرار العدل الحقيقي دون الظاهري الذي قد تقرّه البينة الظاهرية وإن

«١» إثبات الهداة: ٢/ ٤١٠.

«٢» ابن حماد: ١٠٢، الطبراني الأوسط: ١ / ١٣٦.

«٣» كمال الدين: ٤١١.

كان خلاف العدل الحقيقي وهذه حقيقة معروفة وقد شهدها التأريخ الإسلامي والانساني ويشهد التأريخ المعاصر الكثير من مصاديقها حيث يُؤدي الالتزام بالبينات الظاهرية الى غياب العدل الحقيقي وإن أقرت العدل الظاهري. وعلى أي حال. فهذه من خصوصيات عهده عليه السلام وهي تنسجم مع طبيعة الأوضاع العامة لهذا العهد.

سيرته تجاه الأديان والمذاهب:

يزيل الإمام المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف مظاهر الشرك كافة ويروج التوحيد الخالص: «ولا يبقى في الأرض بقعة عبد فيها غير الله إلاّ عُبد الله فيها ويكون الدين كله لله ولو كره المشركون «١» ، ويقوم عليه السلام بعرض الإيمان على الجميع وينهي الحالة المذهبية فيوحد المذاهب الإسلامية ويصلح الله به أمر الأمة ويرفع اختلافها ويؤلّف قلوبها«٢» على أساس السنة النبوية النقية وما أُخفي أو ضيّع من قيم الإسلام الأصيلة. فهو كما قال جدّه صلى الله عليه وآله : «سنته سنتي يقيم الناس على ملتي وشريعتي»«٣».

ويُستفاد من بعض الروايات أنه عليه السلام يقوم بإخراج التوارة والإنجيل غير المحرّفين من غار بأنطاكية ويحاجج اليهود والنصارى بهما ويستخرج حُلي بيت

«١» ابن حماد، ٩٨، سنن الداني: ١٠١، الحاوي للسيوطي: ٢/ ٧٥، لوائح السفاريني: ٢/ ٢ تاريخ بغداد: ٩/ ٤٧١، عقد الدرر: ١٤١.

«٢» غيبة النعماني: ١٤٦.

«٣» مسند أحمد: ٢ / ٢٤٠، صحيح مسلم: ٢ / ٩١٥، مستدرك الحاكم: ٢/ ٥٩٥.

المقدس ومائدة سليمان ويردها الى بيت المقدس«١»، ويدعمه في موقفه هذا عيسى عليه السلام الذي «يحتج به على نصارى الروم والصين»«٢» حيث يرفض وفود اليهود والنصارى بعد نزوله عندما يأتونه مدعين أنهم أصحابه فيردهم ويصرّح بأنّ أصحابه هم المسلمون فينضم الى مجمع المهدي عليه السلام الأمر الذي يؤدي الى رجوع النصارى عن تأليهه كما يقوم بأداء فريضة الحجّ الى البيت الحرام«٣» ويُدفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله «٤».

وتذكر بعض الروايات أن المهدي عليه السلام يخرج التوراة الأصلية من جبال بالشام ويحاجج اليهود بها فيسلم منهم جماعة كثيرة«٥» «ثم يستخرج تاب ت السكينة من بحيرة طبرية ويُوضع بين يديه في بيت المقدس فيسلم اليهود و لا يبقى على العناد إلاّ القليل منهـم«٦».

«١» تاريخ البخاري: ٧ / ٢٣٣، مسلم: ٤/ ٢٢٥٣، ابن ماجة: ٢/ ١٣٥٧، الترمذي: ٤/ ٥١٢.

«٢» تاريخ البخاري: ١ / ٢٦٣، الترمذي: ٥/ ٥٨٨.

«٣» ابن حماد: ٩٨، ينابيع المودّة للقندوزي: ٣/ ٣٤٤.

«٤» ابن حماد: ٩٩ ـ ١٠٠، عقد الدرر: ١٤٧، القول المختصر: ٢٤.

«٥» ملاحم السيد ابن طاووس: ٣٢.

«٦» اثبات الهداة: ٣ / ٥٠٦.

محاربة البدع ونفي تحريف الغالين والمبطلين

وينفي الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف عن الدين التحريفات بصورة كاملة ويزيل كل البدع التي ورثها المسلمون من قرون الابتعاد عن الثقلين والسنة النبوية النقية وتعطيلها وهذا هو هدف ظهوره: «ليمحو الله به البدع كلها ويميتُ به الفتن كلها، يفتح الله به باب كلّ حقّ، ويُغلق به كل باب باطل» «١».

وأول ما يبدأ به عليه السلام ، فتذكر الأحاديث الشريفة من مصاديقه هدم المقاصير التي ابتدعها بنو أمية في المساجد لعزل الإمام عن المأمومين«٢»، ويعيد مقام ابراهيم عليه السلام الى موضعه الأصلي«٣» ويزيل عن المساجد كل ما أُبتدع فيها ويعيدها الى السنة الإسلامية الأولى والطريقة المحمدية«٤».

سيرته الادارية

ويختار المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف لحكم الأرض ولاةً هم خيرة أصحابه الذين يتحلّون بأعلى كفاءات الوالي الإسلامي من العلم والفقه والشجاعة والنزاهة والإخلاص«٥»، وهو مع ذلك متابع لأمورهم وطريقة قيامهم بمهامهم ويحاسبهم بشدة فإن: «علامة المهدي أن يكون شديداً على العمال جواداً بالمال

«١» اثبات الهداة: ٥٢٧.

«٢» اثبات الهداة: ٥١٦ ـ ٥١٧.

«٣» إثبات الهداة: ٣/ ٤٩٤.

«٤» مسند ابن ابي شيبة: ١٥ / ١٩٩، سنن الدارمي: ١٠١، حاوي السيوطي: ٢/ ٧٧.

«٥» مسند ابن أبي شيبة: ١٥/ ١٩٩، سنن الدارمي: ١٠١، حاوي السيوطي: ٢/ ٧٧.

رحيماً بالمساكين»«١»، وفي عهده: «يُزاد المحسن في إحسانه ويُتاب على المسيء»«٢».

وهو عليه السلام شديد مع المتاجرين بالدين والمقدسات الإسلامية الساعين لإضلال الناس، يردعهم عن ذلك، وممّا يقوم به في بدايات ظهوره هو قطع أيدي سدنة الكعبة بسبب ذلك ويفضحهم أمام الناس لكي لا ينخدعوا بهم إذ هم «سراق الله»«٣».

سيرته الجهادية

ويقوم الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف بالسيف، فظهوره يكون بعد إتمام الحجة البالغة واتضاح الحقائق بالكامل وفتح أبواب الحق وإغلاق الباطل ووقوع المعجزات والكرامات المبرهنة على تمتعه بالتأييد الإلهي ونصرة الملائكة البدريين له وامتلاكه قميص يوسف وعصا موسى وحجره وخاتم سليمان ودرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ورايته وسائر مواريث الأنبياء عليهم السلام وإظهاره له«٤» وإتضاح تمثيله الصادق لمنهجهم وسعيه لتحقيق أهدافهم الإلهية وإقرار العدالة السماوية. ومع اتضاح كل ذلك لا يبقى على الباطل إلاّ المنحرفون المفسدون الذين لا يُرجى

«١» إثبات الهداة: ٣/ ٤٤٩، ٤٥٥.

«٢» إثبات الهداة: ٤٣٩ ـ ٤٤٠، ٤٩٤، ٤٧٨، ٤٨٧، وراجع عقد الدرر: ١٣٥، الفصول المهمة: ٢٩٨،

«٣» كفاية الأثر: ١٤٧، ابن حماد: ٩٨، القول المختصر: ٣٤، برهان المتقي: ١٥٢.

«٤» الكافي: ٨/ ٢٢٧ وعنه في إثبات الهداة: ٣/ ٤٥٠.

منهم إلاّ الفساد والأذى والظلم الذي يجب أن تُطهر منه الدولة المهدوية، لذلك نلاحظ في سيرة الإمام الجهادية الصرامة والحزم والحدية في التعامل مع الظالمين والمنحرفين فلا يبقى على الأرض منهم ديّار ولا يسمح لهم بالنشاط الإفسادي. على أن الأحاديث الشريفة تصرّح بأنّ المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف يسير بسيرة أبويه رسول الله ووصيه الإمام علي عليه السلام في مجاهدة المنحرفين والمبطلين فلا يبدأ القتال إلاّ بعد عرض الإيمان والدين الحق عليْهم «١» ومحاججتهم بما ألزموا به أنفسهم كما رأينا في قضية إخراجه التوراة والإنجيل وهذه قضية أخرى مهمة في سيرته الجهادية عليه السلام.

ويُستفاد من الروايات الشريفة أن من سيرته الجهادية تصفية الجبهة الداخلية وهي جبهة العالم الإسلامي من التيارات المحاربة المنحرفة أولاً قبل البدء بمجاهدة القوى الأجنبية، فينهي حركة السفياني ونفوذ البترية والمتأولة الجاهلين والنواصب المضلين المعاندين «٢» ويعقد لأجل ذلك هدنة مع الروم قبل ان يتوجه لمجاهدة اليهود ثم الروم وقتل الدجال وفتح الأرض كلّها. بل ويعمد قبل البدء بتصفية الجبهة الداخلية بتنظيم صفوف جيشه ويعيّن القادة العسكريين الأكفاء ويعقد لهم الألوية ويذهب بالعاهات والضعف عن أنصاره ويقوّي

«١» اثبات الهداة: ٧١.

«٢» اثبات الهداة: ٧١.

قلوبهم«١» ويملأها إيماناً بالحق الذي يجاهدون من أجله ويبتليهم ويمحصهم،«٢» « لكي يتحرك لإنجاز مهمته الإصلاحية الكبرى بجيش عقائدي قوي ومنسجم يتحلى بالكفاءة القتالية المطلوبة والقوة المعنوية اللازمة.

سيرته المالية:

يعيد المهدي الموعود عجل الله تعالى فرجه الشريف نظام «التسوية في العطاء»«٣» الذي كان سائداً على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ثم غيّر وبُدّل من بعده وأُبتدعت بدله معايير جديدة أحدثت نظام التفاضل الطبقي بالتدريج بالرغم من التزام الوصي الإمام علي عليه السلام إبان خلافته بنظام التسوية في العطاء وتابعه على ذلك ابنه الحسن عليه السلام في شهور خلافته القليلة لكنه قد غاب بالكامل بعد استشهادهما، وبدأ بنو أمية بالاستئثار بأموال المسلمين وتقييد العطاء من بيت المال بمصالحهم السياسية وتحويله من عطاء شرعي الى رشاو مقيتة يستجلبون بها الأنصار لهم على الباطل أو يشترون به سكوت البعض عن الحق.

والمهدي المنتظر عليه السلام يجعل بيت المال قسمة مشتركة بين المسلمين دونما تفاضل أو تمييز، فالجميع متساوون في الانتفاع من النعم الإلهية والخدمات المستثمرة من الأموال العامة، تطبيقاً لأحد أبعاد العدالة المحمدية المكلّف باقرارها. وتصرح الأحاديث الشريفة بأنه ينهي الحالة الإقطاعية حسب النص القائل: «إذا قام

«١» الكافي: ٨/ ١٦٧، كمال الدين: ٦٧٢.

«٢» مسند أحمد: ٣ / ٣٧، ملاحم ابن المنادي: ٤٢، ميزان الاعتدال: ٣/ ٩٧.

«٣» قرب الإسناد للحميري: ٣٩.

قائمنا اضمحلت القطائع فلا قطائع»«١»، والمقصود بها الأراضي الزراعية أو غيرها من الثروات والمنافع التي يعطيها الحكام للمقرّبين منهم وقد راجت هذه الظاهرة بعد وفاة رسول الله ﷺ وخاصة في عهد الخليفة الثالث وفي العصر الأموي بشكل خاص.

وتتحدث الكثير من الأحاديث عن كثرة عطائه عليه السلام وتعتبرها علامة مميزة له فهو: «يحثو المال حثواً»«٢» عندما يُعطي من سأله، وهذا وإن كان يشير الى كرمه وكثرة الخيرات والبركات في عصره إلاّ أنها تفصح عن نقطة مهمة أخرى في سيرته الاقتصادية عليه السلام وهي سيرة إغناء الناس بما يكفيهم ويغنيهم ويجعلهم في رفاهيّة من العيش بحيث يتفرّغوا الى الطاعات والعبادة والعمل الإصلاحي الفردي والاجتماعي.

وعليه يتضح أن سيرته في المجال المالي ترتبط بمهمته الإصلاحية وإقامة المجتمع التوحيدي الخالص في تعبده لله تبارك وتعالى فالمراد منها توفير متطلبات ذلك وإزالة العقبات الصادة عنه.

الصورة العامة للدولة المهدوية في النصوص الشرعية

إنّ الدولة المهدوية إنّما تأتي لتحسم عصر المعاناة الذي عاشته البشرية طويلاً وتنهي الظلم والجور الذي ملأ الأرض نتيجة لحكم الطواغيت و حاكمية الأهواء والشهوات والنزعات المادية وبظهور الإمام المهدي المنتظر على مدى

«١» مسند أحمد: ٣ / ٨٠.

«٢» اثبات الهداة: ٣ / ٥٠٤.

القرون. «يفرج الله عن الأمة فطوبى لمن أدرك زمانه». فالله تبارك وتعالى يحقق للأمة المسلمة ولبني الانسان عامة، كل الطموحات الفطرية السليمة، ويزيل الشرك ويقيم المجتمع الموحّد العابد الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر والمسارع للخيرات السائر في منازل الكمال ومعارج النور.

وتخرج الأرض بركاتها وكذلك السماء، وما يحصل عليه الناس ليس هو الغنى المادي فحسب بل هو «الاستغناء» حيث «يملأ الله قلوب اُمة محمد ﷺ غنىً ويسعهم عدله»«١» أي يحرّرهم من أسر المتطلبات والحاجات المادية المعيشية المحدودة، فالمهدي المنتظر الذي يحرر المسلمين من ذل التبعية للضالّين والمنحرفين، كما صرّح به النص القائل: «وبه يخرج ذل الرق من أعناقكم»«٢» يحرر البشرية من ذل الحياة البهيمية والخضوع لأسر الشهوات ويفتح أمام الانسان جميع أبواب التكامل والرقي المعنوي والتكامل الروحي فيشهد عصره تطوراً فكرياً وروحياً عالياً كما يشير لذلك الإمام الباقر عليه السلام حيث يقول: «إذا قام قائمنا وضع الله يده على رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم»«٣»، ومما يساعد على ذلك ـ إضافةً الى العامل المهم والرئيسي المتقدم ـ عامل ثانوي هو التطور الهائل الذي يشهده عصره خاصةً في مجال الاتصالات

«١» مسند أحمد: ٣/ ٣٧.

«٢» الغيبة للطوسي: ١٨٥، ح ١٤٤

«٣» إثبات الهداة: ٣ / ٤٤٨، الكافي: ١ / ٢٥، كمال الدين: ٦٧٥.

والذي نرى بوادره اليوم طبق القوانين العلمية أيضاً كما يشير الى ذلك الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «إن قائمنا إذا قام مدَّ الله عزّ وجلّ لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلّمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه»«١» ولعل ذلك يكون بوسائل غيبية تمكّنهم منها المراتب الروحية السامية التي يصلون إليها وإن كان ذلك قد أصبح ممكناً بدرجة محدودة اليوم أيضاً عبر وسائل الاتصال الحديثة المتطورة، ولكن من المؤكد ـ استناداً للأحاديث الشريفة ـ أن الكثير من الحقائق والقضايا الغيبية تظهر في عصر الدولة المهدوية ويحظى الكثير من المؤمنين بمراتب عالية من معرفة أسرار الغيب وعلم الكتاب وتجاوز الأسباب والقوانين الطبيعية والكثير من الظواهر التي نعتبرها اليوم من المعجزات غير المألوفة«٢».

ومع توفير الدولة المهدوية لجميع عوامل التكامل المادي والروحي يقام المجتمع الموحّد الذي يعبد الله تبارك وتعالى بإخلاص فتسود العلاقات الإيمانية المحضة وتحكمه قيم من قبيل البراءة ممن «كان بالرهن أوثق منه بأخيه المؤمن» ومثل أن «ربح المؤمن على المؤمن ربا»«٣» فحتّى العمل التجاري يكون يومئذ عبادة خالصة لله عز وجل إذ يكون بهدف خدمة عباد الله فقط.

«١» إثبات الهداة: ٣/ ٤٥٠ ـ ٤٥١.

«٢» راجع مثلاً كمال الدين: ٦٥٤.

«٣» مَن لا يحضره الفقيه ، الشيخ الصدوق: ٣ / ٣١٣، تهذيب الأحكام: ٧/ ١٧٨.

يقول الإمام علي عليه السلام ضمن حديث في وصف جامع لدولة الإمام المهدي العالمية: «... يؤيده الله بملائكته ويعصم أنصاره وينصره بآياته ويظهره على أهل الأرض حتى يدينوا طوعاً وكرهاً، ويملأ الأرض عدلا وقسطاً ونوراً وبرهاناً، يدين له عرض البلاد وطولها حتى لا يبقى كافرٌ إلاّ آمن ولا طالح إلاّ صلح ويصطلح في ملكه السباع وتخرج الأرض بركاتها وتنزل السماء بركتها وتظهر له الكنوز، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً، فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه»«١»، أجل في ظل دولة المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف يتضح للعالمين أن صلاح البشرية وخيرها وتكاملها المادّي والمعنوي إنما يتحقق في ظل رسالة السماء وعلى يدي أولياء الله المعصومين عليهم السلام وهذا ما يحققه الله تعالى على يد خاتمهم وخاتم الأئمة الاثني عشر الأوصياء أي المهدي الذي وعد الله به الأُمم: «ولذلك يرضى عنه ساكن الأرض وساكن السماء» كما أخبر عن ذلك جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله «٢» ، «٣» .

«١» اثبات الهداة: ٣/ ٥٢٤.

«٢» مستدرك الحاكم: ٤ / ٤٦٥، فتن ابن حماد: ٩٩.

«٣» الموضوع مقتبس من كتاب اعلام الهداية .

عقيدتنا في الرجعة والرجعة زمن الظهور

إنّ الذي تذهب إليه الإمامية ـ أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام ـ أنّ الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعزّ فريقاً ويذلّ فريقاً آخر، ويديل المحقّين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين، وذلك عند قيام مهدي آل محمّد عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام.

ولا يرجع إلاّ من علت درجته في الايمان، أو مَن بلغ الغاية من الفساد، ثمّ يصيرون بعد ذلك إلى الموت، ومن بعده إلى النشور وما يستحقّونه من الثواب أو العقاب، كما حكى الله تعالى في قرآنه الكريم تمنّي هؤلاء المرتجعين ـ الذين لم يصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله ـ أن يخرجوا ثالثاً لعلّهم يصلحون: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿١١﴾ ﴾ [غافر: ١١] .نعم، قد جاء القرآن الكريم بوقوع الرجعة إلى الدنيا، وتظافرت بها الأخبار عن بيت العصمة، والإمامية بأجمعها عليْه، إلاّ قليلون منهم تأوّلوا ما ورد في الرجعة بأنّ معناها رجوع الدولة والأمر والنهي إلى آل البيت بظهور الإمام المنتظر، من دون رجوع أعيان الأشخاص وإحياء الموتى.

والقول بالرجعة يعد عند أهل السنة من المستنكرات التي يستقبح الاعتقاد بها، وكان المؤلّفون منهم في رجال الحديث يعدّون الاعتقاد بالرجعة من الطعون في

الراوي والشناعات عليه التي تستوجب رفض روايته وطرحها، ويبدو أنّهم يعدّونها بمنزلة الكفر والشرك بل أشنع، فكان هذا الاعتقاد من أكبر ما تنبز به الشيعة الامامية، ويشنَّع به عليهم.

ولا شكّ في أنّ هذا من نوع التهويلات التي تتّخذها الطوائف الإسلامية ـ فيما غبر ـ ذريعة لطعن بعضها في بعض، والدعاية ضدها، ولا نرى في الواقع ما يبرّر هذا التهويل، لانّ الاعتقاد بالرجعة لا يخدش في عقيدة التوحيد، ولا في عقيدة النبوّة، بل يؤكد صحّة العقيدتين، إذ الرجعة دليل القدرة البالغة لله تعالى كالبعث والنشر، وهي من الامور الخارقة للعادة التي تصلح أن تكون معجزة لنبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله وآل بيته عليهم السلام .

وهي عيناً معجزة إحياء الموتى التي كانت للمسيح عليه السلام ، بل أبلغ هنا، لأنها بعد أن يصبح الأموات رميماً ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس: ٧٨-٧٩].

وأمّا من طعن في الرجعة باعتبار أنّها من التناسخ الباطل، فلأنّه لم يفرّق بين معنى التناسخ وبين المعاد الجسماني، والرجعة من نوع المعاد الجسماني، فإنّ معنى التناسخ هو انتقال النفس من بدن إلى بدن آخر منفصل عن الأول، وليس كذلك معنى المعاد الجسماني، فإنّ معناه رجوع نفس البدن الأول بمشخّصاته النفسية، فكذلك الرجعة.

وإذا كانت الرجعة تناسخاً فإنّ إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام كان تناسخاً، وإذا كانت الرجعة تناسخاً كان البعث والمعاد الجسماني تناسخاً.

إذن، لم يبق إلاّ أن يناقش في الرجعة من جهتين:

الأولى: أنّها مستحيلة الوقوع.

الثانية: كذب الأحاديث الواردة فيها.

وعلى تقدير صحة المناقشتين، فانّه لا يعتبر الاعتقاد بها بهذه الدرجة من الشناعة التي هوَّلها خصوم الشيعة.

وكم من معتقدات لباقي طوائف المسلمين هي من الأمور المستحيلة، أو التي لم يثبت فيها نص صحيح، ولكنّها لم توجب تكفيراً وخروجاً عن الإسلام، ولذلك أمثلة كثيرة، منها: الاعتقاد بجواز سهو النبي أو عصيانه، ومنها الاعتقاد بقدم القرآن، ومنها: القول بالوعيد، ومنها: الاعتقاد بأنّ النبي لم ينص على خليفة من بعده.

على أنّ هاتين المناقشتين لا أساس لهما من الصحّة، أمّا أنّ الرجعة مستحيلة فقد قلنا أنّها من نوع البعث والمعاد الجسماني، غير أنّها بعث موقوت في الدنيا، والدليل على إمكان البعث دليل على إمكانها، ولا سبب لاستغرابها إلاّ أنّها أمر غير معهود لنا فيها ألفناه في حياتنا الدنيا، ولا نعرف من أسبابها أو موانعها ما يقرّبها إلى اعترافنا أو يبعدها، وخيال الإنسان لا يسهل عليه أن يتقبّل تصديق ما لم يألفه، وذلك كمن يستغرب البعث فيقول: ﴿ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَامَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ [يس:

٧٨]؟ فيقال له: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس: ٧٩].

نعم، في مثل ذلك ممّا لا دليل عقلي لنا على نفيه أو إثباته، أو نتخيّل عدم وجود الدليل، يلزمنا الرضوخ إلى النصوص الدينية التي هي من مصدر الوحي الالهي، وقد ورد في القرآن الكريم ما يثبت وقوع الرجعة إلى الدنيا لبعض الأموات، كمعجزة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى: ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ ﴿٤٩﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٩] .

وكقوله تعالى: ﴿ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

والآية المتقدّمة: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ ﴿١١﴾ ﴾ [غافر: ١١]، فإنّه لا يستقيم معنى هذه الآية بغير الرجوع إلى الدنيا بعد الموت، وإن تكلّف بعض المفسِّرين في تأويلها بما لا يروي الغليل، ولا يحقّق معنى الآية.

وأمّا المناقشة الثانية ـ وهي دعوى أنّ الحديث فيها موضوع ـ فإنّه لا وجه لها، لانّ الرجعة من الأمور الضرورية فيما جاء عن آل البيت من الأخبار المتواترة.

وبعد هذا، أفلا تعجب من كاتب شهير يدَّعي المعرفة مثل أحمد أمين في كتابه "فجر الإسلام" إذ يقول: "فاليهودية ظهرت في التشيّع بالقول بالرجعة"!

فأنا أقول له على مدّعاه: فاليهودية أيضاً ظهرت في القرآن بالرجعة، كما تقدّم ذكر القرآن لها في الآيات المتقدّمة.

ونزيده فنقول: والحقيقة أنّه لابدّ أن تظهر اليهودية والنصرانية في كثير من المعتقدات والأحكام الإسلامية، لانّ النبي الأكرم جاء مصدّقاً لما بين يديه من الشرائع السماوية وإن نسخ بعض أحكامها، فظهور اليهودية أو النصرانية في بعض المعتقدات الإسلامية ليس عيباً في الإسلام، على تقدير أنّ الرجعة من الآراء اليهودية كما يدّعيه هذا الكاتب.

وعلى كلّ حال، فالرجعة ليست من الأصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها، وإنّما اعتقادنا بها كان تبعاً للآثار الصحيحة الواردة عن آل البيت عليهم السلام الذين ندين بعصمتهم من الكذب، وهي من الأمور الغيبية التي أخبروا عنها، ولا يمتنع وقوعها.

من هم الراجعون؟ «١»

من حصيلة مجموع الروايات الواردة في هذا الباب نلاحظ أنّها تنصّ على رجعة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام «٢» والإمام الحسين عليه السلام «٣» وكذلك باقي الأئمة والأنبياء عليهم السلام «٤».

«١» من هنا الى نهاية البحث مقتبس من الموقع الالكتروني لمركز الأبحاث العقائدية.

«٢» تفسير القمي ٢: ١٤٧. وغيبة النعماني: ٢٣٤ | ٢٢.

«٣» الكافي، للكليني ٨: ٢٠٦ | ٢٥٠. وبحار الأنوار ٥٣: ٣٩ | ١ و ٤٣ | ١٤ و ٨٩ | ٩٠.

«٤» تفسير القمي ١: ٢٥ و ١٠٦، ٢: ١٤٧. وتفسير العياشي ١: ١٨١ | ٧٦..

وتنصّ كذلك على رجعة عدد من أنصار الإِمام المهدي عليه السلام ووزرائه، وبعض أصحاب الاَئمة وشيعتهم«١» ، ورجعة الشهداء والمؤمنين«٢» ، ومن جانب آخر تنصّ على رجعة الظالمين وأعداء الله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام «٣» ، وخصوم الاَنبياء والمؤمنين، ومحاربي الحق والمنافقين«٤» ، وجميع هؤلاء لا يخرجون من الصنفين المذكورين في الحديث المتقدم.

هل ثمة رجعة بعد عصر الظهور؟

استفاضت الاَخبار من عدة طرق بحديث الرجعة في عصر الإِمام المهدي عليه السلام وعدّها الشيخ المفيد قدس سره من علامات الظهور، حيثُ قال في باب ذكر علامات القائم عليه السلام من كتاب «الارشاد»: قد جاءت الاَخبار بذكر علامات لزمان قيام القائم المهدي عليه السلام وحوادث تكون أمام قيامه وآيات ودلالات، فمنها خروج السفياني.. إلى أن قال: وأموات ينشرون من القبور حتى يرجعوا إلى الدنيا

«١» رجال الكشي: ٢١٧ | ٣٩١. والكافي، للكليني ٨: ٥٠ | ١٤.

«٢» تفسير العياشي ١: ١٨١ | ٧٧ و ٢: ١١٢ | ١٣٩. ومختصر بصائر الدرجات، للحسن بن سليمان: ١٩. والخرائج والجرائح، للقطب الراوندي ٣: ١١٦٦ | ٦٤. وبحار الاَنوار ٥٣: ٦٥| ٥٨ و ٧٠ | ٦٧.

«٣» كتاب زيد النرسي، الاصول الستة عشر: ٤٣ ـ ٤٤. وبحار الاَنوار ٥٣: ٥٤ | ٣٢.

«٤» دلائل الإِمامة، للطبري: ٢٤٧. وتفسير القمي ١: ٣٨٥. ومختصر بصائر الدرجات: ١٩٤.

فيتعارفون فيها ويتزاورون. إلى أن قال: فيعرفون عند ذلك ظهوره بمكة، فيتوجهون نحوه لنصرته«١» .

وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «أيام الله ثلاثة: يوم يقوم القائم، ويوم الكرة، ويوم القيامة»«٢» . وهو يدلُّ على أنَّ هناك كرة بعد عصر الإمام صاحب الزمان عليه السلام ، ويستفاد من روايات الرجعة أنّ لأمير المؤمنين علي عليه السلام كرات عدة«٣» ، وأنّ الإمام الحسين عليه السلام يكرُّ بعد عصر الظهور«٤» .

وفي هذا السياق يقول السيد عبدالله شبر: يجب الإيمان بأصل الرجعة إجمالاً، وأنَّ بعض المؤمنين وبعض الكفّار يرجعون إلى الدنيا، وإيكال تفاصيلها إليهم عليهم السلام والأحاديث في رجعة أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام متواترة معنىً، وفي باقي الأئمة قريبة من التواتر، وكيفية رجوعهم هل هو على الترتيب أو غيره، فكل علمه إلى الله سبحانه وإلى أوليائه «٥» .

«١» الارشاد ٢: ٣٦٨ ـ ٣٧٠.

«٢» الخصال، للصدوق: ١٠٨ | ٧٥. ومعاني الأخبار، للصدوق: ٣٦٥ | ١.

«٣» مختصر بصائر الدرجات: ٢٩. وبحار الأنوار ٥٣: ٧٤ | ٧٥ و٩٨ | ١١٤ و ١٠١ | ١٢٣.

«٤» تفسير العياشي ٢: ٣٢٦ | ٢٤. ومختصر بصائر الدرجات: ٤٨. والاختصاص، للمفيد: ٢٥٧.

«٥» عقائد الإمامية: ١٠٩. والآيتان من سورة يس ٣٦: ٧٨ ـ ٧٩.

المصادر

القرآن الكريم

١. إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الشيخ محمد بن الحسن الحرّ العاملي.
الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب.
٢. الأسس المنطقية للاستقراء، محمد باقر الصدر.
٣. أصالة الروح، العلامة الشهيد الشيخ مرتضى مطهري
٤. أعلام الهداية، مجمع اهل البيت عليهم السلام العالمي.
٥. إقبال الأعمال، رضي الدين علي بن سعد الدين ابي ابراهيم موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس.
٦. إنسان بعمر ٢٥٠ سنةً، السيد علي الخامنئي.
٧. أهل البيت عليهم السلام في الكتاب المقدس، احمد الواسطي.
٨. بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي.
٩. بحث حول الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، الشهيد محمد باقر الصدر.
١٠. البرهان على طول عمر الإمام صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، أبو الفتح محمّد بن علي بن عثمان الكراجكي.
١١. التاج الجامع للأصول، منصور علي ناصف.

١٢. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري.

١٣. تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهديّ ﷺ ، السيد هاشم البحراني

١٤. تفسير العياشي ، المحدث الجليل ابى النضر محمد بن مسعود بن عياش السلمى السمرقندى المعروف بالعياشي.

١٥. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي.

١٦. تفسير الكشاف ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله.

١٧. تفسير الميزان ، السيد محمد حسين الطباطبائي .

١٨. تهذيب الأحكام، ابو جعفر محمد بن الحسن الشيخ الطوسي.

١٩. ثمانية عشر وظيفة في زمن الغيبة، سلسلة بين يدي القائم ﷺ، نشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية.

٢٠. ثواب الأعمال، محمّد بن على بن بابويه المعروف بالصدوق.

٢١. جامع أحاديث الشّيعة، السيد الامام آقا حسين البروجردي.

٢٢. خاتمة المستدرك، الميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي.

٢٣. الخرائج والجرائح، الشيخ قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله ابن الحسين الراوندي.

٢٤. الدر المنثور في التفسير المأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي.

٢٥. دولة القائم المنتظر ﷺ ، عبد الهادي الفضلي.

٢٦. رجال الكشي او اختيار معرفة الرجال، ابو جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطّوسي .
٢٧. سفينة البحار، الشيخ عباس بن محمد رضا القمي.
٢٨. سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمّد بن يزيد ابن ماجة القزويني.
٢٩. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى.
٣٠. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله.
٣١. الصحيفة المهدية، إبراهيم بن المحسن الكاشاني.
٣٢. عقد الدرر في اخبار المهدي المنتظر، ابو الفضل يوسف بن يحيى الشافعي الدمشقي.
٣٣. علل الشرائع، الشيخ محمد بن علي بن الحسين الملقب بالصدوق.
٣٤. غيبة الشيخ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي.
٣٥. الغيبة الكبرى، السيد محمد محمد صادق الصدر.
٣٦. الفتوحات المكيّة ، محي الدين بن عربي .
٣٧. فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين والائمة من ذريتهم عليهم السلام ،الشيخ ابراهيم بن محمد الجويني.
٣٨. الفصول المهمة، علي بن محمّد المالكي المكّي، الشهير بـ «ابن الصباغ» .
٣٩. فلسفتنا، محمد باقر الصدر.
٤٠. فيض القدير في شرح الجامع الصغير، تاج الدين المناوي.

٤١. قصص الأنبياء عليهم السلام ، نعمة الله الجزائري.

٤٢. القول المختصر في علامات المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف ، احمد بن محمد ابن حجر الهيثمي.

٤٣. الكافي، محمد بن يعقوب الكليني.

٤٤. كتاب السيرة، جعفر السبحاني.

٤٥. كتاب أمل الإنسان، سلسلة المسابقات الثقافية.

٤٦. كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثنى عشر، أبو القاسم على بن محمّد بن علي الخزّاز القمي الرازي.

٤٧. كمال الدين وتمام النعمة، ابو جعفر محمد بن على بن الحسين بن بابويه القمي.

٤٨. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي.

٤٩. المجالس السنيّة، السيد الأمين العاملي.

٥٠. مجلة المقتطف هل يخلد الإنسان في الدنيا

٥١. مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلي.

٥٢. مرآة الأسرار، عبد الرحمن الجامي الحنفي.

٥٣. مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني.

٥٤. مصباح الزائر ، أبو القاسم علي بن موسى بن طاووس .

٥٥. مصباح المتهجد ،محمد بن الحسن الطوسي.

٥٦. معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف ، الشيخ علي الكوراني العاملي

٥٧. مفاتيح الجنان ، عباس القمي .

٥٨. مقاتل الطالبيّين ، ابو الفرج الأصفهاني.

٥٩. مقالات تأسيسية، السيد محمد حسين الطباطبائي.

٦٠. مكيال المكارم، محمد حسين الاصفهاني.

٦١. الملاحم والفتن، نعيم بن حماد.

٦٢. مَن لا يحضره الفقيه، الشيخ محمد بن علي بن الحسين الملقب بالصدوق.

٦٣. من وحي كلمات الحجة ﷻ ، سلسلة بين يدي القائم ﷻ .

٦٤. منتخب الأثر، لطف الله الصـــــافي.

٦٥. منع تدوين الحديث ـ اسباب ونتائج» ، علي الشهرستاني.

٦٦. الموقع الالكتروني لمركز الأبحاث العقائدية

٦٧. ميزان الحكمة، محمد الريشهري.

٦٨. النجم الثاقب في أحوال الامام الحجة الغائب ﷻ ، ميرزا حسين النوري الطبرسي

٦٩. نهضة المهديّ في التاريخ، العلامة الشهيد الشيخ مرتضى مطهري.

٧٠. ينابيع المودة ، سليمان إبراهيم الحنفي المعروف بـ «القندوزي».

الفهرس

منشورات حسينية الامام الحسين عليه السلام /بقلم سماحة السيد يوسف الناجي

١. سلسلة الموسوعة الرمضانية وتضم:

أ- تأملات روحية وتربوية في سورة القدر.

ب- الضيافة الإلهية.

ت- المناسبات الرمضانية.

ث- تعرف على شهر رمضان من المنظور الطبي والشرعي.

ج- اعمال شهر رمضان مقتبس من مفاتيح الجنان بحلة فاخرة.

٢. قبس من انوار الزهراء عليها السلام الملكية والملكوتية.

٣. مفاتيح واسرار سعادة الزوجين.

٤. وقفة تأمل عن أساليب الشيطان في استفزاز الانسان.

٥. ترانيم الروح.

٦. المحاضرات النسائية الظريفة والقصص الطريفة.

٧. رحيق المجالس للمناسبات السنوية ج١، ج٢ «بحوث تعنى بمقامات المعصومين عليهم السلام وابائهم عليهم السلام واولادهم عليهم السلام».

٨. عوالم ومنازل الانسان.

٩. الملك والملكوت.

١٠. مقتل الزهراء عليها السلام.

١١. مقتل الامام الكاظم عليه السلام.

١٢. الاضحية في الحل: معناها، استحبابها، وقتها، احكامها.

١٣. وقفة مع مدعي نسب رسول الله صلى الله عليه وآله «ادعاء السيادة».

١٤. النيروز تحت المجهر الشرعي.

١٥. انيس النفوس ج ١

١٦. قبس من بعثة النبي صلى الله عليه وآله في الآيات والروايات.

١٧. قبس من معراج النبي صلى الله عليه وآله في الآيات والروايات.

١٨. همسات في شغاف القلب «مخطوط».

١٩. دحو الأرض تحت المجهر الشرعي «بحث تخرج لنيل البكالوريوس».

٢٠. رسالة في السعادة الإنسانية.

٢١. رسالة المرجعية الدينية ومعالجتها لمشاكل الامة بين الرفض والقبول.

٢٢. رسالة في آثر الذنب التكليفي والوضعي.

٢٣. تقويم أوقات الصلاة لمدينة العمارة وولادات وشهادات المعصومين عليهم السلام.

٢٤. عبق المجالس.

٢٥. عظمة ليلة النصف من شعبان.

٢٦. المجالس العلوية.

٢٧. المجالس التربوية النسائية.

٢٨. مصيبة الامام الحسين عليه السلام يوم العاشر من المحرم.

٢٩. مختصر مقتل الأربعين.

٣٠. من كل بستان زهرة خمسة أجزاء.

٣١. دور المسجد والمبلغ الصالح في هداية الناس.

٣٢. تأملات مهدوية (بين يديك).

٣٢. والعديد من المؤلفات المخطوطة على صفيح ساخن تنتظر لتبصر نور الوجود بألطاف صاحب العصر والزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

